من کتب العصر مصطفی بحث رئیس الاطباء السلطانی
العاصی بعکا اناطولی
تحولر ۱۳۲۷

Süleymaniye U Kütüphanesi
Kısmı | Esat ef.
Yeni Kayıt No: |
Eski Kayıt No | 2346

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر يا كريم

اعلم انه قد ذكرنا ان في ربيع الاول من سنة احدى عشرة من الهجرة كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين الثاني عشر منه على المشهور وقد بسطنا الكلام فيه وذكرنا انه اشتغل الناس بامر بيعة الصديق في سقيفة بني ساعدة ثم في المسجد البيعة العامة في بقية يوم الاثنين وصبيحة الثلثاء ثم اخذوا في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكفينه والصلاة عليه في بقية يوم الثلثاء ودفنوه ليلة الاربعاء وقد ذكرنا ذلك مستوفى خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وما كان في ايامه من الحوادث والامور اعلم انه قد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في الوقت الذي ذكرنا حتى علي بن ابي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنه وقال موسى بن عقبة خطب ابو بكر واعتذر الى الناس وقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة ولا سألتها الله في سر ولا علانية فقبل المهاجرون مقالته وقال علي والزبير رضي الله عنهما ما غضبنا الا لانا اخرنا عن المشاورة وانا نرى ابا بكر احق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي وهذا هو اللايق بعلي رضي الله عنه والذي يدل عليه الاثار من شهوده معه الصلوات وخروجه معه الى ذي القصة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سنذكره ان شاء الله تعالى وبذله النصيحة والمشورة بين يديه واما ما ياتي من مبايعته اياه بعد موت فاطمة رضي الله عنها وقد ماتت بعد ابيها عليه السلام بستة اشهر فذلك محمول على انها بيعة ثانية ازالت ما كان وقع من وحشته بسبب الكلام في الميراث ومنعه اياهم ذلك بالنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لا نورث ما تركنا فهو صدقة كما ذكرناه ذكر تنفيذه جيش اسامة بن زيد رضي الله عنه اعلم انه اول ما بدا به ابو بكر رضي الله عنه انه نفذ جيش اسامة وعن عاصم بن عدي قال نادى مناد ابي بكر من الغد من مات في رسول الله عليه السلام ليتم بعث اسامة الا لا يبقين بالمدينة احد من جند اسامة الا خرج الى عسكره بالجرف وقال ابن كثير وهم الذين كانوا قد امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى تخوم البلقاء من ارض فلسطين حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة فنفروا على تلك الاراضي فنزلوا الجرف فخيموا به وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقال وابو بكر الصديق رضي الله عنه ويقال استثناه رسول الله منهم للصلاة فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاموا هناك فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وارتد من ارتد من احياء العرب حول المدينة وامتنع آخرون من اداء الزكاة الى الصديق ولم تبق الجمعة تقام في بلد سوى مكة والمدينة وكانت جواثا من البحرين اول مدينة اقامت الجمعة بعد رجوع الناس الى الحق وقد كانت تغلبت بالطائف تغلبوا على الاسلام لم يفروا ولا استذلوا ولما وقعت هذه الامور اشار كثير من

الناس على الصديق ان لا ينفذ جيش اسامة لاحتياجه اليه وكان من جملة من اشار اليه بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فامتنع الصديق من ذلك وابى اشد الاباء الا ان ينفذ جيش اسامة وقال والله لا احل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ان الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ولو ان الكلاب جرت بارجل امهات المؤمنين لانفذن جيش اسامة فجهز وامر الجيوش يكونون حول المدينة فكان خروجه في ذلك الوقت من اكبر المصالح والحالة تلك فسارعوا الا يمرون بحي من احياء العرب الا ارعبوا منهم وقالوا ما خرج هؤلاء من قوم الا وبهم منعة شديدة فغابوا اربعين يوما ويقال سبعين يوما ثم اتوا سالمين غانمين ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الاحياء الذين اخرجهم لقتال المرتدة وما نعي الزكاة على ما ذكره ابن اسحاق وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه لما صمم على تجهيز جيش اسامة قال بعض الانصار لعمر رضي الله عنه قاله قليلوا مر علينا غير اسامة فذكر له عمر مثل ذلك فيقال انه اخذ بلحيته وقال ثكلتك امك يا ابن الخطاب اؤمر غير امير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض بنفسه الى الجرف فاستعبر جيش اسامة وامرهم بالمسير وسار معهم ماشيا واسامة راكبا وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق فقال اسامة يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان انزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم استطلق الصديق من اسامة عمر بن الخطاب وكان مكتتبا في جيشه فاطلقه له فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك الا قال السلام عليك ايها الامير ذكر مقتل الاسود العنسي المتنبي الكذاب لعنه الله قال ابن جرير باسناده ان ابا بكر رضي الله عنه امضى جيش اسامة بن زيد في اخر ربيع الاول واتى مقتل العنسي في اخر ربيع الاول بعد مخرج اسامة وكان ذلك اول فتح ابي بكر وهو بالمدينة واعلم انا قد ذكرنا ان باذام عامل كسرى في اليمن قد اسلم وبعث باسلامه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه رسول الله بنيابة اليمن كلها فلم يعزله عنها حتى مات فلما مات استناب ابنه شهرا بن باذام على صنعاء وبعض المخاليف وبعث طايفة من اصحابه نوابا على مخاليف اخر فبعث اولا في سنة عشر عليا وخالدا ثم ارسل معاذا وابا موسى الاشعري وفرق عماله اليمن بين جماعة من الصحابة فمنهم شهر بن باذام وعامر بن شهر الهمداني على همدان وابو موسى على ما يوب وخالد بن سعيد بن العاص على نجران وربع وزبيد ويعلى ابن امية على الجند والظاهر بن ابي اهالة على عك والاشعريين وعمرو بن حزم على نجران وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد وعلى السكاسك عكاشة بن ثور بن اجعد وعلى السكون معاوية بن كندة وبعث معاذ بن جبل معلما لاهل البلد بن ومحضرموت وذلك كله في سنة عشر اخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم على ذلك اذ نجم هذا

هذا اللعين الاسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب بن غوث من بلد يقال له
كهف خبان في سبعماية مقاتل وكتب الى عمال النبي عليه السلام ايها المتوردون
علينا امسكوا علينا ما اخذتم من ارضنا وخلوا ما جمعتم فنحن اولى به ثم ركب فتوجه
الى نجران فاخذها بعد عشرة ايام من مخرجه ثم قصد الى صنعاء فخرج اليه شهر بن
باذام فتقاتلا فغلبه الاسود وقتله وكسر جيشه من الابناء واخذ مدينة صنعاء
لخمس وعشرين ليلة من مخرجه فقر معاذ بن جبل من هناك وراجتاز بابي موسى
الاشعري فذهبا الى حضرموت وانجاز عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الظاهر
ورجع عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص الى المدينة واستوسقت اليمن بكمالها
للاسود العنسي وجعل امره يستطير استطارة الشرارة وكان جيشه يوم
لقي شهرا سبعماية فارس وامرأة قيس بن عبد يغوث المرادي ومعاوية بن
قيس ويزيد بن حجرم بن حصين الحارثي ويزيد بن الاقمل الازدي واشتد حاله
واستغلظ امره وارتد خلق من اهل اليمن وعامل المسلمين الذين هناك بالسيئة
وكان خليفته على مذحج عمرو بن معدي كرب واسند امر الجند الى قيس بن عبد يغوث
واسند امر الابناء الى فيروز الديلمي وداذويه وتزوج امراة شهر بن باذام وهي ابنة عم
فيروز الديلمي واسمها ازاد وكانت امراة حسناء جميلة وهي مع ذلك مؤمنة بالله
ورسوله محمد عليه السلام ومن الصالحات قال سيف بن عمرو التميمي وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابه حين بلغه خبر الاسود العنسي مع رجل يقال له وبر بن يحنس الديلمي
فامر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الاسود العنسي وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب
اتم القيام وكان قد تزوج امراة من السكون يقال لها ملة فجدبت عليه السكون
لصهره فيهم وقاموا معه في ذلك وبلغوا هذا الكتاب الى عمال النبي عليه السلام ومن
قدروا عليه من الناس واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث امير الجند وكان
قد تغضب عليه الاسود فاستخف به وهم بقتله ولذلك كان فيروز الديلمي قد
ضعف عنده ايضا وكذا داذويه فلما اعلم وبر بن يحنس والمسلمون قيس بن
عبد يغوث وهو قيس بن مكشوح كان كانما نزلوا عليه من السماء ووافقهم على
القتل بالاسود وتوافق المسلمون على ذلك وتعاقدوا عليه ثم ان جماعة منهم نقبوا بيته
فدخلوا عليه بعد ان اتفقوا بامراته على قتله فوجدوا فيه سراجا تحت جفنة فتقدم
اليه فيروز الديلمي والاسود نايم على فراش من حرير قد غرق راسه في جسده
وهو سكران يغط والمراة جالسة عنده فلما قام فيروز على الباب اجلس شيطانه
وتكلم على لسانه وهو نايم مع ذلك يغط فقال مالي ومالك يا فيروز فخشي ان يرجع

الابناء جمع ابن ويقال للاولاد فارس الابناء وهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستجديه ومملكوا اليمن وتدبروها وتزوجوا في العرب فقيل لاولادهم الابناء وغلب على هذا الاسم الذين ارسلهم من غير جنس ابائهم

ان يهلك وتهلك المراة فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فاخذ برأسه فدق عنقه
ووضع ركبته في ظهره حتى قتله ثم قام ليخرج الى اصحابه ليخبرهم فاخذت المراة بذيله
وقالت اين تذهب وظنت انها لم تقتله فقال اخرج لاعلمهم بقتله فدخلوا عليه
ليحتزوا راسه فحركه شيطانه فاضطرب فلم يصطفوا امره حتى جلس اثنان
على ظهره واخذت المراة بشعره وجعل يبرز بلسانه فاحتز الاخر رقبته فخار
كاشد خوار ثور فابتدر الحرس الى المقصورة فقالوا ما هذا يا هذا فقالت
المراة النبي يوحى اليه فرجعوا وجلس قيس وداذويه وفيروز يأتمرون
كيف يعلمون اشياعهم فاتفقوا على انه اذا كان الصباح ينادون بشعارهم
الذي بينهم وبين المسلمين فلما كان الصباح قام احدهم وهو قيس على سور
الحصن فنادى بشعارهم فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن
فنادى قيس ويقال وبر بن يحنس بالاذان اشهد ان محمدا رسول الله
وانا عبهلة كذاب والقى اليهم راسه فانهزم اصحابه وتبعهم الناس فاخذوهم
ويرصدونهم في كل طريق يأسرونهم وظهر الاسلام واهله وتراجع نواب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اعمالهم وتنازع اولئك الثلاثة في الامارة ثم اتفقوا
على معاذ بن جبل يصلي بالناس وكتبوا بالخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اطلعه
الله على الخبر من ليلته التي قتل فيها الاسود فقال قتل العنسي البارحة قتله
رجل مبارك من اهل بيت مباركين قيل ومن قال فيروز فيروز وقد قيل
ان مدة ملكه من يوم ظهر الى ان قتل ثلاثة اشهر ويقال اربعة اشهر
والله اعلم وعن عمرو عن الضحاك عن فيروز قال قتلنا الاسود وعاد امرنا كما كان
الا انا ارسلنا الى معاذ بن جبل فتراضينا عليه فكان يصلي بنا في صنعاء فوالله
ما صلى بنا الا ثلاثة ايام حتى اتانا الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتقضت
الامور وانكرنا كثيرا مما كنا نعرف واضطربت الارض وقد قدمنا ان خبر العنسي
جاء الى الصديق في اواخر ربيع الاول بعد ما جهز جيش اسامة وقيل بلجات
البشارة الى المدينة صبيحة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اشهر والله اعلم

ذكر تصدي الصديق رضي الله عنه لقتال اهل الردة وما نعي الزكاة

قد تقدم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتد احياء كثيرة من الاعراب ونجم النفاق بالمدينة وانحاز الى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق
كثير باليمامة والتفت على طليحة الاسدي بنو اسد وطي وبشر كثير ممن
ولاه النبوة كما ادعاها مسيلمة الكذاب وعظم الخطب واشتدت الحال

رضي الله عنه

ونفذ الصديق جيش اسامة فقل الجند عند الصديق فطمعت كثير من الاعراب في المدينة ورأوا ان يهجموا عليها فجعل الصديق على انقاب المدينة حرسا يبيتون بالجيوش حولها فمن امراء الحرس علي ابن ابي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من اداء الزكوة ومنهم من امتنع من دفعها الى الصديق رضي الله عنه وذكر ان منهم من احتج بقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم قالوا فلسنا ندفع زكاتنا الا الى من صلاته سكن لنا وانشد بعضهم

ان الدعاء

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا ... فواعجبا مالك ملك ابي بكر

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في ان يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ثم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابي بكر رضي الله عنه علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان

امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقاتلنهم على منعها ان الزكاة حق المال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة قال عمر رضي الله عنه فما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق قلت وقد قال الله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وثبت في الصحيح انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وقال محمد بن اسحق وارتدت العرب عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلا اهل المسجدين مكة والمدينة وارتدت اسد وغطفان عليهم طليحة بن خويلد الاسدي الكاهن وارتدت كندة ومن يليها وعليهم الاشعث بن قيس الكندي وارتدت مذحج ومن يليها وعليهم الاسود بن كعب العنسي الكاهن وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر وكانت بنو حنيفة مقيمة على امرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب وارتدت سليم مع الفجاءة واسمه انس بن عبد ياليل وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة وقال ابن كثير رحمه الله وفي جمادى الاخرة ركب الصديق في اهل المدينة وامراء الانقاب الى من حول المدينة من الاعراب الذين اغاروا عليها فلما توجه هو واعداؤه من بني عبس وبني مرة وذبيان ومن ناشب معهم من بني كنانة وامدهم طليحة بائنة جبال فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهي انهم عمدوا الى النحاء فنفخوها ثم ارسلوها من رؤوس الجبال فلما رآها

اصحاب الصديق نفرت وذهبت كل مذهب فلم يملكوا من امرها شيئا الى الليل وحتى رجعت الى المدينة وظن القوم بالمسلمين الوهن وبعثوا الى عشايرهم من نواحي اخر فجاءوا وبات ابو بكر رضي الله عنه ليلته يبيتهم يعني الناس ثم خرج على تعبيته من اخر الليل وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى الميسرة اخوه عبد الله بن مقرن وعلى الساقة اخوهما سويد بن مقرن فما طلع الفجر الا وهم والعدو في صعيد واحد فما سمعوا للمسلمين حسا ولا همسا حتى وضعوا فيهم السيوف فما طلعت الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل جبال واتبعهم ابو بكر حتى نزل بذي القصة وكان اول الفتح وذل بها المشركون وعز بها المسلمون ووثبت بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم وفعل من وراءهم كفعلهم فحلف ابو بكر رضي الله عنه ليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة فكانت هذه الوقعة من اكبر العون على الاسلام واهله ورجع ابو بكر رضي الله عنه الى المدينة مؤيدا منصورا ساكنا غانما وطرقت المدينة في الليل صدقات عدي بن حاتم وصفوان والزبرقان احدها في اول الليل والثانية في اوسطه والثالثة في اخره وقدم بكل واحدة منهم امير من امراء الانقاب فكان الذي بشر بصفوان سعد بن ابي وقاص والذي بشر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف والذي بشر بعدي بن حاتم عبد الله بن مسعود ويقال ابو قتادة الانصاري وذلك على راس ستين ليلة من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم اسامة بن زيد بعد ذلك بليال فاستخلفه ابو بكر على المدينة وامرهم ان يريحوا ظهرهم ثم ركب ابو بكر في الذين كانوا معه في الوقعة المتقدمة الى ذي القصة فقال له المسلمون لو رجعت الى المدينة وارسلت رجلا فقال والله لا افعل ولاواسينكم بنفسي فخرج في تعبيته الى ذي حسمى وذي القصة والنعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا عليه حتى نزل على اهل الردة بالابرق وهناك جماعة بني عبس وذبيان وطايفة من بني كنانة فاقتتلوا فهزم الله الحرب وعوفا فاخذ الحطيئة اسيرا فطارت بنو عبس وبنو ذبيان وقام ابو بكر على الابرق اياما وقد غلب بنو ذبيان على البلاد ثم رجع ابو بكر الى المدينة مؤيدا منصورا ساكنا غانما رضي الله عنه ذكر خبر وجه رضي الله عنه الى ذي القصة حين عقد الالوية الامراء الاحد عشر على ما سيأتي في بيت الله تعالى وذلك لما جاء جيش اسامة واستراحوا ركب الصديق ايضا في الجيوش الاسلامية شاهرا سيفه مسلولا من المدينة الى ذي القصة وهي من المدينة على مرحلة واعلى ابن ابي طالب رضي الله عنه يقود براحلة الصديق فسأله الصحابة منهم علي وغيره والحوا عليه ان يرجع الى المدينة وان يبعث لقتال الاعراب غيره ممن

يؤمره من الشجعان الابطال فاجابهم الى ذلك وعقد لهم الالوية الاحد عشرة
لاحد عشر اميرا على ما سنفصله قريبا كذا قرره الله تعالى وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال لما برز ابو بكر رضي الله عنه الى ذي القصة واستوى على راحلته اخذ علي بن
ابي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال الى اين يا خليفة رسول الله اقول لك ما قال
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة
فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام ابدا فرجع رواه الدارقطني وقال ابن
كثير هذا حديث غريب من طريق مالك وقال سيف بن عمر عن هشام بن يوسف عن القاسم
بن محمد لما استراح اسامة وجنده وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم
قطع ابو بكر البعوث وعقد الالوية فعقد احد عشر لواء عقد لخالد بن الوليد
رضي الله عنه وامره بطليحة بن خويلد فاذا اسار الى ملاقاة بن نويرة بالبطاح ان
اقام له ولعكرمة بن ابي جهل وامره بمسيلمة وبعث شرحبيل بن حسنة
اثره الى مسيلمة ثم الى بني قضاعة وللمهاجر بن ابي امية وامره بجنود العنسي
ومعونة الابناء على قيس بن مكشوح قال ابن كثير رحمه الله وذلك لانه كان قد
نزع يده من الطاعة على ما سيجيء وقال سيف بن عمرو لخالد بن سعيد بن العاص
الى مشارف الشام ولعمرو بن العاص الى جماع قضاعة ووديعة والحارث والحذيفة
بن محصن الغطفاني وامره باهل دثنا وبعرفجة وهرثمة وغير ذلك ولطريفة
بن حاجز وامره ببني سليم ومن معهم من هوازن ولسويد بن مقرن وامره
بتهامة اليمن وللعلاء بن الحضرمي وامره بالبحرين نفصل كل امير بجنده من ذي القصة
ورجع الصديق الى المدينة وكتب معهم الصديق كتابا الى المرتدة وكان سيد الامراء
وراس الشجعان الصناديد ابو سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه وروى الامام احمد من
طريق وحشي بن حرب ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما عهد لخالد بن الوليد على قتال
اهل الردة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله واخو العشيرة خالد
بن الوليد سيف من سيوف الله سلله الله على الكفار والمنافقين ولما توجه خالد بن الوليد
رضي الله عنه من ذي القصة وفارقه الصديق واعده انه سيلقاه من ناحية خيبر ممن
معه من الامراء واظهروا ذلك ليرعبوا الاعراب وامره ان يذهب اولا الى طليحة الاسدي
ثم ايذهب بعده الى بني تميم وكان طليحة بن خويلد في قومه بني اسد وفي غطفان قد
انضم اليهم بنو عبس وذبيان وبعث الى بني جديلة والغوث وطي يستدعتهم اليه
فبعثوا اقواما منهم بين ايديهم ليلحقوهم على اثرهم سريعا وقد كان الصديق قد بعث
عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد وقال ادرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دبرهم

فوع ج

ن

فذهب عدي الى قومه من طي فامرهم ان يبايعوا الصديق وان يراجعوا امر الله
فقالوا لا نبايع ابا الفصيل ابدا يعنون ابا بكر رضي الله عنه فقال والله ليأتينكم
جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا انه ابو الفصيل الاكبر ولم يزل عدي
يقتل لهم في الذروة والقارب حتى لانوا وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة
الانصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس وبعث بين يديه ثابت
بن ارقم وعكاشة بن محصن طليعة فتلقاهما طليحة واخوه سلمة فيمن معهما
فلما وجد اثابتا وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة حبال بن طليحة وقيل
بل كان قد قتل حبالا قبله واخذهما معه وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو
واخوه سلمة ثابت بن ارقم وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين
فشق ذلك على المسلمين ومال خالد الى بني طي فخرج اليه عدي بن حاتم فقال
انظرني ثلاثة ايام فانهم قد استنظروني حتى يبعثوا الى من يجل منهم
الى طليحة حتى يرجعوا اليهم فانهم يخشون ان تابعوك يقتل طليحة من سار
اليهم فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق
فانضافوا الى جيش خالد وقصد خالد بني جديلة فقال له عدي اجلني
اياما حتى اتيهم فلعل الله ان ينفذهم طيا فاتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه
فجاء خالدا باسلامهم ولحق بالمسلمين منهم الف راكب فكان عدي خير مولود
واعظمه بركة على قومه فالوائم سار خالد حتى نزل باجا وسلمى وعبي جيشه
هناك والتقى مع طليحة الاسدي بمكان يقال له بزاخة ووقفت احياء كثيرة
من الاعراب ينظرون على من يكون الدايرة وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن
التف معهم وانضاف اليهم وقد حضر معه عيينة بن حصن في سبعمائة من
قومه بني فزارة واصطف الناس وجلس طليحة ملتفا في كساء له ينتبي لهم
ينتظر ما يوحى اليه فيما يزعم وجعل عيينة يقاتل ما يقاتل حتى اذا ضجر من
القتال يجيء الى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول اجاءك جبريل فيقول
لا فيرجع فيقاتل ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك فلما كان
في الليلة الثالثة قال له هل جاءك جبريل قال نعم قال فما قال لك قال قال لي ان
لك رحى كرحاه وحديثا لا تنساه قال يقول عيينة اظن ان قد علم الله
انه سيكون لك حديث لا تنساه ثم قال يا بني فزارة انصرفوا وانهزم

تعاد

أ البذرة بكسر الذال اعلى ان
والفارس
السنك وال
خلف الفرس
مثلا لان
عن راكبه
يتعلق
النفوس
تتعلق

وانهزم الناس عن طليحة فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد اعدها له وأرّ
امرأته النوار على بعير له ثم انهزم بها الى الشام وتفرق جمعه وقد قتل الله
طايفة ممن كان معه فنزل على بني كلب واسر خالد عيينة بن حصن وبعث به
الى المدينة مجموعة يداه الى عنقه فدخل المدينة وهو كذلك فجعل الولدان والغلمان
يطعنونه بايديهم ويقولون اي عدو الله ارتددت عن الاسلام فيقول والله
ما كنت آمنت قط فلما وقف بين يدي الصديق رضي الله عنه استتابه وحقن
دمه ثم حسن اسلامه فاقام خالد رضي الله عنه ببزاخة شهرا يتصعد فيها ويصوب وينزع
اليها في طلب الذين وضاه بسببهم الصديق رضي الله عنه منهم من حرقه بالنار ومنهم من
رمى به شواهق الجبال كل هذا ليشرد بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب وفي
عيون المعارف وكان قد تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة الاسود بن
كعب العنسي ومسيلمة الكذاب وطليحة الاسدي انتهى كلامه وقد ذكرنا قصة الاسود واما
طليحة فقد قال ابن كثير انه ارتد عن الاسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بموازرته عيينة بن حصن وارتد عن الاسلام وقال لقومه
والله لنبي من بني اسد احب الي من بني هاشم وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه
فوافقه قومه بنو فزارة على ذلك فلما كسر خالد هرب الى الشام كما ذكرنا ثم انه
راجع الاسلام بعد ذلك وذهب الى مكة معتمرا ايام الصديق واستحى ان يواجهه ملة
حياته وقد رجع فشهد القتال مع خالد وكتب الصديق الى خالد ان استشيره في الحرب
ولا تؤمره يعني معاملة له ببعض ما كان قصده من الرياسة في الباطل وهذا من
فقه الصديق رضي الله عنه وقد قال خالد بن الوليد لبعض اصحاب طليحة ممن اسلم وحسن
اسلامه اخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي فقال انه كان يقول والحمام واليمام
والصرد الصوام قد ضمن قبلكم باعوام ليبلغنا ملك العراق والشام الى غير ذلك من
الخرافات والهذيانات السمجة واما مسيلمة فعن قريب نذكره ان شاء الله تعالى
ذكر وقعة بسلمى بنت مالك وكان قد اجتمع طايفة كثيرة من الغلالة يوم بزاخة
من اصحاب طليحة من بني غطفان فاجتمعوا الى امراة يقال لها ام زمل سلمى بنت مالك
بن حذيفة وكانت من سيدات العرب كابيها ام قرفة وكان يضرب بها المثل
في الشرف لكثرة اولادها وعزة قبيلتها وبيتها فلما اجتمعوا اليها امرتهم لقتال
خالد فهاجوا لذلك وناشب اليهم اخرون من بني سليم وطي وهوازن واسد فكاروا
جيشا كثيفا وتفجل امر هذه المراة فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار اليهم فاقتتلوا
قتالا شديدا وهي راكبة على جمل امها الذي كان يقال لها من نحس حملت بثلاثة مايه

من الابل وذكر لعيرها فهزمهم خالد رضي الله عنه وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح الى
الصديق رضي الله عنه قوله بزاخه بضم الباء الموحدة وفتح الزاي والخاء المعجمتين اسم موضع
كانت به وقعة للمسلمين قصة الفجاءة واسمه اياس بن عبد الله بن عبد
يا ليل بن عميرة خفاف من بني سليم قال ابن اسحق وقد كان الصديق حرق الفجاءة
بالبقيع في المدينة وكان سببه انه قدم عليه فزعم انه مسلم وسأله ان يجهز معه جيشا يقاتل به
فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا شريد الا قتله واخذ ماله فلما سمع الصديق بعث وراءه
جيشا ليردوه فلما امكنه بعث به الى البقيع فجمعت يداه الى قفاه والقي في النار فحرقه
وهو مقموط قصة سجاح وبني تميم كانت بنو تميم قد اختلفت اراؤهم ايام
الردة فمنهم من ارتد ومنع الزكوة ومنهم من بعث باموال الصدقات الى الصديق
ومنهم من توقف لينظر في امره فبينما هم كذلك اذ اقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن
عقفان التغلبية من الجزيرة وهي من نصارى العرب وقد ادعت النبوة ومعها جنود
من قومها ومن التف بهم وقد عزموا على غزو ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلما مرت
ببلاد بني تميم دعتهم الى امرها فاستجاب لها عامتهم وكان ممن استجاب لها مالك بن
نويرة التميمي وعطارد بن حاجب وجماعة من سادات امراء بني تميم وتخلف اخرون منهم
عنها ثم اصطلحوا على ان لا حرب بينهم الا ان مالك بن نويرة لما استجاب لها حرضها
على بني يربوع ثم اتفق الجميع على قتال الناس وقالوا بمن نبدأ فقالت لهم فيما تسجعه
اعدوا الركاب واستعدوا والتهاب ثم اغيروا على الذياب فليس دونهم حجاب ثم انهم
تعاهدوا على نصرها ثم ان سجاح قصدت بجنوحها اليمامة لتاخذها من مسيلمة بن
حبيب الكذاب فهابته قومها وقالوا انه قد استفحل امره وعظم فقالت لهم فيما تقولونه عليكم
باليمامة دقوا دفيف الحمامة فانها غروة صرامة لا تلحقكم بعدها ملامة قال
فصمدوا نحو مسيلمة فلما سمع بمسيرها اليه خاف على بلاده وذلك انه مشغول بمقاتلة
ثمامة بن اثال وقد ساعده عكرمة بن ابي جهل بجنود المسلمين وهم نازلون ببعض
بلاده ينتظرون قدوم خالد كما ياتي فبعث اليها يستامنها ويضمن لها ان يعطيها
نصف الارض الذي كان لقريش لو عدلت فقد رده الله عليكم فجاءه برأسها
ليجتمع بها في طايفة من قومه وقومها فركبت في اربعين من قومه وجاءت اليها فاجتمعا
في خيمة فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من الارض وقبلت ذلك قال مسيلمة سمع
الله لمن سمع واطمعه بالخير اذا طمع ولا يزال امرئ في كل ما ساء نفسه مجتمعه
زادكم ربكم فحياكم ومن وحشته اخلاكم ويوم دينه انجاكم فاحياكم علينا من صلوات
عشر ابراره لا اشقياء ولا فجاره يقومون الليل ويصومون النهار لربكم

الكبار رب الغيوب والامطار وقال ايضا لما رأيت وجوههم حسنت وابشارهم
صفيقة وايديهم طفلة قلت لهم لا النساء تأتون ولا الخمر تشربون ولكنكم
معشر ابرار تصومون فسبحان الله اذا جاءت الحياة كيف تحيون والى ملك السماء
كيف ترقون فلوا لها حبة خردل لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور ولا كثر الناس
فيها الشهود وقد كان مسيلمة لعنه الله شرع لمن اتبعه ان العرب يتزوج
فاذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ الا ان يموت ذكر الولد الذكر فيحل له
النساء حتى يولد له ذكر هذا ما اقترحه لعنه الله من تلقاء نفسه ويقال
انه لما خلا بسجاح سألها ماذا يوحى اليها فقالت وهل يكون النساء يبتدئون
بل انت ماذا اوحي اليك فقال الم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى اخرج منها نسمة
تسعى من بين صفاق وحشى قالت وماذا فقال ان الله تعالى خلق النساء افواجا
وجعل الرجال لهن ازواجا فيولج فيهن غرابيلنا ايلاجا ثم نخرجها اذا شئنا اخراجا
فيمتزجن لنا سخالا انثاجا فقالت اشهد انك نبي فقال لها هل لك ان اتزوج بك
واكل بقومك وقومي العرب قالت نعم فقال

الافومي الى النيك فقد هي لك المضجع فان شئت ففي البيت وان شئت ففي الخدع

وان شئت سلقناك وان شئت على اربع وان شئت بثلثيه وان شئت به اجمع

فقالت بل به اجمع فهو للشمل اجمع صلى الله عليك فقال كذلك اوحي الي فاقامت عنده
ثلاثة ايام ثم رجعت الى قومها فقالوا ما احد قال لم يصدقني شيئا فقالوا انه
قبيح على مثلك ان تتزوج بغير صداق فبعثت اليه نسالة صداقي فقال ارسلي الي
مؤذنكم فبعثته اليه وهو شبيب بن ربعي فقال نادي في قومك ان مسيلمة بن حبيب
قد وضع عنكم صلاتين مما اتاكم به محمد الفجر وعشاء الاخرة فكان هذا
صداقها لعنهما الله تعالى وفي تاريخ النويري وسالوا مسيلمة المهد فقال
وضعت عنكم صلاة العصر فبنو تميم الى الان لا يصلون العصر ويقولون هذا
حق لنا ومهد كريمة منا فلا نردة ثم انشمرت سجاح راجعة الى بلادها وذلك
حين بلغها ذبح خالد من ارض اليمامة فكرت راجعة الى الجزيرة بعد ما
قبضت من مسيلمة نصف خراج ارضه فاقامت في قومها بني تغلب الى
زمان معاوية فاجلاهم منها عام الجماعة كما سنذكره ان شاء الله تعالى وفي
تاريخ النويري ولم تزل سجاح في اخوالها من تغلب حتى نفاهم معاوية عاما
بوبع فيه فاسلمت سجاح وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها
وسجاح بفتح السين المهملة وتخفيف الجيم وبالحاء المهملة وهي امرأة من بني

الدف بالفتح الجلد كالدفة وضع قوب ملء بن الحرمين ونصف الشيء والسنبعداله والدف بضم الدال الضلع

يربوع يقال لها ام صادر قصة مالك بن نويرة اليربوعي التميمي قد كان
صانع سجاح حين قدمت من ارض الجزيرة لما انصلت بمسيلمة لعنه الله
ثم رحلت الى بلادها فلما كان ذلك ندم مالك بن نويرة على ما كان من امره وتلوم
في شانه وهو نازل بعكان يقال له البطاح فقصدها خالد بجنوده وتاخرت عنه
الانصار وقالوا انا قد قضينا ما امرنا به الصديق فقال لهم خالد ان هذا امر
لا بد من فعله وحكومة لا بد من امضائها وان لم يانتي فيها كتاب واما الامير والي
يرد الاخبار وليست بالذي اجبركم على المسير وانا قاصد البطاح فسار يومين
ثم لحقه رسول الانصار يطلبون منه الانتظار فلحقوه فلما وصل البطاح وعليها
مالك بن نويرة فبث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس فاستقبلته امراة
بني تميم بالسمح والطاعة وبذلوا الزكوة الا ما كان من مالك بن نويرة فانه متحير
في امره منتج عن الناس فجاءته السرايا فاسروه واسروا معه اصحابه واختلفت
السرية فيهم فشهد ابو قتادة الحارث بن ربعي الانصاري انهم اقاموا الصلاة
وقال اخرون انهم لم يؤذنوا ولا صلوا ويقال ان الاسارى باتوا كبولهم في ليلة باردة
شديدة البرد فنادى منادي خالد ان دفئوا اسراكم فظن القوم انه اراد القتل
فقتلوهم وقتل ضرار بن الازور مالك بن نويرة فلما سمع خالد الجلبة خرج وقد فرغوا منهم
فقال اذا اراد الله امرا اصابه واصطفى خالد امراة مالك بن نويرة وهي ام تميم ابنة المنهال
وكانت جميلة فلما خلا ببني بها وقال بل استدعى خالد مالك بن نويرة فانبه على ما صدر
منه من متابعة سجاح وعلى منعه الزكوة وقال الم تعلم انها قرينة الصلاة فقال مالك
انا ظننا صاحبكم كان يزعم ذلك فقال اهو صاحبنا وليس بصاحبك يا ضرار اضرب عنقه
وامر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدرا فاكل منها خالد تلك الليلة
ليرهب تلك الاعراب من المرتدة وغيرهم ويقال ان شعر مالك جعلت النار
تعمل فيه الى ان نضج لحم القدر ولم ينضج الشعر لكثرته وقد تكلم ابو قتادة مع خالد
فيما صنع وتقاولا فلم يزل كذلك حتى ذهب ابو قتادة فشكاه الى الصديق وتكلم عمر رضي الله عنه
مع خالد رضي الله عنه وقال للصديق اعزله فان في سيفه رهقا فقال ابو بكر رضي الله عنه
لا اشيم سيفا سله الله على الكفار وجاء متمم بن نويرة فجعل يشكو الى الصديق
خالدا وعمر يسمع فوداه الصديق من عنده ومتمم القائل من المراثي
في اخيه لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال ابكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فحاجر
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى فدعني فهذا كله قبر مالك

من اجل قتيل واحد انت نائح على كل قبر او على كل هالك؟ والمقصود انه لم يزل
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يحرض الصديق ويديه على عزل خالد رضي الله عنه عن الامرة
ويقول ان في سيفه رهقا قتل مالكا ونزا على امراته حتى بعث الصديق الى
خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة ودرعه التي من حديد قد صدئ من كثرة الدماء
وغمز في عمامته الثعلب المضمخ بالدماء فلما دخل المسجد قام اليه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فانتزع الاسهم من عمامة خالد فحطمها وقال ارياء قتلت امرءا
مسلما ثم نزوت على امراته والله لارجمنك بحجارك وخالد لا يكلمه الا ان رأي
الصديق فيه كراي عمر حتى دخل على ابي بكر فاعتذر اليه فعذره وتجاوز ما كان
منه في ذلك فخرج من عنده وعمر جالس في المسجد فقال خالد هلم الي يا ابن ام شملة
فلم يرد عليه وعرف ان الصديق قد رضي عنه واستمر ابو بكر لخالد على الامرة
وان كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويرة واخطأ في قتله كما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما بعثه الى بني جذيمة فقتل اولئك الابرار الذين قالوا صبانا صبانا
ولم يحسنوا ان يقولوا اسلمنا فودا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رد اليهم
ميلغة الكلب ورفع يديه وقال اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد ومع هذا
لم يعزل خالدا عن الامرة قصة مقتل مسيلمة الكذاب عليه اللعنة
لما رضي الصديق عن خالد بن الوليد وعذره بما اعتذر به عنه الى قتال بني حنيفة باليمامة واعب
معه المسلمون وعلى الانصار ثابت بن قيس بن شماس فسار لا يمر باحد من المرتدين الا قتل
بهم وقد اجتاز بخيول الاصحاب سجاح فبشرهم وامر باخراجهم من جزيرة العرب وارد ف
الصديق خالدا بسرية يكون ردءا له من ورائه وقد كان بعث قبله الى مسيلمة عكرمة بن
ابي جهل وشرحبيل بن حسنة فلم يقاوما بني حنيفة لانهم في نحو من اربعين الفا من المقاتلة
فعجل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل فناجزهم فنكب فانتظر خالدا فلما سمع مسيلمة
بقدوم خالد بن الوليد على عسكر بمكان يقال له عقربا في طرف اليمامة والصريف ورآء
ظهورهم ندب الناس وحشدهم فحشد له اهل اليمامة وجعل على مجنبتي حيشه المحكم والطفيل
والرجال بن عنفوة بن نهشل وكان الرجال هذا صديقا الذي شهد له انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انه قد اشرك معه مسيلمة بن حبيب في الامر فكان هذا الملعون من
اكبر من ضل من اهل اليمامة وشهد له بالنبوة واقترب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل
بن حسنة وعلى المجنبتين زيدا وابا حذيفة وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من ستين
فارسا عليهم مجاعة بن مرارة وكان قد ذهب لاحد نازله في بني تميم وبني عامر وهو راجع
الى قومه فاخذوهم فلما جيء بهم خالدا سالهم عن خبرهم فاعتذروا اليه فلم يصدقهم

رضي الله عنه بيان فقتلت

فامر بضرب اعناقهم كلهم سوى مجاعة فانه استبقاه مقيدا عنده لعلمه بالحرب والمكيدة
وكان سيدا في بني حنيفة شريفا ومطاعا فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه اليوم
يوم الغيرة اليوم ان هزمتم تستنكح النساء سبيات وينكحن غير خليات فقاتلوا
عن احسابكم وامنعوا نسائكم وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب مشرف على اليمامة
فضرب به عسكره ورايه المهاجرين مع سالم مولى ابي حذيفة ورايه الانصار مع ثابت
بن قيس بن الشماس والعرب على راياتها ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع ام تميم
امراة خالد فاصطدم المسلمون والكفار فكانت للمسلمين جولة وانهزمت الاعراب حتى
حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد رضي الله عنه وهموا بقتل ام تميم حتى اجارها
مجاعة وقال نعمت الحرة هذه وقد قتل الرجال بن عنفوة لعنه الله في هلك الجولة قتله
زيد بن الخطاب ثم بدا امر الصحابة بينهم وقاتلت بنو حنيفة قتالا لم يعهد مثله وجعلت
الصحابة يقولون يا اصحاب سورة بطل السحر اليوم وحفر ثابت بن قيس لقدميه
في الارض الى انصاف ساقيه وحامل لواء الانصار بعد ما تخنط وتكفن فلم يزل
ثابتا حتى قتل هناك وقال المهاجرون لسالم مولى ابي حذيفة نخشى ان نؤتى من قبلك
فقال بئس حامل القرآن انا اذا اوقتل زيد بن الخطاب شهيدا واصيب ابو حذيفة
وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وصار بحيال مسيلمة وجعل يترقب ان يصل
اليه فيقتله ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعى الى البراز وقال ان ابن الوليد
العودان ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ يا
محمداه وجعل لا يبرز لهم احد الا قتله ولا يدنو منه شيء الا اكله وداربت رحى
المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف والدخول الى الحق فجعل
شيطان مسيلمة يلوي عنقه لا يقبل منه شيئا وكلما اراد مسيلمة ان يقارب
من الامر صرفه شيطانه فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الانصار
من الاعراب حتى يعرف الناس من اين يؤتون وصبرت الصحابة في هذا الموطن
صبرا لم يعهد مثله ولم يزالوا متقدمين الى نحورعدوهم حتى فتح الله عليهم
وولى الكفار الادبار واتبعوهم يقتلونهم في اقفائهم ووضعوا السيوف
بين رقابهم من حيث شاءوا حتى الجاؤهم الى حديقة الموت وقد اشار عليهم
محكم اليمامة وهو محكم ابن الطفيل لعنه الله بدخولها فدخلوها وفيها عدو الله
مسيلمة وادرك عبد الرحمن بن ابي بكر محكم بن الطفيل فحزماه بسهم في عنقه
وهو يخطب فقتله واغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم واحاطوا بها
وقال البراء بن مالك يا معشر المسلمين القوني عليهم في الحديقة فاحتملوه

(الى الامام)

فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى القوة عليهم من فوق سورها فلم يزل يقاتلهم
دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمين الحديقة من خيطانها وابوابها يقتلون
من فيها من المرتدة من اهل اليمامة حتى خلصوا الى مسيلمة لعنه الله وإذا هو
واقف في ثلمة جدار كانه جمل اورق لا يعقل من العيظ وكان اذا اعتراه
شيطانه ان يدحتى يخرج الزبد من شدقيه فتقدم اليه وحشي بن حرب
مولى جبير بن مطعم فاتل حمزة رضي الله عنه فرماه بحربته فاصابه وخرجت من
الجانب الاخر وساع اليه ابو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف
فسقط فنادت امراة من القصر وا امير المؤمناه قتله العبد الاسود فكان
جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبا من عشرة الاف مقاتل وقيل احد
وعشرون الفا وقتل من المسلمين ستمائة وقيل خمسمائة والله لعلم وفيهم من
سادات الصحابة واعيان المسلمين من يذكر بعد وخرج خالد ومعه مجاعة
بن مرارة يرسف في قيوده فجعل يديه القتلى ليعرفه مسيلمة فلما مروا بالرجال
ابن عنفوه قال له خالد بن الوليد اهذا هو قال لا والله هذا خير منه هذا الرجال
ابن عنفوه قال سيف بن عمر ثم مروا ببرد يحمل اصيفر اخيبش فقال هذا صاحبكم
فقال خالد رضي الله عنه قبحكم الله على اتباعكم هذا ثم بعث خالد حول اليمامة يلتقط
ما حول حصونها من مال وكسبي ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها الا
النساء والصبيان والشيوخ الكبار فخدعه مجاعة فقال انها ملاى رجالا مقاتلة
فهلم فصالحني عنهم فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة
الحروب والقتال فقال دعني حتى اذهب اليهم ليوافقوني على الصلح فقال اذهب
فصار اليهم مجاعة فامر النساء ان يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون
فنظر خالد فاذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجاعة
فانتظم الصلح ودعاهم خالد الى الاسلام فاسلموا عن اخرهم ورد عليهم خالد بعض
ما كان اخذ من السبي وساق الباقين الى الصديق وقد تسرى علي بن
ابي طالب رضي الله عنه بجارية منهم وهي ام ابنه محمد الذي يقال له محمد بن الحنيفة
رضي الله عنه وقد قال خليفة بن خياط ومحمد بن جرير وخلق من السلف كانت
وقعة اليمامة في سنة احد عشر قال ابن نافع في اخرها وقال الواقدي واخرون
كانت في سنة اثنتي عشرة والجمع بينهما ان ابتداءها في سنة احد عشر والفراغ
منها في سنة اثنتي عشرة والله اعلم قصة ردة اهل البحرين وعودهم
الى الاسلام كان من خبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بعث العلاء

بن الحضرمي الى ملكها المنذر بن ساوى العبدي فاسلم على يديه واقام فيهم
الاسلام والعدل فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي المنذر بعده
بقليل وكان قد حضر عنده في مرضه عمرو بن العاص فقال له يا عمرو هل كان
رسول الله يجعل للمريض شيئا من ماله قال نعم الثلث قال ماذا اصنع به قال
ان شئت تصدقت به على اقربائك وان شئت على المحاويج وان شئت
جعلته صدقة من بعدك حبسا محرما فقال اني اكره ان اجعله كالبحيرة والسائبة
والوصيلة والحام ولكن اتصدق به فعقل ومات وكان عمرو بن العاص يتعجب منه فلما مات
المنذر ارتد اهل البحرين وملكوا عليهم المغرور وهو المنذر بن النعمان بن المنذر
وقال قايلهم لو كان محمد نبيا ما مات ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية
لها جواثا كانت او قرية اقامة الجمعة من اهل الردة كما ثبت ذلك في البخاري
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم حتى منعوا
من الاوقات وجاعوا جوعا شديدا حتى فرج الله وقد قال رجل منهم يقال له
عبد الله ابن حذف الا ابلغ ابا بكر رسولا وفتيان المدينة اجمعينا
هل لكم الى قوم كرام قعود في جواثي محصرينا كان دماهم في كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا وجدنا الصبر للمتوكلينا وقد قام فيهم رجل من اشرافهم
وهو الجارود بن المعلى وكان ممن هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وقد جمعهم
فقال يا معشر عبد العبد القيس اني سائلكم عن امر فاخبروني ان علمتموه والا فجيبوني
ان لم تعلموه فقالوا سل قال اتعلمون انه كان لله انبياء قبل محمد قالوا نعم قال تعلمون انه
او ترونه قالوا نعلم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فان محمدا عليه السلام مات كما ماتوا
واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا ونحن ايضا نشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانت افضلنا وسيدنا وثبتوا على اسلامهم
وتركوا بقية الناس فيهم فيه وبعث الصديق رضي الله عنه اليهم العلاء بن
الحضرمي فلما دنى من البحرين جاءه اليمامة بن اثال في جحفل كثير وجاءه امراء تلك
النواحي فانضافوا الى جيش العلاء الحضرمي فاكرمهم العلاء ورحب بهم
واحسن اليهم لما اقترب العلاء من جيوش المرتدة وقد جمعوا
خلقا كثيرا نزلوا ونزلوا فنجا ودين في المنازل فبينما المسلمون في الليل اذ
سمع العلاء اصواتا عالية في جيش المرتدين فقال من يكشف لنا خبر هؤلاء
فقام عبد الله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب
فرجع اليه فاخبره فركب العلاء من فوره هو والجيش معه فلبسوا اوليك

ان كانوا اذا ولدت ... ولدت ... فقال ... ولدت ... ذكرا ... ذكرا ... ولدت ... ذكرا ... ولدت ... ذكرا ...

الوصيلة هي الشاة اذا ولدت ستة ابطن اثنين ... اثنين ... ولدت ... ولدت بعده ذكرا ... وانثى قالوا وصلت اخاها فاحلوا لبنها للرجال وحرموه على النساء وقيل ان كان الذكر ... ذكرا ... ولدت ... ذكرا ... ولدت ... ذكرا ... منه الرجال والنساء وان كانت انثى فالنفع ... ذكرا ... ولدت ... ذكرا ... ولدت ... ذكرا ... وصلت اخاها ولم يذبح وكان لبنها حراما على النساء

فقتلوهم قتلا عظيما وقل من هرب منهم واستولى على جميع اموالهم وحواصلهم
واثقالهم فكانت غنيمة عظيمة جسيمة ثم ركب المسلمون فى آثارهم منهم
يقتلونهم بكل مرصد وطريق وذهب من فر منهم او اكثرهم فى البحر الى دارين
ثم شرع العلاء فى نقل الاثقال وقسم الغنيمة ولما فرغ من ذلك قال للمسلمين
اذهبوا بنا الى دارين لنغزو ومن بها من الاعداء فاجابوه الى ذلك فسار بهم
فسار بهم حتى اتى ساحل البحر ليركبوا فى السفن فراى ان النسقة بعيدة
لا يصلون اليهم فى السفن حتى يذهب اعداء الله فاقتحم البحر بفرسه وهو
وهو يقول يا ارحم الراحمين يا حليم يا كريم يا احد يا صمد يا حى يا محيى يا قيوم
لا اله الا انت يا ربنا وامر الجيش ان يقولوا ذلك ويقتحموا ففعلوا ذلك فاجازهم
الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ما لا يغمر اخفاف الابل
ولا يصل الى ركب الخيل ومسيره للسفن يوم وليلة فقطعه الى الساحل الاخر
فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنايمهم واستاق الذرارى والاموال ولم
يقعد المسلمين فى البحر ثم رجع فقطعه الى الجانب الاخر فعاد الى موضعه الاول
وذلك كله فى يوم ولم يترك من العدو شيئ سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين
ومع هذا رجع العلاء فى آه بهائم فقسم غنايم المسلمين فيهم فاصاب الفارس
الفين والراجل الفا مع كثرة الجيش وقد قال رجل من المسلمين فى مرورهم
فى البحر وهو عفيف بن المنذر

"الم تران الله ذلل بحره ... وانزل بالكفار احدى الجلايل
"دعونا الى شق البحار فجاءنا ... باعجب من فلق البحار الاوايل

وكان العلاء رضى الله عنه من سادات الصحابة العلماء العبادالمجابى الدعوة وقد ذكرنا
طرفا من كراماته رضى الله عنه ذكر قصة ردة اهل عمان ومهرة
واليمن اما اهل عمان فتبع فيهم رجل يقال له ذو التاج لقيط بن مالك الازدى
وكان يسمى فى الجاهلية الجلندى فادعى النبوة ايضا وتابعه الجهلة من اهل
عمان فتغلب عليها وقهر جيفرا وعياذا والجاهما الى اطرافها من نواحى
الجبال والبحر فبعث جيفر الى الصديق رضى الله عنه فاخبره الخبر واستنجاده
فبعث اليه الصديق بامرين وهما حذيفة بن محصن الحميرى وعرفجة
البارقى من الازد حذيفة الى عمان وعرفجة الى مهرة وامرهما ان يجتمعا
ويتفقا ويبتدئا بعمان وحذيفة هو الامير فاذا سارا الى بلاد مهرة
فعرفجة الامير فسارا فلما اقتربوا من عمان راسلوا جيفرا وبلغ
لقيط بن مالك مجئ الجيش فخرج فى جموعه فعسكر بمكان يقال له دبا

وهى مصر تلك البلاد وسوقها العظم وجعل الذرارى والاموال الى وراء ظهور ليكون اقوى
لحربهم واجتمع جيفر وعياذ بمكان يقال له صحار فعسكروا به وبعثا الى امراء الصديق
فقدموا فتقابل الجيشان هناك وتقاتلوا قتالا شديدا وابتلى المسلمون وكادوا
ان يولوا فمن الله بكرمه ولطفه ان بعث اليهم مددا فى الساعة الراهنة من بنى
ناجية وعبد القيس فى جماعة من الامراء فلما وصلوا اليهم كان الفتح والنصر فولى
المشركون مدبرين وركبت المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة الاف مقاتل
وسبوا الذرارى واخذوا الاموال والسرق بحذافيرها وبعثوا الخمس الى الصديق
مع احد الامراء وهو عرفجة ثم رجع الى اصحابه واما مهرة فانه لما فرغوا من
عمان سار عكرمة بالناس الى بلاد مهرة وكان عكرمة امره الصديق ان يلحق
بحذيفة وعرفجة قبل ان يصلا الى عمان وقد كان الصديق كتب اليهما ان يرجعا
الى راى عكرمة بعد الفراغ فى السير من عمان والمقام بها ولما سار عكرمة بالناس الى
بلاد مهرة ممن معه من الجيوش ومن اضيف اليهما واقتحم على بلادها وجدهم جندين
على احدهما وهم الاكابر اميرين يقال له المصبح احد بنى محارب وعلى الجند الاخر الامير يقال
له سخريب وهما مختلفان وكان هذا الاختلاف رحمة على المسلمين فراسل عكرمة
سخريب فاجابه وانضاف الى عكرمة فقوى بذلك المسلمون وضعف جاش المصبح
فبعث اليه عكرمة يدعوه الى الله والى السمع والطاعة فاغتر بكثرة من معه ومخالفته
لسخريب فتهادى على طغيانه فسار اليه عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبح
اشد من قتال ذبا المتقدم ثم فتح الله بالنصر والظفر فقر المشركون وقتل المصبح و
خلق كثير من قومه وغنم المسلمون اموالهم فكان فى جملة ما غنموا الفا بختية فخمس
عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه الى الصديق مع سخريب واخبره بما فتح الله عليه والبشارة
مع رجل يقال له السايب من بنى عابد بن مخزوم واما اهل اليمن فقد قدمنا ان
الاسود العنسى لعنه الله لما نبغ باليمن اضل خلقا كثيرا من ضعفاء العقول والاديان حتى
ارتد كثير منهم واكثرهم عن الاسلام وانه لما قتل الامراء الثلاثة قيس بن مكشوح
وفيروز والديلمى وداذويه وكان ما قد منا ذكره ولما بلغهم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ازداد بعض اهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك وطمع قيس بن مكشوح فى
الامر باليمن فعمل لذلك وارتد عن الاسلام وتابعه عوام اهل اليمن وكتب الصديق الى
الامراء او الرؤساء من اهل اليمن ان يكونوا مع فيروز والابناء على قيس بن مكشوح
حتى ياتيهم جنوده سريعا وحرص قيس على قتل الاميرين الاخرين فلم يقدر الا على
داذويه واحترز منه فيروز الديلمى وذلك انه عمل طعاما وارسل الى داذويه اولا

فلما جاءه عجل عليه فقتله ثم ارسل الى فيروز ليحضر عنده فلما كان ببعض
الطريق سمع امراة تقول الاخرى وهذا ايضا والله مقتول كما قتل
صاحبه فرجع من الطريق واخبر اصحابه بقتل ذاويه وخرج الى اخواله
خولان فتحصن عندهم وساعد عقيل وعك وخلق وعمد قيس الى ذاري
فيروز وذاويه والابناء فاجلاهم عن اليمن وارسل طائفة الى البر و
طائفة في البحر فخرج فيروز في خلق كثير فتصاف هو وقيس فاقتتلوا قتالا
شديدا فهزم قيس وجنده من المعوام وبقية جند الاسود العنسي لعنه الله
فهربوا في كل وجه واسر قيس وعمرو بن معدي كرب وكان عمرو قد ارتد
ايضا وتابع الاسود العنسي وبعث بهما المهاجر بن ابي امية الى ابي بكر
اسيرين فعنفهما وانبهما فاعتذرا اليه فقبل منهما علانيتهما ووكل
سرايرهما الى الله عز وجل واطلق سراحهما ورده هما الى قومهما ورجعت
عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا باليمن الى اماكنهم التي كانوا عليها
في حياته عليه السلام بعد خروج خروب طويلة ولم يزل الامر كذلك حتى
لم يبق بجزيرة العرب الا اهل طاعة لله ولرسوله عليه السلام او اهل
ذمة من الصديق كاهل نجران وما جرى بحراهم ولله الحمد وعامة
ما وقع من هذه الحروب كان في اواخر سنة احدى عشرة واوايل سنة اثنتي عشرة
ثم نذكر من توفي في هذه السنة من الاعيان والمشاهير وبالله المستعان
وفيها رجع معاذ بن جبل من اليمن وفيها استقضى ابو بكر الصديق عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ذكر من توفي في هذه السنة اعني سنة احدى عشرة
من الاعيان والمشاهير قال ابن كثير رحمه الله وذكرنا معهم من قتل
باليمامة لانها كانت في سنة احدى عشرة على قول بعضهم وان كان المشهور
انها في ربيع سنة اثنتي عشرة توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين ثاني عشر من ربيع الاول على المشهور كما ذكرنا مفصلا وبعده
بستة اشهر على الاشهر توفيت ابنته فاطمة رضي الله عنها وتكنى بام
ابيها وكانت اصغر بنات النبي عليه السلام على المشهور ولم يبق بعده
سواها ويقال انها كانت توأما لعبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس لعلي عليه السلام نسل الا من جهتها قال الزبير بن بكار وقد تزوجها
ابن عمها علي ابن ابي طالب بعد الهجرة وذكر بعد بدر وقيل احد وقيل بعد
تزوج النبي عليه السلام عائشة رضي الله عنها باربعة اشهر ونصف وبنى بها بعد

ذلك بسبعة اشهر ونصف واصدقها درعه الحطمية قيمتها اربعمائة درهم وكان
عمرها اذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة اشهر وكان علي اسن منها بست سنين
فولدت له حسنا وحسينا ومحسنا وام كلثوم التي تزوج بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بعد ذلك وذكر ابن قدامة المقدسي في كتاب التبيين وروى انه فاطمة رضي الله عنها
ولدت ابنا ثالثا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم محسنا وقال سميتهم باسماء
ولد هارون عليه السلام شبر وشبيل ومشبر وقد وردت احاديث موضوعة
في تزويج علي بفاطمة لم نذكرها رغبة عنها ولما حضرتها الوفاة اوصت الى
اسماء بنت عميس امراة الصديق رضي الله عنه ان تغسلها فغسلتها هي وعلي بن
ابي طالب وسلمى ام رافع قيل والعباس بن عبد المطلب قال ابن كثير وما روي
من انها اغتسلت قبل وفاتها واوصت ان لا تغسل بعد ذلك فضعيف لا
يعول عليه وكان الذي صلى عليها زوجها علي وقيل عمها العباس رضي الله عنه
وقيل ابو بكر الصديق ودفنت ليلا وذلك ليلة الثلاث الثالث خلون من
رمضان سنة احدى عشرة وقيل انها توفيت بعده عليه السلام بشهرين
وقيل بسبعين يوما وقيل بخمسة وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر
وقيل بثمانية اشهر والصحيح ما ثبت في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها ان
فاطمة رضي الله عنها عاشت بعد النبي عليه السلام ستة اشهر ودفنت ليلا
ودفنت بالبقيع وهي اول من ستر سريرها واختلف في مقدار سنها
يومئذ فقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وعشرون وقيل ثلاثون
وقيل خمس وثلاثون سنة وهذا بعيد وما قبله اقرب منه والله اعلم وقد ذكرنا ما اتفق
لها من جهة الميراث مع ابي بكر رضي الله عنه فلم تزل متغضبة مدة حياتها فلما مرضت
جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها وقال والله ما تركت الدار والمال والاهل
والعشيرة الا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم اهل البيت فرضيت
رضي الله عنها رواه البيهقي من طريق اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي ثم قال وهذا مرسل
حسن باسناد صحيح وقد كانت فاطمة صابرة مع علي على جهد العيش وضيقته ولم يتزوج
عليها حتى ماتت ولكنه اراد ان يتزوج في وقت بدرة بنت ابي جهل فانف رسول الله صلى
من ذلك وخطب الناس وقال اني لا احرم حلالا ولا احل حراما وان فاطمة بضعة
مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما اذاها واني اخشى ان تفتن عن دينها ولكن احب
ابن ابي طالب ان يطلقها ويتزوج بنت ابي جهل فانه والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت

عدو الله تحت رجل واحد ابدا قال فترك على الخطبة ومنهم ام ايمن بركة بنت ثعلبة
بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من
ابيه وقيل من امه وحضنته وهو صغير وكذلك بعد ذلك وقد شربت بكوله عليه السلام
فقال لها لقد احتظرت بحظار من النار وقد اعتقها وزوجها عبيدا فولدت منه ابنها
ايمن فعرفت به ثم تزوجها زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت اسامة
بن زيد وقد هاجرت الهجرتين الى الحبشة والمدينة وكانت من الصالحات وكان عليه السلام
يزورها في بيتها ويقول هي امي بعد امي وكذلك كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزورانها
في بيتها وقد توفيت بعده عليه السلام بخمسة اشهر وقيل بستة اشهر ومنهم ثابت بن
اقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي حليف الانصار شهد بدرا وما بعدها وقد تقدم
ان طليحة الاسدي قتله وقتل معه عكاشة بن محصن وذلك في سنة احدى عشر وقيل
اثنتي عشر وعن عروة انه قيل في حياة النبي عليه السلام وهذا غريب والصحيح الاول
ومنهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الخزرجي ابو محمد خطيب الانصار ويقال له
ايضا خطيب النبي عليه السلام قتل يوم اليمامة شهيدا وقد ثبت انه عليه السلام بشره بالجنة
وانه بشره بالشهادة ومنهم حزن ابن ابي وهب بن عمرو بن عايذ بن عمران المخزومي
له هجرة ويقال اسلم عام الفتح وهو جد سعيد بن المسيب اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يسميه سهلا فامتنع وقال لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد فلم تزل الحزونة
فينا استشهد يوم اليمامة وقيل معه ايضا ابناه عبد الرحمن ووهب وابن ابنه حكيم
بن وهب بن حزن وممن استشهد في هذه السنة ذادويه الفارسي احد امراء اليمن
الذين قتلوا الاسود العنسي قتله غيلة قيس بن مكشوح حين ارتد قبل ان يرجع
قيس الى الاسلام ومنهم زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ابو محمد اخو عمر
بن الخطاب رضي الله عنه لابيه وكان زيد اكبر من عمر اسلم قديما وشهد بدرا وما بعدها
وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معن بن عدي الانصاري وقد قتلا جميعا
باليمامة وقد كانت راية المهاجرين يومئذ بيده فلم يزل يتقدم بها حتى قتل قتله رجل
يقال له ابو مريم الحنفي وقد اسلم بعد ذلك وقيل انما قتله سلمة بن صبيح ابن عم ابي مريم
هذا ورجحه ابو عمر وقال لان عمر استقضى ابا مريم وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد
بن الخطاب سبقني الى الحسنيين اسلم قبلي واستشهد قبلي ومنهم سالم بن عبيد
ويقال ابن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شهد بدرا وما بعدها وقد
اخذ الراية يوم اليمامة بعد مقتل زيد بن الخطاب قال له المهاجرون اخشى ان
نؤتى من قبلك فقال بئس حامل القرآن انا اذا فقطعت يده اليمنى فاخذها باليسرى

ای من استشهد فی هذه السنة من الصحابة رضی الله عنهم

رضی الله

رضی الله

رضی الله

فقطعت فاحتضنها وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وكاين
من نبي قتل معه ربيون كثير فلما صرع قال لاصحابه ما فعل ابو حذيفة قالوا قتل
قال فما فعل فلان قالوا قتل قال فاضجعوني بينهما ومنهم ابو دجانة سماك بن
خرشة ويقال سماك بن اوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة
بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصاري الخزرجي شهد بدرا واحدا وابلى يوم
احد وقاتل قتالا شديدا واستشهد يوم اليمامة وقد قيل انه شهد صفين مع علي
والاول اصح ابو دجانة بضم الدال وتخفيف الجيم وبالنون وسماك بكسر السين
وتخفيف الميم وخرشة بفتح الخاء المعجمة وفتح الراء والشين المعجمة قال ابن كثير
واما ما يروى عنه من ذكر الحرز المنسوب الى ابي دجانة فاسناده ضعيف
لا يلتفت اليه ومنهم شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي حليف بني عبد شمس
اسلم قديما وهاجر وشهد بدرا وما بعدها واستشهد يوم اليمامة عن بضع
واربعين سنة وكان رجلا طوالا نحيفا اجنا ومنهم الطفيل بن عمرو بن
طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن غنم بن دوس الدوسي اسلم قديما قبل
الهجرة استشهد يوم اليمامة ومنهم عباد بن بشر بن وقش الانصاري اسلم
على يدي مصعب بن عمير قبل الهجرة قبل الحلام معاذ واسيد بن الحضير شهد بدرا
وما بعدها قتل يوم اليمامة شهيدا عن خمس واربعين سنة عباد بفتح العين وتشديد
الباء الموحدة وبشر بالشين المعجمة ووقش بفتح الواو وسكون القاف وبالشين
المعجمة ومنهم عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود القرشي
العامري اسلم قديما وهاجر قتل يوم اليمامة ومنهم عبد الله بن عبد الله بن
ابي بن سلول الانصاري الخزرجي كان من سادات الصحابة وفضلائهم وكان ابوه
راس المنافقين وكان اشد الناس على ابيه ولو اذن له رسول الله صلى الله عليه
فيه لضرب عنقه وكان اسمه الحباب فسماه رسول الله عبد الله وقد استشهد
يوم اليمامة ومنهم عبد الله بن ابي بكر الصديق اسلم قديما ويقال انه الذي كان
ياتي بالطعام والشراب والاخبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابيه ابي بكر
وهما بغار ثور ويبيت عندهما ويصبح بمكة كبائت فلا يسمع بامر يكادان به
الا اخبرهما به وقد شهد الطائف فرماه رجل بسهم فقتله وقد روي منها فاندملت ولكن لم يزل منها ضعيفا حتى مات في شوال سنة
احدى عشرة ومنهم السايب بن عثمان بن مظعون بدري من الرماة اصابه يوم
اليمامة سهم فقتله وهو شاب ومنهم السايب بن العوام اخو الزبير بن العوام

رضی الله عنه

استشهد يومئذ ومنهم عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن
كثير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة الاسدي حليف بني عبد شمس يكنى
ابا محصن وكان من سادات الصحابة وفضلائهم هاجر وشهد بدرا وقد خرج
مع خالد يوم امر الصديق بذي القصة فبعثه وثابت بن ارقم بين يديه
طليعة فتلقاهما طليحة الاسدي واخوه سلمة فقتلاهما وكان عمر عكاشة
يومئذ اربعا واربعين سنة وكان من اجمل الناس رضي الله عنه عكاشة بضم العين
وتشديد الكاف وتخفيفها والتشديد اكثر وحرثان بكسر الراء وبالثاء
المثلثة والنون ومنهم معن بن عدي بن الجد بن عجلان بن ضبيعة البلوي
حليف بني عمرو بن عوف وهو اخو عاصم بن عدي شهد العقبة وبدرا واحدا او
الخندق وساير المشاهد وكان قد اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد
بن الخطاب فقتلا جميعا يوم اليمامة الجد بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة وضبيعة
بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة ومنهم الوليد وابو عبيد ابنا عمارة
بن الوليد بن المغيرة قتلا مع عمهما خالد بن الوليد بالبطاح وابوهما عمارة
بن الوليد هو صاحب عمرو بن العاص الى النجاشي وقصته مشهورة ومنهم
ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي العبشمي اسلم قديما قبل دار
الارقم وهاجر الى الحبشة والى المدينة وشهد بدرا وما بعدها واخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين عباد بن بشر وقد قتلا شهيدين يوم اليمامة وكان
عمر ابي حذيفة يومئذ ثلثا او اربعا وخمسين سنة وكان طويلا حسن الوجه
احول اثقب وهو الذي له سن زايدة وكان اسمه هشيم وقيل مهشم وقيل
هاشم وبالجملة فقد قتل من المسلمين يوم اليمامة اربعمائة وخمسون من حملة
القرآن ومن الصحابة وغيرهم وانما اوردنا هؤلاء لشهرتهم قال ابن كثير ومعن
استشهد يومئذ من المهاجرين مالك بن عمرو حليف بني غنم مهاجري بدري
ويزيد بن رقيش بن رياب الاسدي بدري والحكم بن سعيد بن العاص بن امية
الاموي وحبيب بن مالك بن بجينة اخو عبد الله بن مالك الازدي حليف بني المطلب
بن عبد مناف وعامر بن البكير الليثي حليف بني عدي بدري ومالك بن ربيعة حليف
بني عبد شمس وابو اممية صفوان بن امية بن عمرو ويزيد بن اوس حليف بني
عبد الدار وحسنى ويقال معلى بن حارثة الثقفي وحبيب واسيد بن حارثة
الثقفي والوليد بن عبد شمس المخزومي وعبد الله بن عمرو بن مخزاة العدوي
وابو قيس بن الحارث بن قيس السهمي وهو من مهاجرة الحبشة وعبد الله بن

الحارث بن قيس وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن ابي قيس بن عبد ود
بن نصر العامري من المهاجرين الاولين شهد بدرا وما بعده وقتل يومئذ
وعمرو بن اوس بن سعد بن ابي سرح العامري وسليط بن سليط بن عمرو
العامري وربيعة بن ابي خمشة العامري وعبد الله بن رحيضة من بني عامر
ومن الانصار غير من ذكرنا ترجمهم عمان حزم بن زيد بن لوذان النجاري
وهو اخو عمر بن حزم كانت معه راية قومه يوم الفتح وقد شهد بدرا وقتل يومئذ
وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام السلمي شهد العقبة الاولى وشهد بدرا
وما بعدها وثابت بن هزال من بني سالم بن عوف بدري في قول الجماعة وابو عقيل
بن عبد الله بن ثعلبة من بني حجبا شهد بدرا وما بعدها فلما كان يوم اليمامة اصابه
سهم فنزعه ثم تحزم واخذ سيفه فقاتل حتى قتل وقد اصابته جراحات كثيرة
وعبد الله بن عتيك ورافع بن سهل وحاجب بن يزيد الاشهلي وسهل بن
عدي ومالك ابنا اوس وعمه ابن اوس وطليحة ابو عنيبة من بني نجبا ورباح
مولى الحارث ومعبد بن عدس وجزء بن مالك بن عامر من بني نجبا ودقة
ابن اياس بن عمرو والخزرجي بدري وجروان بن العباس وعامر بن ثابت وبشر
بن عبد الله الخزرجي وكليب بن تيم وعبد الله وعتبان واياس بن وديعة
واسيد بن يربوع وسعد بن حارثة وسهل بن جمان ومخاشن بن حميير
وسلمة بن مسعود وقيل مسعود بن سنان وحمزة بن عياض وعبد الله بن انيس
وابو حبيب بن عزيه المازني وحباب بن زيله وحبيب بن عمرو بن محصن وثابت
بن خالد وفروة بن النعمان وعايذ بن ماعص ويزيد بن ثابت بن الضحاك اخو
زيد بن ثابت قال خليفة بن خياط فجميع من استشهد من المهاجرين والانصار
يوم اليمامة ثمانية وخمسون رجلا يعني وبقية الاربعاية والخمسين من غيرهم
وقد قتل من الكفار فيما سلف من المواطن التي التقى فيها المسلمون والمشركون
في هذه والايام التي قبلها ما ينيف على خمسين الفا فمن مشاهيرهم الاسود
العنسي واسمه عبهلة بن كعب بن عوف ومسيلمة بن حبيب اليمامي لعنهما
ويقال ان مسيلمة لما قتل كان عمره مائة واربعين سنة وقد ذكرنا قصة
موتهما لعنهما الله تعالى فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
الثانية عشر من الهجرة استهلت هذه السنة وجيوش الصديق وامرائه
الذين بعثهم لقتال اهل الردة جوالون في البلاد يمينا وشمالا لتمهيد قواعد الاسلام
وقتال الطغاة من الانام حتى رد شارد الدين بعد ذهابه ورجع الحق

الى نصابهم وتمهدت جزيرة العرب وصار البعيد الاقصى كالقريب الادنى الاقرب
وقد قال جماعة من علماء السير والتواريخ ان وقعة اليمامة كانت في ربيع الاول
من هذه السنة وقيل انها كانت في اواخر السنة التي قبلها والجمع بين القولين
ان ابتداءها كان في السنة الماضية وانتهاءها وقع في هذه السنة فقد قيل ان
وقعة جواثى وعمان ومهرة وما كان من الوقايع التي اشرنا اليها انها كانت
في سنة ثنتي عشرة وفيها قتل الملوك الاربعة جمد ومخوس ومشرحا وابضعة
واختهم العمردة الذين ورد الحديث في مسند احمد بلغتهم وكان الذين قتلهم
زياد بن لبيد الانصاري قصة بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العراق
لما فرغ خالد رضي الله عنه من اليمامة بعث اليه الصديق رضي الله عنه ان يسير الى
العراق وان يبدأ بفرج الهند وهي الابلة وياتي العراق من اعاليها وان
يتالف الناس ويدعوهم الى الله عز وجل فان اجابوا والا اخذ منهم الجزية فان
فان امتنعوا من ذلك كله قاتلهم في الله وامره ان لا يكره احدا على المسير معه
ولا يستعين بمن ارتد عن الاسلام وان كان قد عاد اليه وامره ان يستصحب
كل امير مر به من المسلمين وشرع ابو بكر رضي الله عنه في تجهيز السرايا و
والبعوث والجيوش امدادا لخالد رضي الله عنه قال الواقدي فاختلف
في خالد فقايل يقول مضى من وجهه ذلك من اليمامة الى العراق وقايل يقول
رجع الى اليمامة الى المدينة ثم سار الى العراق من المدينة فمر على طريق الكوفة
حتى انتهى الى الحيرة قال ابن كثير والمشهور الاول وقد ذكر المدايني باسناده
ان خالدا توجه الى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة فجعل طريقه البصرة و
فيها قطبة بن قتادة وعلى الكوفة المثنى بن حارثة الشيباني وقال محمد بن
اسحق عن صالح بن كيسان ان ابا بكر كتب الى خالد ان يسير الى العراق فمضى
خالد بن الوليد يريد العراق حتى نزل بقرياتٍ من السواد يقال لها باقيا
وبارسوما والليس وصاحبها جابان فصالحه اهلها وقال ابن كثير وقد
قتل منهم المسلمون قبل الصلح خلقا كثيرا وكان الصلح على الف درهم وقيل الف
دينار وخمار جب وكان الذي صالحه بصبهري بن صلوبا ويقال صلوبا بن بصبهري
فقبل منهم خالد وكتب لهم كتابا ثم اقبل حتى نزل الحيرة فتح الحيرة
ولما نزل خالد الحيرة خرج اليه اشرافها مع قبيصة بن اياس بن حيشة
الطايي وكان امره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال لهم خالد
ادعوكم الى الله والى الاسلام اجيبوا اليه فانتم من المسلمين لكم مالهم وعليكم

رضي الله عنه

رضي الله عنه

الابلة بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام المفتوحة مدينة صغيرة على شاطئ دجلة البصرة

من مع

ما عليهم فان ابيتم فالجزية فان ابيتم الجزية فقد اتيتكم باقوام احرص على الموت منكم على الحياة جاهرناكم
حتى يحكم الله بيننا وبينكم قال وقبيصة مالنا بحرب بكر من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية
فصالحهم على تسعين الف درهم وفي رواية مائتي الف فكانت اول جزية اخذت من العراق
وحملت الى المدينة هي والقربات قبلها عليها ابن صلوبا كما مر ثم بعث خالد بن الوليد رضي
كتابا الى امراء كسرى بالمداين ومرازبته وورزآئه وصورته من خالد بن الوليد الى
مرازبة اهل فارس سلام على من اتبع الهدى اما بعد فالحمد لله الذي قصم حديثكم وسلب
ملككم ووهن كيدكم وانه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي
له مالنا وعليه ما علينا اما بعد فاذا جاءكم كتابي فابعثوا الي بالرهن واعتقدوا مني الذمة
والا فلا تلوموا الا انفسكم والسلام على من اتبع الهدى لا بعثن اليكم قوما يحبون الموت كحبكم انتم الحياة فلما قرؤا الكتاب
اخذوا يتعجبون فتح الابلة وهي التي يقال لها فرج الهند كما ذكرنا قال سيف بن عمر فرق
خالد مخرجه من اليمامة الى العراق ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحدة فسرح بالمثنى
قبله بيومين ودليله ظفر وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلهما مالك بن عبد وسلم
بن نصر احدهما قبل صاحبه بيوم وخرج خالد بعدي في اخرهم ودليله رافع فواعدهم جميعا الجفر
ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم وكان فرج الهند اعظم فروج فارس شانا واشده شوكة وكان
صاحبه محارب في البر والهند في البحر وهو هرمز فكتب اليه خالد فبعث هرمز كتاب
خالد الى شيرى بن كسرى وجمع هرمز جموعا كثيرة وسار بهم الى كاظمة وعلى مجنبتيه
قباذ وانوشجان وهما من بيت الملك وقد تفرق الجيش في السلاسل ليلا يفروا وكان
هرمز هذا من احبث الناس طوية واشدهم كفرا وكان شريفا في الفرس وكان الرجل اذا
ازداد في الشرف زاد في حليته وكانت قلنسوة هرمز بمايتي الف وكانت مرصعة
بالجوهر وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر الفا فنزل تجاههم على غير ماء فقلى
اليه اصحابه ذكر فقال خالد وهم حين غلبوهم عن الماء فان الله جاعل الماء لاصبر الطائفتين فلما
استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم بعث الله سحابة فامطرتهم حتى صار لهم
غدران من ماء فقوى المسلمون بذلك وفرحوا فرحا شديدا فلما تواجه الصفان و
تقابل القرينان ترجل هرمز ودعى الى البراز فترجل خالد رضي الله عنه وتقدم الى هرمز
فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد وجاءت حامية هرمز فاشغلته عن قتله وحمل
القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فانامهم وانهزم اهل فارس واكب المسلمون
اكتافهم الى الليل واستحوذ خالد على امتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر الف بعير وسميت
هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من تسلسل بها من فرسان فارس واقلت
قباذ وانوشجان ولما رجع الطلب نادى منادي خالد يا لرجل فسار بالناس وتبعه

قوله الى كاظمة بالعجمة الكسورة اسم موضع وقيل بالمهملة اسم موضع قرب الحيرة

الله عنه

الفاء بضم العجمة وسكون الفاء بينهما مهملة خالد بن عبيد الله بن اسيد

الاثقال حتى نزل بموضع الجسر الاعظم من البصرة اليوم وبعث بالفتح والبشارة والخمس
مع رزين بن كليب الى الصديق وبعث ابوبكر لما بلغه الخبر الى خالد فتثاقل سلك هرمز
وكانت قلنسوته بمائة الف كما ذكرنا وبعث خالد الامرآ يمينا وشمالا يتجاوزون
حصونا هنالك فيفتحونها عنوة وصلحا واخذوا منها اموالا جمة ولم يكن خالد يتعرض
الفلاحين من لم يقاتل منهم ولا اولادهم بل للمقاتلة من اهل فارس ذكر وقعة
المذار ثم كانت وقعة المذار في صفر من اهل هذه السنة ويقال لها وقعة الميذى
وهو النهر قال ابن جرير ويومئذ قال الناس صفر الاصفار فيه يقتل كل جبار
على مجمع الانهار وكان سببها ان هرمز كان قد كتب الى ازدشير وشيرى
بقدوم خالد كما ذكرنا فبعث اليه كسرى بمدد مع امير يقال له قارن بن قريانس
فلم يصل الى هرمز حتى كان من امره مع خالد ما تقدم وفر من فر من الفرس
فتلقاهم قارن فالتقوا عليه فتوامروا واتفقوا على العود الى خالد فساروا
الى موضع يقال له المذار وعلى مجنبتي قارن قباذ وانوشجان فلما انتهى الخبر الى
خالد قسم ما كان معه من اربعة اخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وارسل الى
الصديق يخبره مع الوليد بن عقبة وسار خالد بمن معه من الجيوش حين نزل
على المذار وهو على تعبئته فاقتتلوا قتالا شديدا وخرج قارن يدعو الى البراز
فبرز اليه خالد وابتدره الشجعان من الامرآ فقتل معقل بن الشاس الاعشى
قارن وقتل عدي بن حاتم قباذ وقتل عاصم انوشجان وفدت الفرس ركبهم
المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين الفا وغرق كثير منهم في
الانهار والمياه واقام خالد بالمذار وسلم الاسلاب الى من قتل وكان قارن
قد انتهى شرفه في ابناء فارس وجمع بقية الغنيمة وخمسها وبعث بالخمس
والفتح والبشارة الى الصديق مع سعيد بن النعمان اخي بني عدي بن كعب واقام خالد
بفم الماء هنالك حتى قسم اربعة الاخماس وسبي ذراري من حضر من المقاتلة
دون الفلاحين فانه اقرهم بالجزية وكان في هذه السبي حبيب ابو الحسن البصري
وكان نصرانيا وباقيه مولى عثمان وابو زياد مولى المغيرة بن شعبة ثم امر على
الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزى سويد بن مقرن وامره ان ينزل الجفرة
ليجبي اليه الاموال واقام خالد يتجسس الاخبار عن الاعداء ثم كان امر الوليجة في صفر

ذكر امر الوليجة

ايضا من هذه السنة فيما ذكره ابن جرير رحمه الله وذلك لانه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن واصحابه الى ازدشير
وهو ملك الفرس يومئذ بعث اميرا شجاعا يقال له الاقذر زعر وكان من ابناء
السواد ولد بالمدائن ونشأ بها وامده بجيش اجتمع اميرا يقال له بهمن

جاذويه فساروا حتى بلغوا مكانا يقال له الوليجة فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود
ووصى من استخلفه هناك بالحذر وقلة الغفلة فنازل الاقذر زعر ومن ناشب معه
واجتمع عنده بالوليجة فصافهم فاقتتلوا قتالا شديدا هو اشد مما قبله حتى ظن الفريقان
ان الصبر قد فرغ واستنبطى كمينه الذي كان قد ارصدهم وراءه في موضعين فما كان
الا يسيرا حتى خرج الكمينان من ههنا وههنا فدرت صفوف الاعاجم فاخذهم
خالد من امامهم والكمينان من ورائهم فهرب الاقذر زعر من الوقعة فما عطف
وقام خالد في الناس خطيبا فرغبهم في بلاد الاعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال
الا ترون ما ههنا من الاطعمات وبالله لولم يكن بنا الجهاد في الله والدعاء الى
الاسلام ولم يكن الا الاطعاش فكان الراي ان نقاتل عن هذا الريف حتى نكون
اولى به ونولي الجوع والاقلال من تولاه ممن تثاقل عما انتم عليه ثم خمس الغنيمة
وقسم اربعة اخماسها بين الغانمين وبعث الخمس الى الصديق واسر من اسر من
ذراري المقاتلة واقد الفلاحين بالجزية وعن الشعبي قال بارز خالد يوم الوليجة
رجلا من الاعاجم بعد مبارزة الف رجل فقتله ثم اتكى عليه واتى بغدائه فاكله
وهو متكي عليه يعني بين الصفين ذكر وقعة الليس قال ابن كثير ثم كانت وقعة الليس
في صفر ايضا وذكر ان خالدا كان قد قتل يوم الوليجة طايفة من بكر بن وايل من
نصارى العرب ممن كان مع الفرس فاجتمع لعشايرهم عند الاسود العجلي وكان
قد قتل له ابن بالامس فكاتبوا الاعاجم وارسل اليهم ازدشير جيشا مددا فاجتمعوا
بمكان يقال له الليس فبينما هم قد نصبوا لهم سماطا فيه طعام يريدون لكله اذ غالهم
خالد بجيشه فلما رآوه اشار من اشار منهم باكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد وقال
امير كسرى بل ننهض اليه فلم يسمعوا منه فلما نزل خالد فقدم بين يدي جيشه
ونادى باعلى صوته لشجعان من هنالك من الاعراب اين فلان اين فلان فكلهم
تكلموا عنه الا رجلا يقال له مالك بن قيس من بني خذرة فانه برز اليه فقال له خالد
يا ابن الخبيثة ما جرأك علي من بينهم وليس فيكم وفاء وضربه فقتله فنفرت
الاعاجم عن الطعام وقاموا الى السلاح فاقتتلوا قتالا شديدا جدا
والمشركون يترقبون قدوم بهمن مددا من جهة الملك اليهم وهم في قوة
وشدة وكلب في القتال وصبر المسلمون صبرا بليغا وقال خالد اللهم لك علي
ان تمنحنا اكتافهم ان لا استبقي منهم احدا اقدر عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم
ثم ان الله عز وجل منح المسلمين اكتافهم فنادى منادي خالد الا اسر الا اسيرا
لا تقتلوا من اتبع من الاسر فاقبلت الخيول بهم افواجا يسوقون سوقا وقد

وقد وكل بهم رجالا يضربون اعناقهم في النهر فعل ذلك بهم يوما وليلة ويطلبهم
في الغد ومن بعد الغد وكلما حضر منهم احد ضرب عنقه في النهر وقد صرف
ماء النهر الى موضع اخر فقال له بعض الامراء ان النهر لا يجري بدمائهم حتى يرسل
الماء على الدم فيجري معه فيرسل فارسل فسال النهر دما عبيطا فلذلك سمي
نهر الدم الى اليوم فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدم العبيط ثلاثة
ايام وبلغ عدد القتلى سبعين الفا ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من
الناس عدل خالد الى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين هذا
نقل فانزلوا فكلوا فنزل الناس فاكلوه عشاء وقد جعل الاعاجم على طعامهم
جردقا كثيرا فجعل من يراه من اهل البادية من الاعراب يقولون ما هذه
الرقع نحسبونها ثيابا فيقول لهم من يعرف ذلك من اهل الاريافي والمدن
اما سمعتم برقيق العيش قالوا بلى قالوا فهذا رقيق العيش فسموه يومئذ رقاقا
وانما كانت العرب تسمي القرى وكان كل من قتل بعين الوقعة يوم اليس
من بلدة يقال لها اعيسيا فعدل اليها خالد وامر بحرابها واستولى على
ما بها فوجد وافيها مغنما عظيما فقسم بين الغانمين ما اصاب الفارس
بعد النفل الفا وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله وبعث خالد الى الصديق
رضي الله عنهما بالبشارة والفتح والخمس من الاموال والسبي مع رجل يقال له جندل
من بني عجل وكان دليلا صارما فلما بلغ الصديق البرسالة وادى الامانة اثنى
عليه واجازه جارية من السبي وقال الصديق يا معشر قريش ان اسدكم
قد عدا على الاسد وقد عجزت النساء ان يلدن مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه

نزول خالد رضي الله عنه في الحوزق والسدير

فنزل الحوزق والسدير والنجف وبث سراياه ههنا وههنا يحاصرون
الحصون من الحيرة ويستنزلون اهلها قسرا وقهرا وصلحا ويسرا فكان
في جملة من نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم عمرو بن عبد المسيح بن
حيان بن بقيلة وكتب لاهل الحيرة كتاب امان وكان الذي راوضه عليه
عمرو بن عبد المسيح ووجد خالد معه كيسا فقال ما في هذا وفتحه خالد فوجد فيه
شيأ فقال ابن بقيلة هو سم ساعة فقال ولم استصحبته معك فقال حتى اذا رابت
من قومي اكلة فالموت احب الي من ذلك فاخذه خالد في يده وقال
انه لن تموت نفس حتى ياتي على اجلها ثم قال بسم الله خير الاسماء رب الارض
والسماء الذي ليس يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم قال واهوى اليه الامراء

ليمنعوه منه فبادره فابتلعه فلما رأى ذلك ابن نفيلة قال والله يا معشر العرب
لتملكن ما اردتم ما دام منكم احد ثم التفت الى اهل الحيرة فقال لم ار كاليوم اوضح
اقبالا من هذا ثم دعاهم وسألوا خالدا الصلح فصالحهم وكتب لهم كتابا بالصلح
واخذ منهم اربع مائة الف دينار عاجلة وقال سيف بل سابور ثم جاء ابن صلوبا
فصالح خالدا على ما بقي وبر سوما وما حول ذلك على عشر الاف درهم وجاءه
دهاقين تلك البلاد فصالحوه على بلدانهم واهاليهم كما صالح اهل الحيرة على
الحيرة ولما جرى ما جرى مما ذكرنا بقيت القرس جابرين لمن يتولوا امرهم لانه
اتفق انهم في تلك الايام عدوا على ملكهم الاكبر اردشير وابنه شيرين فقتلوهما
وقتلوا كل من ينسب اليهما فاختاروا ايمن يتولانه واختلفوا فيما بينهم غير
انهم جهزوا جيوشا يكون حايلة بين خالد وبين المدائن التي فيها ايوان كسرى
وسرير مملكته فحينئذ كتب خالد الى من هنالك من المرازبة والامراء والوزراء
والدولة ودعوهم الى الله تعالى والى الدخول في دين الاسلام ليثبت ملكهم عليهم والا
فليدفعوا الجزية والا فليعلموا وليستعدوا لقدومه عليهم بقوم يحبون الموت
كما يحبون هم الحياة فجعلوا يعجبون من جراءة خالد وشجاعته ويسخرون من ذلك
لما قتهم في انفسهم وقد اقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة سنة يتردد الى بلاد
فارس ههنا وههنا ويوقع باهلها من البأس الشديد والسطوة الباهرة

فتح الانبار ويسمى هذه الغزوة ذات العيون قال ابن كثير ركب خالد في جيوشه
فسار حتى انتهى الى الانبار وعليها رجل من اعقل الفرس واسودهم في انفسهم
يقال له شيرزاذ فاحاط بها خالد وعليها خندق وحوله اعراب من قومهم على
دينهم واجتمع معهم اهل ارضهم فما نعوا خالدا ان يقبل الى الخندق فضرب
معهم رأسا ولما تواجه الفريقان امر خالد اصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقؤا منهم
الف عين فتصايح الناس ذهبت عيون اهل الانبار وسميت هذه الغزوة ذات
العيون فتراسل شيرزاذ وخالد في الصلح فاشترط خالد امورا امتنع شيرزاذ
من قبولها فتقدم خالد الى الخندق فاستدعى بردي الاموال من الابل فذبحها حتى
ردم الخندق بها وجازهو واصحابه فوقها فلما راى شيرزاذ ذلك اجاب الى الصلح
على الشروط التي اشترطها خالد وسأله ان يردها الى مأمنه ففي له خالد بذلك
وخرج شيرزاذ من الانبار وتسلمها خالد فنزلها واطمأن بها وتعلم الصحابة
ممن بها مع العرب الكتابة العربية وكانوا اولئك العرب قد تعلموها من
عرب قبلهم وهم بنو اياد كانوا بها من زمان بخت نصر حين اباح العراق للعرب
ثم صالح خالد اهل البوازيج وكلوا ذا قالوا ثم نقض اهل الانبار ومن حولهم عهدهم لما

البوازيج بفتح الباء الموحدة وكسر الزاي وفي آخره جيم من اعمال الانبار وبين الكوفة وبوازيج اخرى مدينة بين واسط وبغداد وبينهما وبين كل منهما يوم

لما اضطربت بعض الاحوال ولم يبق على عهده سوى البوازيج وباقتيا وقعة عين التمر

ولما استقل خالد بالانبار استناب عليها الزبرقان بن بدر وقصد عين التمر وبها يومئذ مهران بن بهرام في جماعة جمع عظيم من العرب وحولهم من الاعراب طوايف من النمر وتغلب واياد ومن لافهم وعليهم عقة بن ابي عقة بن فلما دنى خالد قال عقة لمهران ان العرب اعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا فقال له دونكم واياهم وان اهتجتم الينا اعنا كم فلامت العجم اميرهم على هذا فقال دعوهم فان غلبوا خالدا فهو لكم وان غلبوا قاتلناه خلدا وقد ضعفوا ونحن اقوياء فاعتزلوا له بفضل الراى عليهم وسار خالد وتلقاه عقة فلما تواجهوا قال خالد رضي الله عنه لمجنبتيه احفظوا مكانكم فاني حامل وامر حمامة ان يكون امين رايته وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه واسره وانهزم جيش عقة من غير قتال فاكثروا فيهم الاسر فقصد خالد عين التمر فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه فنزل من الحصن وهرب وتركه ورجعت فلال نصارى اعراب الى الحصن فوجدوه مفتوحا فدخلوه واحتموا به فجاء خالد فحاط به وحاصرهم اشد الحصار فلما راوا ذلك سالوا الصلح فابى الا ان ينزلوا على حكم خالد فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن ثم امر فضربت عنق عقة ومن كان اسر معه والذين نزلوا على حكمه ايضا اجمعين وغنم جميع ما كان في ذلك الحصن ووجد في الكنيسة التي به اربعين غلاما يتعلمون الانجيل وعليهم باب معلق فكسره خالد وفتشهم في الامراء واهل الغناء فكان فيهم حمران صار الى عثمان بن عفان ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين اخذه انس بن مالك وجماعة اخرون من الكمالي المشاهير اراد الله بهم وبذراريهم خيرا ولما قدم الوليد بن عقبة على الصديق بالخمس رده الصديق الى عياض بن غنم مددا له وهو محاصر دومة الجندل فلما قدم عليه وجدوه في ناحية من العراق يحاصر قوما وهم قد اخذوا عليه الطرق فهو محصور ايضا فقال عياض للوليد ان بعض الدار خير من جيش كثيف ماذا ترى فيما نحن فيه فقال له الوليد اكتب الى خالد يمدك بجيش من عنده فكتب اليه يستمده فقدم كتابه على خالد بغير وقعة عين التمر وهو يستغيثه به فكتب اليه من خالد الى عياض اياك اريد خبر دومة الجندل قال ابن كثير لما فرغ خالد من عين التمر قصد الى دومة الجندل واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الاسلمي ولما سمع اهل دومة الجندل بسيره

اليهم بعثوا الى احزابهم من بهرا وتنوخ وكلب وغسان والضجاعم فاقبلوا اليهم وعلى غسان وتنوخ ابن الايهم وعلى الضجاعم ابن الحدرجان وجماع الناس بدومة الى رجلين اكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة فاختلفا فقال اكيدر انا اعلم الناس بخالد لا احد ايمن طاير منه في حرب ولا اجد منه ولا ير وجه خالد قوم ابدا قلوا ام كثروا الا انهزموا عنه فاطيعوني وصالحوا القوم فابوا عليه فقال لئن اماليكم على حرب خالد وفارقهم فبعث اليه خالد عاصم بن عمرو فعارضه فاخذه فلما اتى به خالدا مر فضربت عنقه واخذ ما كان معه ثم تواجه خالد واهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة وكل قبيلة مع اميرها من الاعراب وجعل خالد رضي الله عنه دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم وافترق جيش الاعراب فرقتين فرقة نحو خالد وفرقة نحو عياض وحمل خالد على من قبله وحمل عياض على اوليك فاسر خالد الجودي واسر الاقرع بن حابس وديعة وفدت الاعراب الى الحصن فملاؤه وبقي منهم خلق ضاق عنهم فعطفت بنو تميم على من هو خارج الحصن فاعطوهم ميرة فنجا بعضهم وجاء خالد فضرب اعناق من وجده خارج الحصن وامر بضرب عنق الجودي ومن كان معه من الاساري الا اساري بني كلب فان عاصم بن عمرو والاقرع بن حابس وبني تميم اجاروهم فقال خالد مالي ولكم اتحفظون امر الجاهلية وتدعون امر الاسلام فقال له عاصم بن عمرو انا نحذرهم العاقبة ونحذرهم الى الشيطان ثم اطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة وسبوا الذرارى فتبايعوهم بينهم واشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة بالجمال واقام بدومة الجندل وردد الاقرع الى الانبار ثم رجع خالد الى الحيرة فتلقاه اهلها من اهل الارض بالتعليس فسمع رجل منهم يقول لصاحبه مرنا فهذا يوم فتح النشر خبر وقعة الحصيد والمضيح

قال سيف بن عمر قد كان خالد اقام بدومة الجندل فظن به الاعاجم وكاتبوا غرب الحزين ابن بقيلة فاجتمعوا الحريه وقصدوا الانبار يريدون انتزاعها من الزبرقان وهو نائب خالد رضي الله عنه عليها فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب الى القعقاع ابن عمرو نائب خالد على الحيرة فبعث القعقاع اعبد بن قدكى السعدي وامره بالحصيد وبعث عروة بن ابي الجعد البارقي وامره بالحنافس ورجع خالد من دومة الجندل الى الحيرة وهو عازم على مصادمة اهل المدائن محلة كسرى لكنه يكره ان يفعل ذلك بغير امر ابي بكر الصديق رضي الله عنه وشغله ما قد اجتمع من جيوش الاعاجم مع نصارى الاعراب يريدون حربه فبعث القعقاع بن عمرو اميرا على الناس ليتقوا بمكان يقال له الحصيد وعلى العجم رجل منهم يقال له رزبة وامده اميرا اخر يقال له رزمهر فاقتتلوا قتالا شديدا وهزم الله الكفار فقتل منهم المسلمون خلقا كثيرا وقتل القعقاع بيده رزمهر وقتل بطل يقال له عصمة بن عبد الله الضبي ورزبة

الله عنه

وغنم المسلمون شيئا كثيرا وهرب من هرب من العجم فلجأوا الى مكان يقال له الخنافس فسار اليهم
ابو ليلى فذكى السعدي فلما احسوا بذلك سارعوا الى المضيع فلما استقروا بها بعث معهم من
الاعاجم والاعراب قصدهم خالد بن الوليد ثم معه من الجنود وقسم الجيش ثلاث فرق واغار
عليهم ليلا وهم نايمون فانامهم ولم يفلت منهم الا اليسير فاشتهوا الا بغنم مصرعة وقد روى
ابن جرير عن عدي بن حاتم قال انتهينا في هذه الغارة الى رجل يقال له حرقوص بن النعمان النمري
وحوله بنوه وبناته وامراته وقد وضع لهم جفنة من خمر وهم يقولون احد يشرب هذه
الساعة وهذه جبوش خالد قد اقبلت فقال لهم اشربوا اشربوا وداع فما ارى ان تشربوا
خمرا فشربوا وجعل يقول الا يا اسقياني قبل غارة النجم لعل منايانا قريب ولا ندري
القصيدة الى اخرها قال فجعل الناس الى الطاعة الملك العلام ثم كتب اليه يروا خفافا وثقالا
الاية ثم بعث الكتاب اليهم ينتظروا جوابه وقدومهم وكان الذي بعث بكتب اليمن انس بن
مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر بن عبد الله فما مرت الايام حتى قدم انس بن
مالك ببشر بقدوم اهل اليمن وقال لابي بكر ما قرأت كتابك على احد الا وقد بادر على طاعة الله تعالى
واجاب دعوتك وقد سارعوا اليك بالذراري والاموال والنساء وكانك بهم قد اشرفوا عليك فتاهب
للقائهم فسر ابو بكر بذلك سرورا شديدا واقام يومه ذلك حتى اذا كان من غداة غد لاحت
غبنة القوم لاهل المدينة فاخبر وا بذلك ابا بكر فركب وامر الناس بالركوب لاستقبالهم فما كان
الا هنيئة حتى اشرفت الكتايب والمواكب يتلو بعضها بعضا فكان اول قبيلة ظهرت
من قبايل اليمن حمير واما مهم ذو الكلاع الحميري وهو متجر بعمامته فسلم على ابي بكر
وانشد ليعرف بمكانه
انا بن حمير في من تراه معي ... اهل السوابق والعالون في الحسب
اسد عطارفة سوس عمالقة ... تردي الكماة غداة الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا ... وذو الكلاع دعاة عند ذي الرتب
قد كتابينا فالروم بغيتنا ... والشام مسكننا بالرغم للصلب
دمشق لي دون كل الناس جمعهم ... وساكنيها فاهويهم الى العطب
قال فتبسم الصديق رضي الله عنه من قوله وقال لعلي يا ابا الحسن اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا اقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل اولادها فابشروا وانتصر المسلمين على اهل
الشرك اجمعين قال صدقت وانا ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمعت انت
واقبلت من بعد حمير كتايب مذحج اهل الرماح الرقاق وامامهم قيس بن ميسرة المرادي
سيدهم فلما وصل الى ابي بكر اشفر عن لثامه وعرف مكانه واشار للصديق وقال
انك كتايب مناسر اعادوا الهيجاء اعتى من مراد ... فقدمنا امامك كي نرانا
نبيد الروم بالقضب الحداد ... واقبلت من وراهم قبايل طي يقدمها جابر بن سعد
ومن بعدهم الاسد في جموع كثيرة وقايدهم جندب بن عمرو الدوسي وفيهم ابو هريرة
رضي الله عنه فلما نظر ابو بكر الى ابي هريرة وهو مقوس متقلد كنانته تبسم وقال
يا ابا هريرة ما الذي قدمك وانت رجل قليل المعرفة بالحرب قال ابو هريرة يا صديق

رضي الله عنه

عن قوله متجر بعمامته الى قوله على ابي بكر

الكلاع السيد الشجاع في سلاحه

رغبة في ثواب وايضا اريد ان آكل من فواكه الشام وخصبه لقوله صلى الله تعالى فزاد ابو بكر
من قوله تبسما وجاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم اميرهم ميسرة بن مسروق العبسي
واقبلت في اثرهم كنانة يقدمهم قطن بن اسلم الكناني وتتابعت قبايل اليمن يتلو بعضها
بعضا ومعهم نساؤهم واولادهم وخيلهم ورجالهم وماشيتهم فلما نظر ابو بكر الى كثرتهم
سر بذلك وشكر الله تعالى ونزل القوم حول المدينة كل قبيلة معتزلة عن صاحبتها ونزل
القوم واضر بهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل وجدوبة الارض فقابلوا باجمعهم الى
ابي بكر وكان اول من بدا بالكلام قيس بن هبيرة المرادي فقال يا خليفة رسول الله قد تكامل
جيشنا والمقام اضر بنا فاحب ما نحن فيه ابو بكر من ساعته يمشي على قدميه وحوله جماعة من المؤمنين
منهم عمر وعثمان وعلي وسعيد بن زيد رضي الله عنهم وامثالهم من الاوس والخزرج وخرجوا
الى ظاهر المدينة ووقع النداء في الناس فكبروا باجمعهم فرحا بخروجهم فاجابتهم الجبال
لدوي اصواتهم فدعى ابو بكر وقال اللهم انزل عليهم الصبر وايدهم بالنصر والتسليم الى
عدوهم وكان اول من دعى به ابو بكر رضي الله عنه وعقد له راية يزيد بن ابي سفيان وامره على
الف فارس ثم دعى بربيعة بن عامر بن لؤي وكان فارسا مشهورا في الجاز فعقد له راية
وقدمه على الف فارس من سائر الناس ثم اقبل ابو بكر رضي الله عنه على يزيد بن ابي سفيان وقال له
هذا ربيعة بن عامر من علمت صولته وشجاعته قد ضممته اليك وامرتك عليه فاجعله
في مقدمتك وثق به في امرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وقال ابن كثير رحمه الله وقد
اجتمع عند الصديق من الجيوش ما اراد شرع في تولية الامراء وعقد الالوية والرايات
فيقال ان اول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص فجاءه عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره
بما قال حين امر عمر الناس بتخريق الديباج الذي كان عليه حين دخل المدينة فلم يتناه تربه الصديق
كما تأثر ضربه به عمر بل عزله عن الشام وولاه ارض تيما يكون بها فيمن معه من المسلمين
حتى ياتيه امره ثم عقد لواء يزيد بن ابي سفيان ومعه جمهور الناس ومعه
سهيل بن عمرو واشباهه من اهل مكة وخرج معه ما شيا يوصيه بما يعتمده في الحرب
ومن معه من المسلمين وجعل له دمشق وقال الواقدي رحمه الله وسار القوم ورجع ابو بكر
ومن معه الى المدينة فاخذ القوم في السير واخذوا على وادي القرى على الافرع ليخرجوا الى
الحجاز على الجابية الى دمشق وقال ابن اسحق خرج ابو بكر ماشيا ويزيد بن ابي سفيان
راكبا فجعل يوصيه ثم انصرف ومضى يزيد ثم اتبعه شرحبيل بن حسنة ثم ابو عبيدة
مددا لهم فسلكوا غير ذلك الطريق وخرج عمرو بن العاص حتى نزل الشام ويقال ان
يزيد بن ابي سفيان نزل البلقاء اولا ونزل شرحبيل بالاردن ويقال بصرى ونزل
ابو عبيدة بالجابية وجعل الصديق يمدهم بالجيوش وامر كل واحد منهم ان ينضاف
الى من احب من الامراء ويقال ان ابا عبيدة لما مر بهاب من ارض البلقاء قابلهم
اهلها حتى صالحوه فكان اول صلح وقع بالشام ويقال ان اول حرب وقع بالشام

رضي الله عنه

رضي الله عنه

الجابية مدينة عن يمين دمشق اليوم خراب

ان الروم اجتمعوا بمكان يقال الغربة من ارض فلسطين فوجه اليهم يزيد ابا امامة في
سرية فقتلهم وغنم منهم وقتل منهم بطريقا عظيما حينئذ قال ابن جرير ولما انتهى خالد
بن سعيد الى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب من بهراء وتنوخ
وبني كلب وسليح ولخم وجذام وغسان فتقدم اليهم خالد بن سعيد فلما اقترب منهم
تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الاسلام وبعث الى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح
وامره الصديق ان يتقدم ولا يحجم ويمده بالوليد بن عقبة وعكرمة بن ابي جهل
في جماعة فسارا الى قرب من ايلة فالتقيا بامير من الروم يقال له باهان فكسره والجأه
باهان الى دمشق فبعث هرقل بطارقة فحال الواقدي ولما سمع هرقل بسير
يزيد بن ابي سفيان ورفيقه ربيعة بن عامر من قوم من العرب المتنصرة كانوا في
المدينة جمع بطارقته ونجابه وقال لهم يا بني الاصفر اعلموا ان دولتكم على الانصرام وايامكم
مكم على الانهزام وقالوا ايتها الملك ابعث اليهم لنصدهم عن مرادهم ونصل مدينة
نبيهم ونقدم كعبتهم ولا ندع احدا منهم قال فلما راى نشاطهم جرد منهم ثمانية
آلاف فارس من شجع فرسانهم وامر عليهم بطارقة وهو الناطليق واخوه جرجير
وصاحب شرطته لوقا ابن سمعان والرابع صاحب غزة وعسقلان وهو صليبا وهو
كان هؤلاء الاربعة يضرب بهم الامثال في الشجاعة قال فاظهروا زينتهم وعدتهم
وصلت عليهم الاساقفة صلاة النصر وقالوا اللهم انصر منا من كان على الحق
وخرجوهم بخور الكنايس ورشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك وسيروا
امامهم العرب المتنصرة ليدلوا بهم وقال الواقدي عن يايس بن الحصين قال
بلغنا ان اول من وصل الى تبوك كان يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر ومن
معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة ايام فلما كان في اليوم الرابع وقدم
الصحابة رضي الله عنهم بالوحيد الى الشام اذ اقبل جيش العدو فلما راى المسلمون
غبرة القوم اخذوا على انفسهم وكمن يزيد اصحابه الالف وتظاهروا في الف
وكان المقدم على الكمين ربيعة بن عامر ورتب يزيد اصحابه الالف وعظهم وذكرهم
الايام الله ونعمه عليهم فبينما هو في الوعظ فاذا بطالعة الروم قد اقبلت وجيوشها
قد اتت فلما راوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا ان ليس وراءهم احد فبرز
بعضهم على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن يريد بلادكم واستنصروا بالصليب
ينظرهم حملوا وتلقتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير
وانية ودام القتال بينهم وقد اثرت الروم عليهم وظنوا انهم في قبضتهم اذ خرج عليهم
ربيعة بن عامر وقد اعلن اصحابه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
فانكسرت همة الروم عند ذلك والقى الله في قلوبهم الرعب فتشهقروا الى وراءهم
ونظر ربيعة بن عامر الى الناطليق وهو يزجر قومه ويحضهم على القتال فعلم انه

الاربعة
صح

طاغية القوم فحمل عليه بقلب قوي وطعنه طعنة صادقة فوقعت في خاصرته حتى
طلعت من الناحية الاخرى فاجدل صريعا فلما نظرت الروم الى ذلك ولت الادبار
وركنوا الى الفرار ونزل النصر على اصحاب المختار وكان جملة من قتل منهم الف وما
وقتل من المسلمين مائة وعشرون رجلا اكثرهم السكاسك ولما انهزم الروم قال لهم
جرجيس وهو اخو الناطليق يا ويحكم باي وجه ترجعون الى الملك وما لقينا الا
طليعة القوم وقد قتلوا فينا وقتلوا اكبر اهلينا وما كنت بالذي ارجع حتى آخذ بثار
اخي او الحق به قال فاجتمع القوم ولما استقروا في خيامهم بعثوا رجلا من المتنصرة
اسمه القداح بن اسلة التنوخي وقال له جرجيس امض الى بني عمك وقل لهم
يبعثون الينا رجالا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما الذي يريدون منا قال
فركب القداح جواده واقبل الى جيش المسلمين فلما راوه مقبلا اليهم استقبله رجال
من الاوس فقالوا له ما الذي تريد فقال ان بطارقة الملك يريدون رجلا من عقلائكم
ليخاطبوه بما يعود اليه صلاح شان الجمعين قال فاخبروه يزيد وربيعة بما
قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر انا اسير الى القوم فقال يزيد اخاف عليك منهم
لانك قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قال لن يصيبني الا ما كتب الله لنا واتى او
والمسلمين لان يكون صيركم عندي فان رايتم القوم غدروا بي وانا قد حملت
فيهم فاحملوا فركب جواده وسلم عليهم وسار حتى اتى جيش الروم وقرب من سرادق
الملك قال له القداح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك قال له ربيعة ما كنت انزل
من العز الى الذل ولست اسلم جوادي الى غيرك وما انا بنازل الا على باب السرادق
والا رجعت من حيث جئت لانا لم نبعث اليكم بل انتم بعثتم الينا قال فاعلمهم
القداح بما تكلم به ربيعة فقال بعضهم لبعض لقد صدق العربي في قوله دعوه
ينزل حيث اراد فنزل ربيعة على باب السرادق وجثى على ركبتيه ومسك عنان
جواده بيده فقال جرجيس يا اخا العرب لم يكن امة اضعف منكم عندنا وما
كنا نحدث انفسنا انكم تغزوننا فما الذي تريدون منا قال ربيعة نريد
منكم ان تدخلوا في ديننا وتقولوا بقولنا فان ابيتم والا تؤدوا الجزية عن يد
فان ابيتم فالسيف بيننا قال جرجيس فما منعكم ان تقصدوا العرش و
تدعوا الصداقة بيننا وبينكم قال ربيعة انما بدانا بكم لانكم اقرب الينا من اهل
فارس وايضا لان الله تعالى امرنا بذلك في كتابه فقال تعالى قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال جرجيس الكم كتاب انزل عليكم قال نعم
كما انزل الانجيل على نبيكم قال جرجيس هل لك ان نعقد الصلح بيننا وبينكم و
نعطي لكل رجل منكم دينارا ووسقا من الطعام ونعطي لاميركم مائة دينار و

وعشرة اوسق من طعام ولخليفتكم الف دينار ومائة وسق من طعام وتكتبون بيننا
وبينكم كتاب الصلح الا تغزوا الينا ولا نغزوا اليكم فقال ربيعة لا سبيل الى ذلك وما بيننا
وبينكم الا السيف او اداء الجزية او الاسلام فقال خرجيس اما ما ذكرت من دخولنا في
دينكم فلا سبيل الى ذلك او نهلك عن اخرنا لان لا نرى لديننا بدلا واما ان نؤدي الجزية
فالقتل اهون من ذلك وما انتم باشهى منا في القتال والحرب لان فينا البطارقة واولاد
العمالقة رجال الحرب وارباب الضرب ثم قال خرجيس لحاجبه علي بصقيلة
الفسيني انظر هذا البدوي وكان قد بعثه هرقل معه وكان قسا عظيما عارفا
بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فاتى به الحاجب فقال له خرجيس يا اباا استخبر
هذا الرجل عن دينهم وعن شرعهم فقال صقيلة يا اخا العرب انا نجد في علمنا وكتبنا
ان الله يبعث نبيا عربيا هاشميا قرشيا وعلامته ان الله يسري به الى السماء اكان
ذلك ام لا قال ربيعة نعم ان الله قد اسرى به اليه وقد ذكر ذلك في كتابه سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا الاية قال القس انا نجد في كتبنا ان الله يفترض عليه وعلى امته شهرا يعالله
له رمضان قال ربيعة قد افترضه علينا وقد ذكر ذلك في كتابه فقال كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم ثم قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس
ثم قال القس انا نجد في كتبنا ان الرجل من امته اذا عمل حسنة كتبت له عشر واذا عمل
سيئة كتبت عليه سيئة قال ربيعة قد ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال القس انا نجد ان الله يأمر
امته بالصلاة عليه قال ربيعة قد ذكر ذلك ربنا في كتابه فقال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية قال فتعجب صقيلة من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء
القوم ثم قال بعض الحجاب ان هذا البدوي هو الذي قتل اخاك فلما سمع ذلك ازورت
عيناه غضبا وهم ان يثب الى ربيعة بن عامر فنهض ربيعة ذلك فوثب من مكانه اسرع من
البرق فضرب بيده على قائم سيفه وعاجل خرجيس بضربة فغادره قتيلا وسارعت
البطارقة الى ربيعة بن عامر وقد ركب جواده فحمل فيهم ونظر الى ذلك يزيد بن ابي
سفيان فقال لاصحابه ان اعداء الله غدروا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم
واياهم فحمل المسلمون على الروم واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم لقتال العرب
فبينما هم في القتال اذ اشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال مع الروم حملوا عليهم
وداسوهم وتمكنت اسيافهم في اعداء الله قال الواقدي ولقد بلغني ان الثمانية الآلاف
من الروم لم ينج احد منهم لان العرب التقطوهم بسوابق الخيل ثم ان المسلمين اجتمعوا

والكتاب الموحدين

رضي الله عنه

على اموالهم وخيامهم وخزائنهم ثم سلموا على شرحبيل بن حسنة ومن معه من
المسلمين ثم نزلوا وجمع شرحبيل المال والنهب واستشار يزيد وربيعة
في مال النهب فقالوا انبعث بجميع ما اخذناه من الروم الى ابي بكر الصديق
حتى يرى المسلمون قلة بيع الروم واموالهم فيبادرون الى الجهاد فاشتد صوت
رايهم وبعث بالكل الى ابي بكر الصديق الا العدة والسلاح فان المسلمين
تقووا بها وبعثوا مع الغنيمة شداد بن اوس في خمسة ايام فارس واقاموا في
ارض نبوك حتى تلاحق بهم الجيش فلما وصل شداد بالغنيمة المدينة اعلم ابا بكر
بالقصة وما كان منهم فسجد ابو بكر شكرا لله تعالى ثم جهز المسلمين بما وصل
اليه من بلاد سرية الروم ثم كتب كتابا الى اهل مكة يستنفر عليهم الى الجهاد وختمه
بخاتم النبي عليه السلام ودفعه الى عبد الله بن حذافة فاخذه وسار حتى وصل مكة
فقراه عليهم السلام فلما سمعوا به ابتدروا الخروج فخرج عكرمة في اربعة عشر رجلا
من قومه من بني مخزوم وخرج سهيل بن عمرو في اربعين رجلا من بني عامر وخرج
الحارث بن هشام معهم وتلاحق القوم بهم من اهل مكة وكان جميع ما صار من مكة
خمسمائة رجل وكتب ابو بكر كتابا الى هوازن والطايف فخرجوا في اربعمائة رجل
فلحقوا بوفد مكة فصار الجميع تسعمائة فارس فساروا حتى وصلوا الى المدينة
فنزلوا بالجرف فاقاموا عشرين ليلة وقد حمت حضموت في اربعماية رجل
وكتب ابو بكر رضي الله عنه الى الاصيد بن سلمة والى بني كلاب يدعوهم الى غزو الروم
فابتدروا الذكر وساروا قد خلوا المدينة فلما راهم ابو بكر سر بقدومهم وامرهم
ان يلحقوا بعسكر المسلمين وعقد لهم راية وسلمها الى الضحاك بن سفيان وخرج
ابناء المهاجرين والانصار وتكامل الناس بالجرف ثم عزم ابو بكر رضي الله عنه على
ان يقدم على جيوشه امين الامة ابا عبيدة بن الجراح واراد ان يقدم على طوا
جيشه اميرا فعقد راية لسعيد بن خالد بن سعيد وكان غلاما نجيبا وامره
على الفين من العرب فتكلم فيه عمر رضي الله عنه فعزله ابو بكر وقال عبد الله بن عمرو بن
خالد كنت في ذلك الجيش وقد حملني بنا سعيد بن خالد بالجرف اذ اقبل اروى الدوسي
وقال له ان ابا بكر يقول لك رد علينا رايتنا قال فردها وقال والله لا قاتلن تحت
راية ابي بكر حيث كانت او بيد من كانت فاني قد حبست نفسي في سبيل الله
قال ثم ان ابا بكر دعى لعمرو ابن العاص فسلم الراية اليه وقال وليتك على هذا الجيش
يعني اهل مكة وثقيف والطايف وهوازن وبني كلاب وحضرموت
فانصرف الى ارض فلسطين وكاتبا ابا عبيدة والجده ان اراد ان لا يقطع امرا

لع

الآمشورتهم امض بارك الله فيك وفيهم قال ابو الدرداء وكان ابو بكر يوصي عمرا
وابو عبيدة حاضر قال وسار المسلمون في تسعة الآف ممن ذكرنا مع عمرو بن
العاص يريدون ارض فلسطين فلما ابعد بيوم عقد ابو بكر العقود والالوية
والرايات لابي عبيدة وامره على جميع عساكر المسلمين وامره ان يقصد بمن
معه ارض الجابية وقعة ارض فلسطين قال الواقدي بلغ خبر مسير عمرو بن العاص
بجيوشه الى ايلة وفلسطين الى هرقل من كان في المدينة من الذين يقدمون بالبر
والشعير والزيت والخرنوب والتين وبلغ اليه ايضا خبر من قتل من الروم بتبوك
فجمع ارباب دولته وبطارقته واساقفته واعلمهم بالحديث الذي وصل اليه ثم
عقد صليبا من الذهب وسلمه الى قايد جيوشه وهو دوبيس وقال له قد ولتك
على جيوشي فسر وامنع العرب من فلسطين فانها بلد مبارك كثير الخصب
وهو تاجنا وعزنا قال فتسلم دوبيس الصليب وسار من يومه الى اجنادين
قال وسار عمرو بن العاص الى ايلة حتى ورد ارض فلسطين هو ومن معه فقدموا
وقد عجفت ركابهم فوقعت في بلد طيب ونبت وزروع فدعت خيلهم فيه فذهبت
عجفها فلما نزل فلسطين جمع المهاجرين والانصار اليه وشاورهم في امره
فبينما هم في المشورة اذ اقبل اليهم عامر بن عدي وكان من خيار المسلمين وكان
كثيرا ما يغشى عشيرته بارض الروم وكان قد عرف بلادهم وعرف مسالكهم
وكان قد اقبل من عند عشيرته فنظر اليه عمرو وقد اربد وجهه فقال له
ما وراك قال ورائي عساكر المنتصة وجنودها عدد الشوك والحجر على جياد الخيل
فقال له عمرو فعلى كم حزرت القوم قال علوت الى شرف من الجبال غارا وتحققت
الخيل فرايت من الصلبان والرماح والاعلام ما قد ملأ وادي الاحمر وهو
اعظم وادي بارض فلسطين وهو زهاء على مائة الف وقد اعذر من انذر
قال فعند ذلك اقبل عمرو الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وضم اليه الف فارس فيهم
رجال من بني كلاب واهل الطايف من ثقيف ليكونوا طلايعا يكشفون الخبر
وامره بالمسير اليه فسار عبد الله وجعل يجد في السير بقية يومه الى الصباح
من غد واذا بفيئة قد لاحت له فقال عبد الله لاصحابه هذه غبرة عسكر
واظنها طليعة الروم ثم وقف مع اصحابه فاذا هي انقشعت عن عشرة
الآف فارس من الروم وقد بعث بهم دوبيس مع بطريق من اصحابه فلما
نظر عبد الله بن عمر قال الاصحابه لا تمهلوهم فلا بد لكم منهم والله ينصركم
عليهم واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف فاعلن القوم بذكر الله تعالى

وحملوا وكان اول من حمل عكرمة بن ابي جهل واتبعه سهيل بن عمرو وحمل الضحاك
بن سفيان وصاح برجاله واتبعه المهاجرون والانصار والتقى الجمعان وعمل السيف في الفريقين
قال عبد الله بن عمر فبينما انا في الوقعة اذ نظرت الى فارس من القوم عظيم الخلقة وهو يبرز كضرغامة
وقيسرة فقلت ان يكن للجيش عين فهذا غيثهم وصاحب الطلايع فحملت عليه فنفر فرسه
من الرمح في الطعنة فتوهم اني اريد الانهزام فحمل علي فادرت قناتي وطعنته فاذا هو قد مال
على بقنطاريته قال فرميت قناتي واعتمدت على سيفي وضربت قناته فبرتها وبقيت في يده
كالعصى ثم عطفت عليه بضربة هايلة فوالله لقد خيل لي اني ضربت بسيفي حجرا وسمعت طنين
السيف حتى خشيت على سيفي ان يكون قد انفصد واذا هو على حالته ونظرت عد والله واذا هو
ملوح من شدة الضربة والسيف لم يعمل فيه شيئا فثنيت عليه بضربة اخرى على عاتقه واذا
به صريع ثم انعطفت عليه واخذت لامته فلما رات الروم صاحبهم منجدلا داخلهم الرعب
وصدقهم المسلمون القتال والضرب فلله در الضحاك بن سفيان والحارث بن هشام لقد ابليا بلاء
حسنا فما كان الا قليلا حتى فتح الله على المسلمين وانقلب الكفار على اعقابهم هاربين ولقد
قتل المسلمون منهم قتلى واسروا منهم اسرى واجتمع المسلمون بعضهم الى بعض وجمعوا الاسلاب
والغنايم وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعمر قال قايل قتل وقال اخر اسر وقال اخرون ما كان الله
ليصنع بعبد الله الا خيرا الحسن زهده وعبادته وقال اخر من القوم ان كان واصبنا بابن
عمر ما يسوى هذا الفتح شيئا قال عبد الله وانا اسمع ذلك خلف رايتي فاعلنت بالتكبير والصلاة
على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الى الراية انعطفوا الي وقالوا اين كنت
ايها الامير فقلت كنت مشتغلا بقتال صاحبهم فقالوا افلح وجهك قال الواقدي وحازوا الاموال
والاسرى وهم ستمائة اسير والاسلاب وقتل من المسلمين سبعة نفر وهم سراقة بن عدي
ونوفل بن عامر وسعيد بن قيس وسالم مولى عامر بن يزيد البربوعي وعبد الله بن حوبلد
المازني وجابر بن راشد بن عمر الحضرمي واوس بن سلمة الهوازني فوارى المسلمون
التراب بعد ان صلى عليهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وانعطفوا الى عمرو بن العاص واخبروه
بما وقع فشكر الله واستدعى الاسرى فاستنطق من كان يعرف بالعربية فلم يكن من بقي
فيهم الا ثلاثة نفر من انباط ايلة فسالهم عن خبرهم وخبر صاحبهم فقالوا يا معشر العرب
ان هذا رويس قد اقبل في مائة الف وقد امره الملك ان لا يدع احدا من العرب يصل الى
ايلة وانه بعث هذا البطريق طليعة له وقد قتل وكان كريما قد سرى اليكم فاباد عنكم عن اخركم
لانه ليس في اصحاب الملك بطريق يعرف قتال العرب ومثله فقال عمرو ويوشك ان الله يقتله
كما قتل صاحبكم ثم عرض عليهم الاسلام فما اسلم احد منهم فضرب اعناقهم وصاح بالمسلمين
استعدوا قال ابو الدرداء فبتنا في اماكننا فلما اصبح الصبح رحلنا فما ابعدنا فسير بعيد حتى

اشرفت تسعة صلبان تحت كل صليب عشرة الاف فارس فلما اشرف الجيش اقبل
عمرو كالفحل يرتب اصحابه فجعل في الميمنة الضحاك وفي الميسرة سعيد بن خالد
واقام على الساقة ابا الدرداء وثبت عمرو في القلب ومعه اهل مكة من المهاجرين
والانصار ورتبهم رتبة الحرب ونظر يمينا وشمالا فطريق الروم الى عسكر المسلمين
وقد صفهم عمرو والاخر عنان من عنان والاركاب عن ركاب كانهم بنيان
مرصوص وهم يقرأون القرآن والنور يلمع من نواحي خيولهم ويشم منها رائحة المسك
ويبين من نفسه الجزع وعلم ان من معه كثير فانكسرت حميته قال ابو الدرداء
وكان اول من برز من جيشنا سعيد بن خالد بن سعيد وهو ابن اخي عمرو
بن العاص من امه فنادى ابرزوا يا اهل الشرك والشر ثم حمل في الميمنة و
الجاها الى الميسرة وقتل رجالا وجندل ابطالا ثم حمل فيهم فنوش صفوفهم
وزعزع جيشهم فاجتمعوا اليه فقتلوه قال فحزن المسلمون على قتله حزنا عظيما
وكان اكثرهم حزنا عمرو ثم قال يا فتيان العرب من يحمل معي فاسرع بالاجابة الضحاك
بن سفيان وذو الكلاع الحميري وعكرمة ابن ابي جهل والحارث بن هشام ومعاذ بن
جبل وابو الدرداء وعبد الله بن عمرو والاصيد بن سلمة ونوفل بن دارم وسيف بن
عباد الحضرمي وسالم بن رويم والاصهب بن شداد الهوازني وعوف بن حاجب
وعمرو بن جندب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ورجال من المهاجرين من
اهل مكة فحملوا كرة واحدا قال عبد الله بن عمرو حملت مع القوم وكنا تسعين
رجلا حتى دنونا من القوم وحملنا عليهم وحمل المسلمون باجمعهم فكنت فيهم
كالشامة البيضاء في جنب البعير الاسود وكان شعار الناس يوم فلسطين
لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب محمد انصر امة محمد وقال ابو الدرداء ولقد
كان احدنا يضرب فلا يدري من يضرب اخاه او عدوه من كثرة القتال وظهر
المسلمون على المسلمين قال وثبت المسلمون في قتالهم وفوضوا امرهم الى الله وما كان
احد من المسلمين يضرب الا وضميره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من
يتخذ معك شريكا وقال عبد الله بن عمرو فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال
وهبت الرياح والناس في القيام اذ نظرت الى السماء وانا ادعو بدعاء علمنيه
اياه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نظرت كاتن السماء انفرج فيها فرج وخرجت
منها خيول شهب تحمل رايات خضراء اسنتها تلمع بريقا ومناد النصر
ينادي ابشروا يا امة محمد فقد اتاكم النصر من الله قال ابن عمر فصرخت الامة
بدعاء نبيها ورب الكعبة فما كان غير بعيد اذ نظرت الروم منهزمة على

اعقابها والمسلمون في اثارهم فقتلنا في وقعة فلسطين ووادي الاحمن بالقرب
من جولان قريبا من خمسة عشر الفا واكثر ثم نزلنا في اثارهم الى الليل فلما رجع المسلمون
افتقد بعضهم بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سيف بن عباد
الحضرمي ونوفل بن دارم وسالم بن رويم والاصهب بن شداد وطلبوا
سعيدا في القتلى فلم يجدوه ولم يعرفوه حتى قام عمرو فوجده قد وطئته الخيل
بسنابكها حتى رض عظمه وهشم وجهه ثم جعله في حملة المسلمين وصلى عليهم ثم
امر بدفنهم ثم كتب الى ابي عبيدة بالخبر وقال اني مقيم بارض فلسطين فان احتجت
الي سرت اليك وبعثه بابي عامر الدوسي فسار ابو عامر فوجد ابا عبيدة وهو
نازل باول الشام وقد فرق امرائه كما امره ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلما قراه ابو
عبيدة خر ساجدا ثم قال قتل والله من المسلمين رجال اخيار فيهم سعيد بن خالد سعيد
قال ابو عامر الدوسي وكان خالد بن سعيد جالسا فلما سمع ان ولده قتل جمع نفسه و
صرخ صرخة عظيمة وقال وا ابناه واولداه وجعلني يبكي حتى بكى المسلمون ثم عزم
على المسير الى ارض فلسطين فقال له ابو عبيدة الى اين يا خالد وانك لو كنت من
اركان المسلمين كيف تسير وتدعهم فقال انما انظر الى قبور ابني وارجو ان الحق به
قال فسكت عنه ابو عبيدة ثم كتب كتابا الى عمرو وكتب انها انت مامور فان
كان ابو بكر امرك ان تكون معنا فسر الينا وان كان امرك بالثبات فاثبت
وسلم الكتاب الى خالد بن سعيد وسار مع عامر الدوسي الى ان اتيا جيش
عمرو بن العاص فدفع خالد الكتاب اليه وهو يبكي فوثب اليه عمرو وصافحه وعزاه
في ولده ثم اتى قبر ولده وقال يا ولدي رزقني الله الصبر عليك والحقني بك انا لله
وانا اليه راجعون فوالله لئن امكنني الله لاخذن بثارك ثم قال لعمرو اني اريد
ان اسري بسرية في طلب القوم فلعلي اخذ منهم فرصة او غنيمة او رجلا فاقتله
فاكون قد اخذت بثار ولدي فقال له عمرو ان الحرب اما بك يا ابن امي فاذا لقيت الروم
فلا تبق عليهم قال خالد والله لاسيرن اليهم ولو لم يكن لي مساعد ذكر وقعة
خالد بن سعيد قال الواقدي عزم خالد ان يسير وحده فركب معه ثلثمائة فارس
من فتيان حمير واستأذنوا عمرا في المسير فاذن لهم فساروا يومهم ذلك اجمع ثم
اراد وا النزول في بعض الاودية ليعلفوا دوابهم ثم يسيروا ليلتهم اذ نظر خالد
الى اشباح على جبل هناك عالي منيع فقال خالد لاصحابه كيف لنا بالوصول اليهم من
سبيل وهم على ذروة هذا الجبل العالي ونحن في هذا الوادي ثم قال خالد كونوا في اماكنكم

ثم نزل عن فرسه وتقلد بسيفه وتنكب بجعبته والتحف بازاره وقال اعلموا ان القوم ما نظروا الينا
ولا يدرون بنا ولو كانوا نظروا الينا ما ثبتوا لي مواضعهم فمن كان منكم من ينزل عن
فرسه فليصنع كما صنع فابتدر اليه عشرة فوارس فصنعوا كما صنع فتسلقوا في الجبل
حتى اشرفوا على القوم وهم في اماكنهم فعند ذلك صاح خالد باصحابه خذوهم بارك الله فيكم
فاشرع المسلمون اليهم فقتلوا منهم اثنين واسروا اربعة فاستنطقهم خالد واذا هم
من انباط الشام فسالهم عن حالهم فقالوا انا مع اهل البقيع والجماعة وكفار العزة
وقد عظمت علينا المصيبة بدخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا شديدا
وقد هرب اكثرنا الى الحصون والقلاع فاعتصمنا نحن بهذا الجبل لان ما في السرداق
احسن منه فعلونا عليه نستشرف الاخبار حتى اخذتمونا قال خالد فاين بلغكم
جيوش الروم قالوا باجنادين وقد عزم الملك ان يرتحل من حمص الى فلسطين
ليذب عن بيت المقدس وقد اجتمع جيشه ومن انهزم منهم باجنادين وهذا بطريق
من بطارقته قد اقبل الينا ليأخذ الميرة والعلوفة وقد جمعوا الدواب والبغال
والحمير ليحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون وجلون ان تلحقهم خيل العرب وهذا
خبر قومنا والاشكال انهم رحلوا في يومهم هذا فلما سمع خالد سعيد ذلك من قولهم
قال غنيمة ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سالهم على اي طريق ياخذ القوم
فقال هذا الطريق الذي انت عليه واما الميرة فانها مجموعة من حول التل العظيم وهو
التل المعروف بتل بني سيف فلما سمع منهم ذلك قال لهم ما تقولون في ديننا قالوا
ما نعرف الا دين الصليب ونحن انباط واكارة يعني فلاحون وما لكم في قتلنا فايدة
قال فهم خالد بقتلهم فقال له رجل من اصحابه دعهم يدلون بنا حيث ميمنة القوم
فاجابه الى ذلك وسيرهم امامه الى ان توسط الطريق ثم بعث الى اصحابه الذين
بالوادي فجاؤا اليه وجعلوا يجدون في السير والانباط امامهم يدلون بهم
الطريق الى التل العظيم فوافوا الروم وهم يحملون دوابهم وحول التل ثمانية
لابس من القوم فلما نظر اليهم خالد كبر وحمل واصحابه حملوا معه واذا بصاحب
الكتيبة قد لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن ركوبه وهو يحرض قومه فاستقبله
خالد وزعق وجهه زعقة ارعبه بها ثم طعنه فانخدل كانه برج حديد وما بقي
احد من اصحابه الا اجندل فارسا من الروم فقتلوا من الروم ثلثمائة فارس وعشرين
فارسا وولى الغير منهم مهزومين وتركوا الاثقال والبغال والميرة فاحتوى على الكل
باذن الله عز وجل وفي خالد لاوليك الفلاحين بوعده فخلى سبيلهم وعاد خالد
بالغنائم الى عمرو بن العاص ففرح بسلامته والمسلمين وكتب كتابا الى ابي بكر الصديق

رضي الله عنه فلما قرأه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير ثم استخبر ابو بكر
عن عبيدة فقال عامر الدوسي انه قد اشرف على اوايل الشام ولم يجسر على الدخول
لانه قد سمع ان جنود الملك باجنادين قد اجتمعت في امم لا تحصى فلما سمع ابو بكر بذلك
قال ان ابا عبيدة لين العراك لا يصلح لقتال الروم وعول ان يكتب الى خالد بن
الوليد ويوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم فاستشار الناس في ذلك فقالوا
الرأي رأيك ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام
قال الواقدي فعند ذلك كتب ابو بكر رضي الله عنه كتابا الى خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن ابي قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واني قد وليتك على جيوش المسلمين
وامرتك بقتال الروم فسارع الى مرضات الله وقاتل اعداء الله وكن ممن يجاهد
في الله حق جهاده وقد جعلتك اميرا على ابي عبيدة ومن معه والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته ثم بعث الكتاب مع نجم بن مفرج الكناني فركب مطيته وتوجه الى
العراق فوافى خالدا وقد اشرف على فتح القادسية فناوله الكتاب فلما قرأه قال
السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل عن القادسية
ليلا واخذ طريقه على عين الشمس التمر وكتب كتابا الى ابي عبيدة يعزله واخبره
بمسيره الى الشام وقد ولاني ابو بكر جيوش المسلمين فلما برح من مكانه حتى اقدم
عليك السلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل وهو احد ابطال المسلمين فاخذه
عامر وتوجه يطلب الشام قال وان خالدا لما وصل الى ارض السماوة قال ايها الناس
ان هذه الارض لا تدخل الا بالرواية والماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن في جيش
فكيف يكون الامر قال رافع بن عميرة الطائي اني ارى رايا قال فما افعل ارشد
قال فاخذ رافع ثلاثين بعيرا فعطشها سبعة ايام ثم اوردها الماء فلما رويت حزم
افواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيل وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا نحروا
خمسة من الابل فشقوا بطونها ويأخذون ما يجدون فيها من الماء ويجعلونه في احواض
من الادم فاذا برد سقوه الخيل واكلوا اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل ونفد
الماء وقطعوا امرا جليلين بغير ماء واشرف خالد ومن معه على الهلاك فقال خالد لرافع
بن عميرة يا رافع قد اشرفنا على الهلاك هل تعرف لنا ماء ننزل عليه قال الواقدي
وكان رافع قد رمدت عيناه فقال ايها الامير اذا اشرفت على قراقر وسوار فاعلموني
فلم يجد الناس في السير وقد انقطع اكثرهم حتى اشرفوا على قراقر وسوار فاعلموا
رافعا بذلك فدفع طرف عمامته عن عينه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس

ابي

ابي المنع

بن سعيد

وقال لهم خالد دلونا القوم فنخلي سبيلكم قالوا نعم

ض

ك الله

حوله الى ان قصد شجرة من الاراك فلما راها كبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا ههنا فحفروا
واذا بالماء قد تطلع عليهم كالبحر فتراكض الناس عليه وشكروا الله واثنوا على رافع خيرا ثم
وردوا الماء وسقوا ابلهم وخيلهم جدوا في طلب من انقطع من المسلمين ومعهم السطاح
والقرب فسقوهم وارتحلت قوتهم اليهم لحقوا بالجيش واراحوا واستراحوا ثم جدوا
في السير الى ان بقي بينهم وبين اريكة مرحلة واحدة فبينما القوم كذلك اذ اشرفوا على
حلة عامرة واعنام وابل قد سودت المسقور فسارع المسلمون الى الراعي يستخبرونه
ممن القوم واذا هم بالراعي يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود
بالقد فتبينوه فاذا هو عامر بن الطفيل فاقبل خالد على جواده مسرعا حتى وقف
عليه فلما راه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب امرك قال ايها الامير اني اشرفت
على هؤلاء القوم يعني الحلة وقد اصابني الحر والعطش فملت الى هذا الراعي
ليسقيني اللبن فوجدته يشرب الخمر فقلت يا عدو الله اتشرب الخمر
وهي محرمة علينا فقال يا مولاي انها ليست بخمر وانما هو ماء فانزل كي تراه
واستنشق رائحته فان كانت خمرا فاصنع بي شئت فلما سمعت كلامه اخذت
مطيتي ونزلت وجثوت على ركبتي واستنشق رائحته فاذا انا بهذا العبد قد
عاجلني بعصاه كانت الى جنبه وعلاني بها على رأسي فشجني شجة موضحة فانقلبت
على جانبي فاسرع العبد الي وشدني كتافا واوثقني رباطا فلما وقعت قال
اظنك من اصحاب محمد بن عبد الله ولست ادعك من يدي حتى يقدم سيدي
من عند الملك فقلت من سيدك من العرب قال هو القداح بن واثلة ولي عنده
ايادي كلما شرب احضرني كما ترى ويلقى علي فضلة كاسه فلما سمع خالد كلام
عامر بن الطفيل اشتد به الغضب وقال على العبد وضرب بالسيف على هامته فاجدر
العبد صريعا ونهب المسلمون الابل والاغنام وقلعوا الحلة بمن فيها واطلق عامر
بن الطفيل فقال له خالد وابن رسالتي قال في طرف عمامتي لم يعلم بها العبد فقال
فقال انطلق بها الى ابي عبيدة ومن معه والبس الحرز جلبانا قال فركب عامر ووادع
خالدا وسار يطلب الشام فتح اريكة قال الواقدي وارتحل خالد من موضعه
ذلك فنزل باريكة وهو رأس المفازة لمن يخرج من العراق وكان الروم يمسكون بها
القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك هرقل فغار عليها خالد واخذ ما كان
حولها وتحصن اهلها بحصنها قال فخرج مشايخ اريكة الى خالد وكلموه في الصلح
فاجابهم الى ذلك وامنهم وتلقاهم بالرحب ليسمع بذلك اهل السخنة وتدمر
والقرقيس فيسلموا فقال خالد اصلحكم على اني نذبت عنكم ومن دخل في ديننا

قبلناه وبجزيناه ومن بقي على دينه قبضنا منه بالجزية قال الواقدي بلغني انه صالح
اهل اريكة على الف درهم من الفضة والف دينار ثم كتب لهم كتاب الصلح ولم
يبرح حتى صالح اهل السخنة فتح تدمر قال الواقدي رحمه الله وبلغ الخبر الى
اهل تدمر وكان الوالي عليها بطريق اسمه كركر فجمع رعيته عليه وقال لقد
بلغني عن هؤلاء العرب انهم فتحوا اريكة والسخنة صلحا وان قوما يتحدثون
بعدلهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد وهذا حصن مانع ولا
سبيل لاحد علينا ولكنا نخاف على نخيلنا وزروعنا وما يضرنا ان نصالح العرب
فان كان قومنا هم الظافرون فسخنا صلحه وان كان كانت العرب كنا امنين من
شرهم ففرح قومه بقوله وهيئوا امر الغلوفة والضيافة لخالد فقبلها منهم
وصالحهم على ثلاث مائة اوقية من الذهب والفضة وكتب لهم كتاب الصلح ثم
اشترى منهم زادا وعلفا ثم ارتحل عنهم الى ارض حوران قال الواقدي وبلغ عامر
بن الطفيل كتاب خالد بن الوليد الى ابي عبيدة فلما قرأه تبسم وقال السمع والطاعة
لله ولخليفة رسول الله ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد فتح مدينة
بصرى قال الواقدي رحمه الله كان ابو عبيدة قد وجه شرحبيل بن حسنة
كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى في اربعة آلاف فارس فسار حتى نزل
على فنائها وكان على بصرى بطريق عظيم القدر عند الملك وعند الروم وكان اسقفا
زمانه قد قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان عظيم الخلقة يجتمع اليه
الروم من اقصى بلاد الشام ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون من الفاظ حكمته
وكانت بصرى آهلة بالخلق عامرة بالناس وكان فيها اثنا عشر الفا وكانت العرب
تقصدون اليها ببضايعهم وتجاراتهم من اقصى الحجاز واليمن فاذا كان في ايام
الموسم ينصب لبطريقهم كرسي من الحديد يجلس عليه ويجتمع الناس اليه لعظم خلقته
وليستفيدون منه فبينما هم قد اجتمعوا اليه اذ وقعت الصيحة والنفير بقدوم شرحبيل
بن حسنة بعسكره فبادر الى جواده فركبه وصرخ في قومه فاجابوه فقال لا تحدثوا
حديثا حتى نرى القوم ونسمع كلامهم وما عندهم وسار حتى قرب من شرحبيل
ثم خرج بلامته وقرب من المسلمين ونادى يا معشر العرب انا رومانس وانا اريد
صاحبكم فخرج اليه شرحبيل فلما قرب منه قال له البطريق من انتم قال له شرحبيل نحن
من اصحاب رسول الله النبي الامي المنعوت في التورية والانجيل قال رومانس ما افعل
قال له شرحبيل قبضه الله اليه واختار له ما لديه قال له البطريق فمن ولي الامر

من القفاري

الامر بعده قال شرحبيل ولي الامر من بعده عبد الله عتيق بن ابي قحافة ابو بكر
الصديق رضي الله قال رومانس وحق ديني لقد اعلم انكم على الحق ولا بد ان
تملكوا الشام والعراق ونحن نشفق اذ انتم في نفير يسير ونحن في جمع كثير
ولكن ارجعوا الى بلادكم فانا لا نعرض لكم واعلم يا اخا العرب ان ابا بكر هو صاحبي
وصديقي ولو كان حاضرا ما قاتلني قال شرحبيل لو كان ابن عمه او ولده ما والى
عنه الا ان يكون من اهل ملته وليس له من الامر شئ لانه مملوك وقد امره الحق
سبحانه في القرآن ان يجاهد ولسنا نبرح عنكم الا احد ثلاث خلال اما ان
تدخلوا في ديننا او تؤدوا الجزية او القتال فقال رومانس وحق ما اعتقده
من ديني لو كان الامر لي ما قاتلتكم لاني اعلم انكم على الحق وهؤلاء طواغية
الروم الروم قوم مجتمعة واني اريد ان ارجع اليهم واعظهم وانظر ما عندهم
قال شرحبيل عجل فلا تخرج كلمة من الذي ذكرت لكم اما القتال او الجزية او الاسلام
قال فعاد رومانس الى قومه وجمعهم حوله وقال يا اهل دين النصرانية وبني
العمودية اعلموا ان الذي كنتم تجدون في كتبكم من خروج العرب الى بلادكم
وتهب اموالكم وقتل بطارقتكم وملوككم قد قرب وهذا وقته ولستم باعظم
خيل وجيش من البطرق ورؤبيس فانه سار الى شرذمة من العرب بارض
فلسطين فقتل اكثر من كان معه وانهزم الباقون وقد بلغني ان رجلا منهم اتى
من ارض السماوة من ارض صوب العراق واسمه خالد بن الوليد وقد فتح اربلة
والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قريب يصل اليكم والصواب ان تادوا
الجزية لهؤلاء العرب وينصرفوا عنا فلما قومه ذلك من كلامه خاشوا
عليه وهموا بقتله فقال لهم رومانس انما اردت ان انظر كيف حميتكم في دينكم
والآن دونكم والقوم وها انا على اولكم قال الواقدي فزحفت الروم في عددها
وعديدها وتظاهروا بالدروع والبيض وقادوا الجنايب وتهيؤا للحملة
فلما راى شرحبيل ذلك وعظ اصحابه ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال
ماجد بن رومانس العبسي وكنت في جيش شرحبيل حين قاتلنا اهل بصرى ولقد
طمع فينا العدو وحملوا علينا في اثني عشر الفا من الروم ونحن فيهم كالشامة
البيضاء في جنب البعير الاسود وصبرنا لهم صبر من يريد الموت والدار الآخرة
ولم يزل القتال بيننا الى ان توسطت الشمس قبة الفلك وقد طمع العدو فينا ولقد
رايت شرحبيل قد رفع كفيه الى السماء وهو يقول يا حي يا قيوم يا بديع السماوات
والارض يا ذا الجلال والاكرام انا قد وعدتنا على لسان نبيك بفتح الشام وفارس اللهم

انصر من يوحدك على من يكفر بك ويتخذ معك شريكا اللهم انصرنا على القوم الكافرين
قال ماجد بن رومانس فوالله ما استتم حمر شرحبيل دعاءه حتى جاءنا النصر من الله تعالى
وذلك ان القوم دارونا وقد حدثتهم انفسهم بالوصول الينا اذ رأينا غبرة قد اثارت
علينا من صوب كانها قطع الليل المظلم فلما قربت منا رأينا تحتها سوابق الخيل ولاحت
الاعلام والرايات وقد سبق الينا فارسان احدهما يصعق وقال يا شرحبيل ابشر
بنصر الله انا الفارس الصنديد انا ابن الوليد وقال الآخر منهم انا عبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق فقال والله شرفت لحم وبجام وجاءت مواكب جيش الزحف واشتد
راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائي قال الواقدي قال ميسرة بن مسروق والله
لقد خمدت اصوات الروم عند زعقة خالد رضي الله عنه واقبل المسلمون يسلم بعضهم
على بعض واقبل شرحبيل الى خالد وسلم عليه قال خالد يا شرحبيل اما علمت ان هذه
بوشان الشام والحجاز والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتها فكيف غررت بنفسك ومن
معك قال شرحبيل بن حسنة وكلا بامر ابي عبيدة قال خالد ان ابا عبيدة رجل مستسلم
وليس عنده للحروب غايلة ولا علم بمواقعها ثم امر الناس فنزلوا وواسى الناس بعضهم
بعضا من ازوادهم فلما كان من الغد رجعت جيوش بصرى اليهم فقال خالد ان القوم
قد زحفوا الينا لعلمهم بتعبنا وتعب خيلنا اركبوا على بركة الله وعونه فدكب
المسلمون واخذوا اهبتهم للحرب وجعل في الميمنة رافع بن عميرة الطائي وجعل
في الميسرة ضرار بن الازور وكان فارسا في الحرب قد ذكر شجاعته وعلت براعته
في المواطن وجعل على الرجالة عبد الرحمن بن حميد الحجي ثم قسم جيش الزحف وجعل
على شطره المسيب بن نجبة الفزاري وعلى الشطر الاخر مذعور بن عنيم الاشعري
وامرهم ان يرموا الخيل على الخيل اذا حمل بنفسه قال وان الناس على مثل ذلك اذا انتشقت
صفوف الروم وخرج منها فارس عظيم الهيكل كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب
والحرير والياقوت فلما توسط الجمعين قال بلسان عربي كانه بدوي يا معشر
العرب لا يبرز الي الا اميركم فانا صاحب بصرى فخرج اليه خالد رضي الله عنه وقرب
منه فقال له البطريق انت امير الجيش قال نعم فقال ان الحق لا يخفى على صاحب البصيرة
والعلم فاني قد قرأت في الكتب ان الله يبعث نبيا عربيا هاشميا اسمه محمد
فقال خالد هو نبينا ثم سأله عن الفرايض التي انزلت على النبي عليه السلام فذكرها
خالد فقال رومانس انكم على الحق فقال له خالد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فقال اني اسلمت الآن خفت ان فعجلوا بقتلي ويشبوا حربهم
ولكن اسير الى القوم واحذرهم فلعل الله ان يهديهم فقال خالد ان رجعت بغير

قتال يتوهمون شيئا ولكن احمل علي واحمل عليك حتى لا يظنوا شيئا وبعد ذلك اطلب فقوم ملك
قال فحمل بعضهما على بعض واوريا المعشر بن ابوابا من الحرب حتى انهزم رومانس فقال لخالد
اشرد على اولي الى الدير واني اخاف عليكم من بطريق بعثه الملك معونة لي واسمه الدربجان
فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شرد على رومانس فحمله حتى انهزم بين يديه الى قومه وقصد
خالد نحو طلبه قال فلما وصل رومانس الى اصحابه قالوا له ما الذي رأيت قال يا قوم ان العرب اجلاد
ومالكم في قتالهم رشد ولا بد ان يملكوا الشام وما تحت سرير الملك فاتقوا الله وادخلوا تحت
طاعتهم وكونوا كاهل اريكة وتدمروا اني ناصح لكم فلما سمعوا قوله زجروه واراد وقتله
لولا خوفهم من الملك وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب قال فانصرف
عنهم رومانس وكان ذلك من بغيته ومراده وقال لعل الله ينصر خالدا فاسير معه باهلي
حيث سار ثم ان اهل بصري ولوا على انفسهم الدربجان وقالوا له اذا فرغنا من قتال
المسلمين سرنا معك الى الملك ونسأله ان يعزلك عنا رومانس ويوليك علينا فانت اعظم منه
جلدا واكمل عقلا فقال الدربجان فما الذي تريدون قالوا نحمل وتطلب فقال امير القوم
فان انت كفيت امره فقد انهزم القوم قال فخرج الدربجان بلامته وزينته وطلب
خالدا فقال عبد الرحمن ابي بكر انت الامير وقوامنا بك وانا لهذا العدو دون ثم خرج
عبد الرحمن وحمل على الدربجان وضيق بعضهما على بعض ونطاولت اعين الفريقين
اليهما فما لبث الدربجان مع عبد الرحمن ساعة او اقل الا وقد احس من نفسه التقصير
فولى منهزما وكان جواده اسبق من جواد عبد الرحمن فغلت من يده الى قومه فقالوا ايها
السيد ما الذي رد ك عن القتال عدو كر قال اخذتني شوصة فلم اقدر على الثبات فوليت
ولكن احملوا انتم قال فالقى الله الرعب في قلوبهم وعلم خالد ما عندهم من الجزع فحمل وحمل
عبد الرحمن بن ابي بكر ورافع بن عميرة والمسيب بن نجبة وعبد الرحمن بن حميد وضرار
بن الازور وقيس بن مسيرة وشرحبيل بن حسنة وسائر الملهمين فاختلط بعضهم ببعض
وحمل المسلمون جملة واحدة حيل لاهل بصرى ان السور قد انهدم فلم يكن للروم ثبات
مع العرب فولوا الادبار وبقيت تلك الارض مملوة من القتلى وقتل بعضهم على الابواب
فدخلوا المدينة وبنوا الابواب وتحصنوا بالسور وجعلوا مراكزهم على الابدان والابراج
وعولوا ان الملك هرقل يمدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا افتقدنا
اصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا اكثرهم من همدان وقتل من اعيانهم
بدار ان بن حوملة وكان جليلا نبيلا وعدي بن رعلى رفاعة وماذن بن عوف وسهل بن باسط
وخالد بن مراغ والربيع بن حامد بن عباد ختم الله لهم بالشهادة قال وجمع المسلمون الغنائم
والاموال وصلى خالد على الشهداء وامر بدفنهم فلما كان من الليل توفي الحرس عبد الله بن

ابي بكر ويعمر بن راشد والاشتر النخعي ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون بالجيش
وقد مضى من الليل ربعه اذ حدثت الخيل باذانها وحمحمت فاستيقظ المسلمون ونظروا
واذا رجل من الروم عليه مسوح الشعر فاشرع اليه عبد الرحمن بن ابي بكر ورمح فقال له امسك
عليك فانا صاحب بصرى فاخذه واتى به الى خالد رضي الله عنه واوقفه بين يديه فلما راه خالد رض
عرفه فقال له ايها الامير ان قومي طردوني وقالوا الى ان لزم قصرك والا قتلناك فلزمت
قصري وهو ملاصق السور فلما جن الليل امرت اولادي وعبيدي فحفروا السور حتى فتحوا لي
منه بابا وقد جئت اليك معي من تشق بهم من اصحابك حتى يتسلموا المدينة لنرح الله تعالى
فلما سمع خالد قول رومانس سجد لله شكرا وامر عبد الرحمن ان ياخذ مائة ممن يثق بهم و
يسيرون مع رومانس وامره عليهم قال ضرار بن الازور وكنت فيمن دخل المدينة فلما صرنا
في قصر رومانس فتح لنا خزائنه قال ادخلوا في زي القوم فلبسنا زيهم في الحرب ثم قسمنا
على اربعة اركان المدينة في كل ركن خمسة وعشرون رجلا قال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم
تكبيرنا فكبروا فلما صرنا حيث امرنا اخذنا على انفسنا بحملتنا على القوم قال الواقدي رحمه الله
لقد بلغني ان عبد الرحمن لما فرق اصحابه على جوانب بصرى لبس وتدرع وكذلك فعل رومانس
واشتمل بشملة حميرية واعطى لعبد الرحمن برنسا فالقاه على لباسه ومسك سيفه تحت
البرنس وصعدا كلاهما يريدان برج الذي فيه الدربجان واصحابه فلما قربا من السور
نظر اليهما الدربجان فقال من انتما قال انا رومانس البطريق قال لا مرحبا بك ولا اهلا ما جاء بك
ومن هذا الذي معك قال رومانس ان الذي معي صديق لك ومشتاق الى رؤيتك ولقائك قال
ويلك من هو قال هو عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اقبل يريد بر وحمل الى النار قال فلما سمع الدربجان ذلك من رومانس هم ان يثب عليه
وما تطاوعه نفسه فعاجله عبد الرحمن بسيفه وهذه في وجهه وضربه على عاتقه فاجذر
صريعا قال فكبر الجميع عبد الرحمن عند قتله الدربجان واجابه الروم وسمع الصحابة
التكبير فكبروا من جوانب بصرى ووضعوا السيوف في الروم واجابهم خالد ومن معه
من ظاهر المدينة فلما نظروا اهل المدينة الى مدينتهم قد فتحت اقفروا بالسيف صرخوا باجمعهم
الفور الفور فقال خالد ما الذي يقولون قال رومانس يطلبون منك الامان فقال خالد ارفعوا
السيف عنهم فرفعوا السيف واقام خالد الى ان اصبح واجتمع اليه اهلها وقالوا لو صالحناكم
ما كان شيء فقال خالد حكم الله لا يرد فقالوا نسألك بالذي ايدك علينا ونصرك مرحبا لك
علينا وفتح لك مدينتنا فاستحى خالد ان يقول رومانس فوثب رومانس قائما وقال انا يا اعداء
واعداء رسوله فعلت ذلك ابتغاء مرضات الله وجهادا فيكم فقالوا اولست منا فقال
اللهم لا تجعلني منهم انا كافر بالصليب ومن عبده رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة
قبلة

ومحمد رسولا وبالقرآن اماما وبالمسلمين اخوانا قال فغضبوا من كلامه واظهروا له شرا
وعلم بذلك رؤماس فقال لخالد لا اريد المقام عندهم اريد ان اسير معك حيث تسير فاذا فتح
الله على ايديكم وصار الشام لكم فردني اليها لان الوطن عالوف والمرء به مشغوف قال
الواقدي بلغني ان رؤماس كان معهم في المواطن كلها يجاهد جهادا حسنا حتى فتح الله
الشام وكاتب ابو عبيدة بخبره لعمر رضي الله عنه في ايام مه فولاه عليها فلم يلبث بها يسيرا
حتى مات رحمه الله وترك عقبا يذكر به قال فامر خالد برجال ان يعينوه على اخراج ماله ورحله
من المدينة ففعلوا قال واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون فيما الذي
تريدين قالت اريد امير الجيش يحكم بيننا فجاؤا بها الى خالد فاستغاثت به فقال رجل من
الروم نحن نحفظ لسان العرب انها تستعين بك على رؤماس فقال لها الترجمان كيف
ذلك قالت اني كنت البارحة نايمة اذ رأيت في منامي شخصا ما رأيت شيئا احسن من
طلعته كانما النور يطلع من بين عينيه وكانه يقول لي ان المدينة تفتح على ايدي هؤلاء القوم
والشام كله والعراق فقلت من انت قال انا محمد رسول الله ثم دعاني الى الاسلام فاسلمت
ثم علمني سورتين من القرآن قال فحدث الترجمان بما سمع منها خالد فتعجب من ذلك فقال
للترجمان قولها تقدرا فقرأت الحمد لله وقل هو الله احد ثم جددت الاسلام
على يدي خالد وقال عن زوجها اما ان يرجع على هذا الدين والا يتركني قال فضحك خالد
من قولها وقال سبحان الله الذي وفقها ثم قال للترجمان قل لها انه قد اسلم قبلها ففرحت
بذلك ثم صالح اهل بصرى على ما اراد واولم ينفذ قلوبهم ثم ولى عليهم من اتفق رأيه عليه
ثم كتب كتابا الى ابي عبيدة يبشره بالفتح ويقول له قد ارتحلت الى دمشق فالحقني
ثم كتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق يخبره برحيله عن العراق بعد ان اشرفت
على فتح القادسية وقد سرت كما امرتني الى ان قال وقد فتح الله على يدي اريكة
وتدمر وحوران وبصرى والسخنة ويوم كتبت لك هذا الكتاب ارتحلت
الى دمشق واسأل الله النصر والسلام عليك وعلى من معك ورحمة الله وبركاته
قال الواقدي ثم بعث خالد الكتابين وارتحل
الى دمشق واشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك وركز بها راية العقاب
فسميت ثنية العقاب من ذلك اليوم ثم انحدر منها الى الغوطة ونزل بالدير وهو
معروف بدير خالد الى يومنا هذا وكان اهل السواد قد التجأوا الى دمشق وقد
اجتمع فيها اهم لا تحصى من الرجالة واما الخيل فكانوا اثني عشر الفا وقد زينوا
اسوارها بالطوارق والاعلام والبارق والصلبان واقام خالد على الدير
ينتظر قدوم ابي عبيدة ومن معه من المسلمين قال واتصلت الاخبار بالملك هرقل

ومما فتح خالد وكيف توجه الى دمشق فجمع البطارقة اليه وقال يا بني الاصفر كنت
حذرتكم فابيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا حوران وبصرى وتدمر واريكة والسخنة
وقد توجهوا الى الربوة وهي دمشق فان فتحوها فوكر باه وواغماه لانها جنة الشام فايكم
يتوجه الى قتالهم ويكفيني امرهم فان هو هزمهم اعطيته ما فتحوه فقال له بطريق من بطارقته
اسمه كلوص بن جنة وكان من ابطال الشام ايها الملك انا اكفيك امرهم وارددهم على اعقابهم
فسلم اليه الملك صليبا من الذهب وضم اليه خمسة الاف فارس لابس وقال قدم صليبك امامك
وهو ينصرك قال فاخذه كلوص بن جنة وسار بهم من توجهه من انطاكية الى ان وصل الى حمص
فوجدها مزينة بالديباج فاقام عليها يوما وليلة ثم رحل الى جوسية ثم الى بعلبك ثم رحل ولم
ينزل الا بدمشق وكان صاحب دمشق من قبل هرقل بطريق كبير الشان اسمه عزريل
وكان في ثلاثين الفا بين فارس وراجل فلما دخل كلوص دمشق اجتمع اليه كبار الروم
من اهل دمشق والبطارقة وعزريل واصحابه وقد اوا منشور الملك ببيعته كلوص اليهم
وقاتاله عنهم فقال كلوص علي ان اقاتل عدوكم ولكن تخرجون عزريل من عندكم حتى اكون
انا وحدي لهذا الامر فقالوا ما ينبغي لنا ان نخرج صاحبنا من بلدنا والعدو قاصد الينا
فقال عزريل انا صاحب البلد فلا اخرج منها ولكن اذا قدمت العرب خرجنا لقتالهم وكل
واحد منا يخرج بعسكره يقاتل بهم فمن هزم العرب كانت المدينة له فقال شيوخ القوم
قد انصف الرجل وتراضوا على ذلك وانفصل القوم وقد انتقشت عداوة عزريل في قلب
كلوص وعداوة كلوص في قلب عزريل ذكر الوقعة التي جرت فيها قال الواقدي ولما نزل خالد في
على الدير المسمى بدير خالد بالغوطة واذا الجيش دمشق قد زحف اليهم كالجراد المنتشر
فعند ذلك رتب خالد اصحابه فجعل في الميمنة رافع بن عميرة الطائي وفي الميسرة المسيب
بن نجبة الفزاري وفي الجناح الايمن شرحبيل بن حسنة وفي الجناح الايسر عبد الرحمن
بن حميد الحمي وفي الساقة سالم بن نوفل الشكري واقام خالد في القلب مع عبد الرحمن
بن ابي بكر وضرار بن الازور فلما رتب خالد اصحابه قال لهم اتبع سبيل ابيكم وقوموا في الجهاد
قال فخرج ضرار وتحته مهرة عجفاء الا انها تسابق الريح فحمل على جيوش الروم حتى
صدمهم وقتل في حملته تلك اربعة فوارس من رؤس الروم ثم اثنى حملته على الرجالة
فقتل منهم ستة ولولا اسهام القوم وحجارتهم عليه لما رجع عن قتالهم ثم حمل عبد الرحمن
بن ابي بكر وفعل كما فعل ضرار بن الازور ثم حمل من بعده خالد بن الوليد ولعب برمحه
واظهر شجاعته وقتل بيده سبعة حتى تعجب الروم من شجاعته وخفته فلما نظر اليه كلوص
علم انه امير الجيش وقائده وعلم انه يقصده لاجل دينه وصليبه الذي على راسه فاخذ

فتأخر البطريق الى ورائه من مخافته فلما راى خالد تقهقر البطريق وتنزحزح
حمل بن يده فزعقت البطارقة ورموه بسيوفهم فلم يلتفت اليهم وجواده كالبرق
بين الصفوف فلم يرجع عن حملته حتى قتل عشرة من الروم ثم اثنى راجعا واوراهم
ابوابا من الحرب اكثر من الاول ثم طلب البراز فلم يجبه احد فقال يبرز منكم فارسان
لقتالي فلم يجبه احد فقال اربعة لفارس الى ان قال عشرة لفارس فسكتوا فقال ويلكم
ما ان الواحد من العرب وكلما في الحرب سواء فعند ذلك اقبل عزريل على كلوص
بن جنة وقال له اليس الملك قد قدمك على جيوشه وبعثك بك الى قتال هؤلاء العرب
فدونك حامي عنهم فقال كلوص انت الحق مني بذلك وقد زعمت انك لا تخرج منها الا بامر
الملك هرقل فما بالك لا تخرج الى العرب فتقاتل فقال عزريل قد جرى الشرط ان تقاتل
انت وعسكرك يوما واقاتل انا وعسكري يوما فقال انت اليوم حتى اقاتل انا غدا فقال
كلوص انت اقدم مني في البلد فتقدم انت وان تنفع الكلام بينهما قال لهما الفريقان
تقارعا فمن وقعت عليه القرعة خرج قال فاقترعا فوقعت القرعة على كلوص فعند
ذلك ركب كلوص وذاهب وقال لاصحابه اريد ان تكونوا همتكم عندي فان رايتم في تقصيرا
فاحملوا وخلصوني فقال اصحابه ان هذا الكلام جزع لن تغلب ثم قال يا قوم ان الرجل
بدوي ولغته غير غير لغتي واني اريد ان اخاطبه واريد رجلا يبلغ عني وعنه
فخرج رجل نصراني اسمه خرجيس وكان فصيحا وقال انا اترجم عنك فقال كلوص
اعلم ان هذا الرجل من اشجع العرب فان رايتني قد تبلدت عن قتاله فاعني عليه
حتى تكون صاحبي واتخذك وزيرا ولكن هذا مكتوما عندك وها انا ماطل البروز
اليوم وارجع فعسى نخرج اليه غدا عزريل فستريح من صورته فقال خرجيس
ما انا بصاحب حرب وانما انا اعينك بكلامي ما قدرت واخادعه ما استطعت فقال
له كلوص ويحك او يطيب قلبك ان تسلمني الى عدوي فقال خرجيس ولا يطيب قلبي
ان اقتل في رضاك وما ينفعني بذلك ان انا مت قال فسكت وسارا حتى قربا من
خالد ونظر المسلمون اليهما فهم ان يخرج رافع بن عميرة الطائي فدعق خالد مكانك
فاني انا به لانتزح فلما سمع خرجيس كلامه تغير لونه وتاخر الى وراه فقال له كلوص
ويلك ما بالك اول الامر تهر كالاسد فما لي اراك قد جزعت وتاخرت فقال خرجيس
وحق ديني لقد ظننت انه من اوباش العرب ولم اعلم انه كبشهم النطاح هذا
صاحب القوم الذي قد ملا الارض شرا فتقدم اليه واظهر شجاعتك عليه قال
فلما سمع البطريق بذلك وبذكر خالد انتفض في سرجه وارتعد كالورقة في يوم ريح
عاصف وقال يا خرجيس سلة ان يقطع الحديث بيننا الى صبحة غد فقال ما اظنه
يفعل ذلك وسوف اسأله ثم التفت خرجيس الى خالد وقال يا سيد القوم

ان صاحبي يقول لك ان ترجع الى قومك تشاورهم فقال خالد ويلك اتحدث عدوس عني بكلامك
وانا جرثومة الخداع ثم اقبل بوجهه نحو خرجيس فلما نظر الى الدم اعتقل لسانه وولى
هاربا فلما نظر خالد الى هروبه طلب البطريق كلوص وحمل عليه متمايلا على عسكر الروم ليمنعه
من الهروب فلما نظر البطريق الى فعل خالد صبر لقتاله وحمل عليه فتطاعنا طعانا احر
من الجمر فاحترز البطريق من حملات خالد فلما نظر خالد الى احترازه اقرن عنانه
بعنانه وبطل عليه طعنته وبدل قناته من اليمين الى الشمال وضرب بيديه على
مخانيق درعه وجذبه اليه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم تسلله بيديه
واقتلعه من سرجه فلما نظر المسلمون الى فعل خالد كبروا تكبيرة عظيمة اذهلوا بها
المشركين وتسابق اليه الابطال والاقيال فلما قربوا منه رمى بالبطريق اليهم وقال
لهم استوثقوا من كتافه ففعلوا ذلك وهو يتكلم ولا يفهمون كلامه فاتى المسلمون
رومانس صاحب بصرى وقالوا ما الذي يقول قال انه يقول يا قوم لم تكتفوني وانا
قد اجبت الى ما قال صاحبكم الستم تطلبون الجزية والمال عن راسي وان الضامن
لكم ما سالتم فاعلموا خالدا بقوله قال استوثقوا منه فاني اظنه راس القوم ثم ان خالدا
نزل عن فرسه وترك مهرا كان اهداه له صاحب تدمر وتهيأ للحملة على الروم
فقال له ضرار بن الازور ايها الملك انك قد تعبت في قتال البطريق فدعني احمل
عنك حتى تستريح قال يا ضرار انما الراحة في الدار الاخرة ومن تعب اليوم استراح
غدا ثم قال الله خليفتي عليكم ثم هم بالحملة فصاح البطريق بحق نبيكم الا رجعت
حتى اخاطبك فصاح الناس بخالد انه يقول لك انه صاحب الملك وقد بعث الي
اليكم في خمسة الاف فارس وقد تخاصمت مع عزريل والي دمشق وجرى لي معه كذا وكذا
وقد استرتني فبحق دينك ان هو خرج اليك فلا تبق عليه وان لم يخرج فاستدع به
حتى يخرج فاقتله فهو راس القوم فان انت قتلته فلقد ملكت دمشق فهل انت
فاعل ذلك فقال خالد يا رومانس قل له اني لا ابقي على من يشرك بالله ويتخذ له ندا ثم
حمل خالد وقال لك الحمد مولانا على كل نعمة وشكرا لما اوليت من سابغ النعم

منحت علينا بعد كفر وظلمة ... وكشفت عنا ما نلاقي من النقم
وايدتنا بالنصر والعز والهدى ... وشرفتنا بالمصطفى خيرة الامم
فتمم الهنا العرش ما قد نرومه ... وعجل لاهل الشرك يوما من النقم

ثم قرب من صفوف المشركين وطلب البراز ذكر الوقعة التي اسر فيها
عزريل صاحب دمشق
قال الواقدي رحمه الله لما اسر خالد رضي الله عنه كلوص
التفتوا الى عزريل وقالوا ان صاحب الملك قد اسر وقد جرى الشرط بينكما ان

ان يخرج هو وانت يوما فاخرج الى هذا البدوي فاقتله فقال يا قوم ان هذا يعني خالدا لو قتل
فواحد من العرب يقوم مقامه وان انا قتلت بقيتم كلكم الغنى الذي لا راعي لها فدعونا نحمل
باجمعنا قالوا لا تفعل ذلك لان في حملتنا تقتل الرجال وتحمل النساء فبينما هم في
المحاورة اذ اقبل اصحاب كلوص وهم خمسة الاف رجل فوارس الذين وجههم الملك
معه وصاحوا على عزريل وقالوا ما انت اعز عند الملك من صاحبنا وقد كان بينك وبينه
شرط وقد وفى هو بالشرط واسر فاحمل انت ايضا والا نشبناك القتال قال ويلكم وكاني
جزعت من الخروج والساعة اخرج وينظر الفريقان اينا افرس واثبت ثم لبس
لامته وركب جواده ليصلح للجولان وخرج الى قتال خالد فلما قرب منه وقف وقال يا اخا
العرب ادن مني حتى اسالك وكان الملعون يحفظ بلسان العرب فلما سمعه خالد رضي الله
عنه غضب وقال يا عدو الله ان انت على ام راسك وهم ان يحمل عليه قال على رسلك
انا ادنو منك فعلم ان الخوف قد دخله فامسك عنه حتى قرب منه ثم قال له خالد من
انت فقال او ما سمعت باسمي انا فارس الشام انا ليل الروم انا قاتل الفرس ومبيدهم انا
قاتل جيوش الشرك والجرامقة فقال خالد وما اسمك فقال انا الذي سميت باسم ملك الموت
عزريل قال فضحك خالد وقال يا عدو الله ما اخوفني عليك ان الذي سميت باسمه مشتاق
اليك ليؤديك الى الهاوية فقال البطريق بحق دينك ما فعلت يا سيركلوص قال خالد
هو موثوق بالقدر قال وما الذي منعك ان تقتله فانه داهية الروم قال خالد منعني من
ذلك حتى اقتلكما جميعا لنرى الله تعالى فقال عزريل هل لك ان تاخذ مني الف مثقال
وعشرة اثواب من الديباج وخمسين رأسا من الخيل وتقتله وتاتيني برأسه فقال
خالد هذه دينة فما الذي تعطيني انت في دية نفسك قال فغضب عدو الله وقال يا اخا
العرب كلما زدتنا في اكرامكم زدتم في اهانتنا فدع الآن لنفسك فاني قاتلك فلما سمع
خالد رضي الله عنه ذلك حمل عليه كانه شعلة نار واستقبله البطريق وقد اخذ حذره
منه ونجا ولاطويلا او كان عزريل ممن يذكر ايام لاجل شيء عنه ثم قال يا خالد وحق ديني
لو اردت الوصول اليك لوصلت وقدرت على ذلك ولكني ابقيت عليك لاني اريد
الصفح ابقي عليك وعلى قومك ولكن استأسر لي حتى يعلم الناس انك اسيري وبعد ذلك
اخلي سبيلك على شرط انك تسير عنا وتسلم ما اخذت من البلاد الينا فلما سمع خالد ذلك منه
قال يا عدو الله ادركك الطمع فينا وهذه العصابة التي فتحت بها نزمر واريكة و
حوران وبصرى ممن باعوا انفسهم من الله بجنته واختاروا دار البقاء على دار
الفناء وستعلم ايتنا يملك صاحبه ثم اظهر شجاعته واجرى البطريق فنونا من الحرب
لم يرها قط قال فتقدم عزريل على ما تكلم به لخالد وقال يا خالد اخا العرب ما تحمل المداجة

قال خالد مذ عبتني الضرب ورضا الرب فخذ على نفسك ثم لوح اليه بسيفه وقنعه
بضربة قال فتباعد السيف ولم يقطع شيئا فاندهش عدو الله من صولات خالد فولى هاربا
واقبل خالد اليه طالبا قال عامر وكنت من اهل القلب وانا انظر الى ما جرى من
امر خالد عن اللحاق فلما نظر عزريل الى تخلف خالد عن ادراكه ادركه الطمع
وقال ان البدوي خاف مني ومالي لا افوز بامره واقف حتى يلحق بي فلعل
المسيح ان يعينني عليه وعلى اخذه فلما وقع ذلك في قلبه وقف حتى لحق به خالد
وقد تكلل فرسه بالعرق فصاح به البطريق يا عربي لا تظن اني انهزمت
من الخوف وانما اردت ان ابعد بك عن اصحابك وانفرد باسرك قال خالد رضي
الله عنه اعلم بذلك فقال يا خالد يا اخا العرب ارحم نفسك ولا يحملك اللجاج على اتلاف
مهجتك واستسلم الي وان اردت الموت اسوقه اليك انا قابض الارواح انا عزرا
ملك الموت فقال خالد يا عدو الله اذا ادركك الطمع حين قصرني جوادي عن طلبك
وانا اقتلك ان شاء الله فارسا راجلا ما لم تذهب هاربا ثم ترجل عن جواده
وهز سيفه وتخطى اليه كالاسد الباز فلما نظر اليه عزريل قد ترجل زاد طمعه
فيه وحام حوله حومة القشعم واراد ان يعلوه بسيفه فعاجله خالد وصدح به
وعلا قوائم جواده فقطعها بقوة ضربته وسقط عدو الله الى الارض
ثم ولى هاربا فطلب جيشه واتبعه خالد وقال يا عدو الله ان الذي سميت باسمه
قد غضب عليك وها هو قد اقبل لقبض روحك فتأهب ثم مال عليه بشدته
واختطفه من الارض فلما نظرت الروم الى صاحبهم في يد خالد هموا ان يحملوا الخلا
واذا قد طلعت جيوش المسلمين وكتايب الموحدين مع امين الامة ابي عبيدة
وكان رسول خالد قد سار اليه من بصرى فوجده في الطريق مقبلا فرده الى
دمشق وخالد في تلك الساعة قد اسر عزريل فلما نظر اهل دمشق الى جيوش
المسلمين قد اقبلت داخلهم الرعب وتوقفوا عن الحملة ثم دنى ابو عبيدة من
خالد وهم ان يترجل له فاقسم ان لا يفعل واقبل بعضهما على بعض فقال ابو عبيدة
لخالد يا ابني والله لقد فرحت بكتاب ابي بكر حين قدم علي وامرك وما احدث
في نفسي عليك لاني اعرف مواقعك في الحرب عند العرب والفرس فقال خالد والله
لا فعلت امرا الا بمشورتكم ولا اخالف لكم امرا ولا قولا ثم سار مع ابي عبيدة
يسلم بعضهم على بعض ذكر وقعة يوم الذي امر دمشق
قال الواقدي فلما كان من الغد ركب الناس وزحفت اهل دمشق الى القتال

وقد امروا عليهم توما صهر الملك بطريقا ينتقب به فلما اقبلوا قال خالد لابي عبيدة
ان القوم قد اخذوا وقد وقع رعب المسلمين في قلوبهم وايضا قد اوهنوا
لاسر البطريق فاحمل بنا على القوم قال ابو عبيدة احمل وانا اكر بعدك فحمل المسلمون
حملة واحدة وكبروا باجمعهم فارتجت الغوطة وما حولها من تكبيرهم
ووقع القتل في الروم قال عامر بن الطفيل ولقد كان واحد منا يقدم من الروم
عشرة فما لبثوا معنا ساعة حتى ولوا الادبار واقبلنا نقتلهم من الدير الى
الباب الشرقي فلما نظر اهل المدينة الى انهزام جيشهم غلقوا الابواب
في وجه من بقي منهم فمنهم من قتلناه ومنهم من استزناه ثم رجعنا عنهم فقال
خالد لابي عبيدة اني ارى من الراي ان انزل على باب الشرقي وانت على باب
الجابية قال ابو عبيدة هو الراي وعمر اوس بن الخطاب ان الذي قدم مع ابي
عبيدة من الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطايف وما حول مكة
سبع وثلاثون الفا وكان مع عمرو بن العاص بارض فلسطين تسعة
الاف والذي قدم به خالد من العراق الفا وخمسمائة من لخم وجذام فكانت
الجملة سبعا واربعين الفا وخمسمائة غير ما جهز عمر رضي الله عنه في ولايته
وسنذكره ان شاء الله تعالى قال فنزل خالد رضي الله عنه على باب الشرقي ينصف
المسلمين ونزل ابو عبيدة بالنصف الثاني على باب الجابية ونظر الى ذلك
اهل دمشق فدخل الرعب في قلوبهم ثم ان خالدا اخضد البطريق بين
يديه وهما كلوص وعزريل وعرض عليهما الاسلام فابيا فامر ضرار
بن الازور بضرب رقبتهما قال الواقدي ولقد بلغني ممن اثق به ان ضرارا
قتل عزريل ورافع بن عميرة الطائي قتل كلوص فلما نظر اهل دمشق الى
فعل خالد بالبطريقين كتبوا كتابا الى الملك هرقل بكل ما جرى وان العرب
حاصرونا فادركنا والاسلمنا المدينة واعطوا الكتاب الى رجل منهم
وادلوه من السور بالحبال فلما وصل الى هرقل وهو بانطاكية وسلم
الكتاب فلما قراه رمى من يده وبكى ثم جمع البطارقة اليه وقال يا بني الاصفر
لقد حذرتكم من هؤلاء العرب واخبرتكم انهم يملكون ما تحت سريري هذا
واخذتم كلامي هزوا واردتم قتلي وهؤلاء العرب خرجوا من ديار الجدب
والقحط واكل الذرة والشعير والتمر الى بلاد مخصبة كثيرة الاشجار
والفواكه والانهار واستحسنوا ما رأوا من بلادنا وخصبها وليس يرتحل
عنا الا العزم القوي وسلة الحرب ولولا انه عار علي لرحلت الى

القسطنطينية وتركت الشام الى اني اخرج اليهم بنفسي فاقاتلهم عن اهل بيتي ودين فقالوا
ايها الملك وما بلغ من شان العرب ان تخرج اليهم انت بنفسك وتعودك اهيب لك ثم قال هرقل
فمن تبعث اليهم قالوا ايها الملك عليك بوردان صاحب حمص فانه ليس فينا مثله في القوة و
الشجاعة فامر الملك ان يجاء به فجيء به فقال له الملك تهيأ لمسيرك الى لقاء العرب وقد امرتك
على اثني عشر الفا فاذا وصلت الى بعلبك فمر من باجنادين من الروم ان يتقدموا على ارض
البلقاء وجبال السواد فيكونوا هناك ولا يتركوا احدا من العرب يلحق باصحابهم يعني
اصحاب عمرو بن العاص فقال وردان السمع والطاعة ايها الملك سوف يبلغك الخبر واني
لا اعود اليك الا برأس خالد ومن معه واخرجهم وبعدك لا ادخل ارض الحجاز ولا ارجع
الا بهدم المدينة فلما سمع الملك ذلك قال وحق الانجيل لئن انت فعلت ووفيت بقولك
لاعطينك ما فتحوا من البلاد جراية وخراجا واكتب لك كتاب العهد انك الملك من بعدي
ثم سوره وتوجه ومنطقه واعطاه صليبا من الذهب في جوانبه اربع بوافيت وقال له
اذا لاقيت العرب فقدمه امامك وجعل من ساعته فودعه الملك وشيعه الى جسر الحديد
فهناك لقد من وقيته كتابا ورسولا الى من باجنادين من الجيوش فامرهم ان يتفرقوا
على ساير الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص وعسكره ان يصل الى خالد فلما كان من الليل
رحل على طريق سليمة ووادي الحيات وذكر رحل المسلمين دمشق
وقدوم وردان صاحب حمص قال الواقدي رحمه الله ولما قتل خالد رضي الله عنه
البطريقين امر المسلمين ان يرجعوا الى دمشق فرجعوا وامامهم رجال من العرب
وموالي هم بايديهم الجفت يتقون بهم الحجارة والسهام فضيقوا عليهم وايقن الروم بالدمار
فاقاموا على حصارهم عشرين ليلة ثم جاء الخبر بجمع الروم في اجنادين وكثرتهم قال فركب
خالد الى ابي عبيدة واستشاره وقال اني رايت ان نرتحل الى اجنادين ونلقى جمعنا
من هناك من الروم فاذا نصرنا الله تعالى عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم قال ابو عبيدة
ليس هذا برايي قال خالد ولم ذاك قال لانا اذ قناهم مرا وقد ضيقنا عليهم فان نحن رحلنا عنهم
حصلوا الاطعمة وتقووا ولا نقدر ان ننزل منازلنا هذه ولسنا بيارحين فقال خالد والله
لاعصيتك لكرامرائم ركب وبعث الى الامراء الذين على الابواب ان شدوا القتال على اهل
دمشق ثم زحف خالد من باب الشرقي بنفسه وحرض الناس على القتال وجعل ينشد

فمن مبلغ عنا عتيقا بانا ... نلاقي جيوش الروم مع من يشيعها
الا لله الا ان يلد من جمعهم ... وتروين سناني من دماء عيونها
فكم من قتيل سوف يبقى مجدلا ... وذات قرين سوف تكرى قرينها

قال فلم يزالوا في الحرب الى تمام احدى وعشرين ليلة وتضعضع اهل دمشق وطال عليهم
الامر

ولم يروا جيشا من قبل الملك هرقل فعزموا على الصلح فبعثوا جاثليقا لهم الى خالد ان يعطوه
الف اوقية من الفضة وخمسمائة من الذهب ومائة ثوب من الديباج ويرتحل عنهم فامتنع
خالد من ذلك وقال ليست ابرح الا بالجزية او تسلموا او القتال فعاد الجاثليق الى قومه
فاخبرهم فاشتد الامر عليهم وقال عروة بن اسيد وكان اهل دمشق يميلون الى ابى عبيدة
اكثر من ميلهم الى خالد لان خالدا كان صاحب سيف وقتل وكان ابو عبيدة يعدهم الى
الصلح وكان شيخا عفيفا رضى الله عنه وخالد رضى الله عنه يوعدهم القتل فبينما خالد قد
امر الناس بتشديد القتال اذ نظر الى اهل دمشق يصفقون ويرقصون ويعيطون
فنظر خالد ما الخبر واذا باهل السور يشيرون الى الجبل قال فنظروا فاذا بغبرة قد
لاحت فعلم خالد ان طاغيتهم قد امدهم بالجيوش فصاح فى المسلمين وامرهم
بالركوب فتبادروا الى خيولهم فركبوها واشهروا بالسلاح بسلاحهم ثم اجتمع خالد
مع ابى عبيدة واخبره بالامر وقال يا امين الامة ما الذى ترى من الراى اترى ان نسير
بجمعنا الى لقائهم قال ابو عبيدة ليس هذا براى قال ولم قال لئلا يخرج اهل المدينة
فيملكون مواضعنا وتتزايد الخطب علينا قال خالد فما الراى قال ابو عبيدة نندب
لهذا الامر رجلا شجاعا فان نظر فيهم مطمعا يلقاهم وان لم يكن نمد بقوم بعد قوم ولا
ولا نبرح من مواضعنا قال خالد انى اعرف رجلا يصلح لذلك وقدمات ابوه وعمه
فى الجهاد قال ابو عبيدة فمن هو قال ضرار بن الازور قال لقد وصفت رجلا معروف
السيرة فافعل قال فدعى خالد بضرار وقال انى اريد ان اقدمك على خمسة الاف قد باعوا
انفسهم من الله بجنته ونسير الى لقاء هؤلاء القوم الذين وردوا الينا فان رأيت
فيهم مطمعا فقاتلهم والا فارجع الينا قال وافرحاه والله يا ابن الوليد لو تركتنى
اسير اليهم وحدى ثم اسرع فقال له خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع اليك الجيش قال
والله لا وقفت فمن علم الله فيه خيرا ادركنى ثم اسرع ضرار الى ان وصل بيت
لهيا وهو موضع كان الازر يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به اصحابه
فلما تكاملوا نظر ضرار واذا بجيوش الروم تخدر من الثنية كالجراد المنتشر وهم
متكتفون فى الدروع والالباس فلما نظروا اليهم قالوا الصواب ان نرجع قال
ضرار والله لا زلت اضرب فى سبيل الله واتبع سبيل من اناب الى الله والنصر
مقرون بالصبر ولم تزل طايفتنا يلقى الجمع الكثير بالجمع اليسير قال فعند ذلك كمن
بهم عند بيت لهيا واخفى اثره وهو امام المسلمين عارى الجسد بسرا ويليه على فرس
عربى بغير سرج وبيده قناة له قامة الطول رغبة منه فى الشهادة فلما قاربوا
الروم كان اول من بارز وكبر ضرار فلما نظرت الروم اليه وهو بهذه الهمة

هالهم امره وكان ورد ان فى المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكة على رايسه
فما طلب ضرار غيرهم لانه علم ان صاحبهم هناك فصمم غير مكترث بهم وحمل
على القلب فطعن فارسا وكان يحمل علما فاصاب نحره فجدله عن فرسه وسقط
العلم من يده ثم عطف على اخر فى الميمنة فطعنه فاذا ان عن فرسه وحمل يريد
القلب وعاين ورد ان والصليب على رايسه يحمله على بردون اشهب والجوهر
يلمع من اربيع جوانبه فعارضه ضرار فطعن حامله طعنة عظيمة فخرق
السنان خاصرته الى ان خالط امعاءه وسقط الصليب وترجل عليه قوم من
المسلمين ليأخذوه وقد اشغل القوم ضرارا فقال يا معشر المسلمين الصليب لى
دونكم وان صاحبه فلا تطمعوا فيه فانى اليه راجع اذا فرغت من كلب الروم ومن
معه قال فلما سمع ورد ان ذلك وكان يفهم من العربية فعطف من القلب يريد
الهروب فعالت له البطارقة الاين ايها السيد قال افر من هذا الشيطان
هل رايتم ادنى من منظر او اهول من مخطر فنظر اليه ضرار وقد عطف
راجعا فعلم انه قد عزم على الهروب فصاح بقومه ثم قحم فى اثره ومد رمحه وغمز
جواده ونصب اختنه الروم وعطفت عليه الكتايب وتسابقت اليه المواكب
وهو مع ذلك ينشد ويقول الموت حق ليس الى منه مفر والجنة الفردوس خير من سقر
ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل الناس فى اثره فلما وقال وقد اخترقوا عساكر
الروم واحدقوا بهم من كل جانب فعند ذلك قصد ورد ان ضرارا ومعه بطارقة
الروم وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا ولا يطعن احدا الا اباده ولا يقرب
منه فارس الا جدله الى ان قتل من الروم خلقا كثيرا وصاح بقومه ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص عند ذلك قتل ضرار حمدان
بن ورد ان ثم اسر الروم ضرارا قال الراوى فعند ذلك اكبت عليه جيوش
الروم وصرخت عليهم من كل جانب واشتعل الحرب بينهم نارا ووصل حمدان
بن ورد ان الى ارض ضرار بن الازور ورماه بسهم فاصاب عضده الايسر فحش
ضرارا الالم فحمل على حمدان بحمية وصمم عليه برمحه فطعنه فاصاب بالطعنة
فؤاده فقتله ووصل السنان الى قفا ظهره ثم جذب الرمح اليه فلم يخرج واذا
به قد اشتبك فى عظم ظهره وخرج الرمح بعبر سنان فلما نظرت الروم اليه صمموا
عليه وبادروا اليه فاخذوه اسيرا فعظم ذلك على المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا
ليخلصوه فلم يجدوا الى ذلك سبيلا واراد وا الهروب فقال رافع بن عميرة

الطارق يا اهل الحفايظ وحماة الدين الى اين بكم اما علمتم انه من ألوى ظهره الى عدوه
فقد باء بغضب من الله فكروا الى عبدة الاصنام وها انا معكم وفي اولكم فرجعوا
وحملوا وقتلوا رجلا وجندلوا ابطالا فقال وصل الخبر الى خالد ان ضرارا اسير
بيد الروم وانه قتل من المسلمين والمشركين خلق كثير فقال لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فاستشار مع ابي عبيدة فقال اترك على الباب من يثق به وسر انت اليهم
فانك تطحنهم طحن الحصيد فعند ذلك اوقف مكانه ميسرة بن مسروق العبسي
في الف فارس وعطف خالد بالمسلمين وقال اذا اشرفتم على العدو فاحملوا حملة
واحدة فلعلنا نخلص ضرارا ان كان ابقوا عليه ثم تقدم امام الناس وهو يقول

اليوم يوم فارفيه من صدق ... لا تجزعوا الموت اذا الموت طرق
لا روين الرمح من دم الحدق ... واهلكن البيض هنكا والدرق
عسى انال منزلا من قد سبق ... ارجو الخلود في النعيم المرتفق

قال خالد بيتزم بهذه الابيات اذ نظر فارسا على كثيب طويل الركاب قصير العنان
بيده رمح طويل لا يتبين منه الا الحدق والفدوسية تلوح على شماله وهو قد اطلق
عنان جواده وعليه ثياب سود وقد ظاهر بها من فوق لامته وقد جزم وسطه
بعمامة خضراء وشحها على صدره الى ورائه كانه باز فقال خالد ليت شعري من
الفارس وايم الله انه فارس شجاع ثم اتبعه خالد بالناس وكان الفارس اسبق الناس
الى المشركين قال الواقدي وكان رافع ابن عميرة في قتال المشركين وقد صبر له ومن
معه اذ نظر الى خالد وقد انجده في كتايب الموحدين قال ونظروا الى الفارس الذي
قد وصفناه وقد حمل في عسكر الروم كانه الباز وقد رخرخ كتايبهم وحطم مواكبهم ثم غاب في وسط القوم فما كان الا جولة الى يمين حتى خرج وسنانه مخضبة بالدماء
وقد قتل رجالا وجندل ابطالا ثم اخترق القلب غير مكترث ولا مبتهج وعطف
على كراديس الخيل وغاب عن الناس وكثر قلقهم عليه فاما رافع ومن معه فلم يظنوا
الا انه خالد وقالوا لا تكون هذه الحملات الا له وانه على مثل ذلك في فكرتهم اذ اشرف
عليهم خالد في كبكبة من الخيل فقال رافع لخالد ايها الملك الامير من الفارس المقدم
امامك لقد بذل مهجته في سبيل الله وقتل باعداء الله فقال خالد والله اني اشد منكم
انكارا له وقد اعجبني ما ظهر لي من شمايله ثم قال خالد احملوا باجمعكم فتاهبوا للحملة
وخالد امامهم اذ نظر الناس الى الفارس وقد خرج من القلب كانه شعلة نار وقد
الخيل متتابعة في اثره وهو كلما يلاحق به قوم من الروم يلوي اليهم راجعا فجندل منهم
رجالا كثيرا فعند ذلك حمل خالد ومن معه فاستنقذوه من غولة المشركين ووصلوا

الترقي ح

اي جماعات

الفارس الى جيوش المسلمين فتأملوه كانه شقة ارجوان وقد تخضب بالدماء فصاح به خالد
لله من انت قال فمال الفارس عنه ولم يخاطبه وانغمس في الروم فتصايحت به العرب من
كل جانب وقالوا يا ايها الرجل الكريم اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه فلم يرد عليهم جوابا
فلما بعد عن خالد امره سار اليه بنفسه وقال ويحك قد شغلت قلوب القوم وقلبي بفعلك
فمن انت فلما ألح عليه خالد في الكلام خاطبه الفارس بلسان التانيث وقالت اني لم
اعرض عنك تهاونا بكلامك ولكن حياء منك لاني من ذوات الخدور وانما حملني على
فعلي اني حزنته الكبد مثروحة الفواد فقال لها من انت قالت انا خولة بنت الازور
بن طارق والماسور ضرار هو اخي قال فبكى خالد رضي الله عنه رحمة لها ثم قال نحن بجمعنا
نحمل حملة واحدة ونرجو ان نصل الى اخيك فننقذه من اسره قالت وانا في اولكم
قال عامر بن الطفيل وكنت عن يمين خالد حين حمل وحملت خولة امامه وحمل المسلمون
وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور قالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا
الفارس فليس لنا بقتال العرب طاقة فلما حمل خالد ومن معه واذا بالروم قد اضطرب
جيشهم فنظر وزردان اليهم وقال اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا وخرج
اهل هذه البلدة يعني دمشق فيعينوكم على قتالهم ولا يفلت منهم احد قال فثبت القوم
لقتال العرب وحمل خالد بالمسلمين حملة واحدة منكرة اخترق القوم وفرقهم
يمينا وشمالا وقصد خالد الى موضع صاحبهم وزردان عند اشتباك الاعلام والصلبان
فلم يزله وصولا وتفرق المسلمون على قتال الروم كل قرن مشتغل بقتال قرنه وقاتل
رافع بن عمرة قتالا شديدا واما خولة اخت ضرار فانها اخترقت الصفوف وجعلت
تجول يمينا وشمالا لا تطلب الا اخاها وهي تنادي وتقول اين ضرار لانراه يوي
ولا يراه معشر وقومي يا واحدي ويا اخي ابن امي كدرت عيشي وازلت نومي
قال فبكى الناس لقولها ولم يزل الناس كذلك الى وقت الظهيرة وافترق القوم بعضهم
من بعض وقد اظهر الله المسلمين على الروم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتراجعت كل
فرقة الى موضعها وقد هممت الروم بالهروب وما منعهم الا الفدع من وردان
قال فتاهب المسلمون لحربهم ثانيا وتقدم خالد هو وخولة وابطال المسلمين فلما قربوا القوم
رموا الرماح وترجلوا وتنادوا الفوز الفوز يعني الامان فقال خالد امنوهم واينوني
بهم فاتوا بهم المسلمين اليه فقال له خالد من انتم قالوا نحن من جيش وقد تحقق عندنا
ان لا طاقة لكم فاعطنا الامان فان لنا ولاهلنا ولاهل بلدنا واجعلنا من جملة من
صالحتموه من سائر المدن حتى نؤدي لكم من اموالنا شيئا في كل سنة وكل من
بمدينتنا يخمص يرضى بقولنا وينتهي الى امرنا فقال خالد اذا وصلنا الى بلادكم

فيكون الصلح ان كان لكم فيه ارب واما ههنا فلست بمصالحكم ولكن كونوا معنا
حتى يقضي الله ما هو قاض ثم امر باعتقالهم ثم قال هل عندكم علم" بصاحبنا الذي قتل
ابن صاحبكم قالوا العلم العار ان الجسد الذي قتل منا من قتل وفجع قلب صاحبنا بولده
قال خالد نعم فقالوا قد بعثه وردان عند ما ملكهم على بغل وكلمه مائة فارس ونقده الى
حمص ليحمله الى الملك هرقل يتحفه به لما ظهر له من افعاله ففرح خالد رضي الله عنه بقوله

ذكر بعث خالد رافع بن عميرة لخلاص ضرار رضي الله عنهم

قال ثم دعى خالد برافع بن عميرة وضم معه مائة فارس فقال الحق ضرارا فلما سمعت اخت
ضرار ذلك تهللت فرحا فقالت يا خالد بمحمد خير البشر الا سرحتني معه فعسى اكون مساعدة
للقوم فقال خالد لرافع انت تعلم شجاعتها فخذها معك فقال السمع والطاعة ثم ارتحل رافع
بمن معه وسار بين الجبل والقرب الى ان قرب من السالمية فنظر رافع واذا بيس
للخيل اثر فقال لاصحابه ابشروا فان القوم لم يصلوا بعد ثم كمنهم في وادي الحيات فبينما هم
مكمنون واذا بغبرة لاحت لهم فقال رافع" لاصحابه ايقظوا خواطركم فايقظ القوم همتهم
ووقفوا في انتظار العدو واذا بهم قد اتوا وهم محدقون بضرار بن الازور وضرار ينشد
ويقول
الا مبلغ قومي وخولة انني ... اسير رهين موثق اليد بالقد
وحولي علوج الشام من كل جانب ... وما منهم الا يحصن بالزرد
فيا قلب مت غما وهما وحسرة ... ويا دمع عيني جد بنفيض على خد
قال فاجابته خولة من مكمنها لقد اجاب الله دعاءك وقبل تضرعك ونجواك ها انا اخلصك
خولة ثم كبرت وحملت وكبر رافع واصحابه وحملوا قال حميد بن سالم وكنا اذا كبرنا تضعضع
خيولنا الهاما من الله عز وجل وقصد كل فارس منا لفارس من الروم فما كان اكثر من ساعة
او اقل حتى قتل كل خصم منا خصمه وخلص الله ضرارا واخذنا خيل القوم وسلاحهم
واخذ ضرار قناة مطروحة وجدها وحمل وهو يقول يا رب حمدا اذ اجبت دعوتي
فرجت عني وازلت كربتي قال الواقدي وكان خالد لما بعث رافع بن عميرة في
طلب ضرار صدم وردان صدمة من يريد الشهادة فما لبثوا ان ولوا الادبار
وكان اولهم وردان وانبعهم المسلمون واخذوا اسلابهم واموالهم ولم يزالوا
في طلب الروم الى وادي الحيات واجتمع المسلمون برافع وضرار وسلموا عليهم وهنوه
بالسلامة واثنى خالد على رافع خيرا ثم عادوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر
وبشروا ابا عبيدة بالفتح وايقن اهل دمشق بالقهر والغلبة واتصل الخبر
بهرقل ان وردان قد انهزم وقتل ولده فايقن بزوال ملكه فكتب الى ردان
اما بعد فقد بلغني ان العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد قد هزموك
وقتلوا ولدك فلا رحمة المسيح ولا رحمك ولولا علمي انك فارس الحرب ومجيد الضرب

وان النصر ليس لك لحل عليك غضبي والآن فقد مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين
تسعين الفا وقد امرتك على عليهم فسر نحوهم وانجدهم من دمشق وابعث بعض اصحابك
ليشغلوا من فلسطين من العرب وليحل بينهم وبين اصحابهم وانصر دينك والسلام
وبعث الكتاب مع خيل البريد فلما وردوا عليه وقرأ الكتاب الملك ارتحل بمن معه
الى اجنادين فوجد هناك من الروم وقد اظهروا العدد وخرجوا الى لقائه وعدده
في ولده فلما استقر قراره قرأ الكتاب الملك فاجابوا بالسمع والطاعة واخذوا
على انفسهم ذكر وقعة ابي عبيدة مع بولص واخيه بطرس
يوم شحورا قال لما رجع خالد الى منزله بدمشق ورد عليه عباد بن سعيد الحضرمي
بعثه شرحبيل بن حسنة بعلم خالد ان امير الروم اليه من اجنادين في تسعين الفا
فخذ اهبتك للقائهم فلما سمع خالد ذلك اجتمع بابي عبيدة واخبره بذلك فقال اعلم يا ابا
سليمان ان اصحابك رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداوا عنا مثل شرحبيل بارض حمص
ومعاذ بن جبل لحوران ويزيد بن ابي سفيان بارض البلقاء والنعمان
بن المقرن بارض تدمر وابلة وعمرو بن العاص بارض فلسطين والصواب ان
نكتب اليهم ان يسيروا الينا ثم نقصد العدو والنصر من الله فكتب خالد الى عمر
بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان اخواننا المسلمين قد عولوا على المسير الى
اجنادين فان هناك من الروم تسعين الفا وهم يريدون المسير الينا فاذا بلغك
كتابي فاقدم الينا بمن معك الى اجنادين فانك تجدنا هناك ان شاء الله تعالى وكتب
نسختها الى جميع الامراء الذين ذكرناهم ثم بعث بها اليهم وامر الناس بالرحيل
فاخذ خالد الجيش وسار في المقدمة وبقي مع ابي عبيدة الف رجل على الساقة مع
الغلمان والنسوان والولدان فنظر اهل دمشق الى ذلك وصاحوا واقبلوا بسيوفهم
وهم يطلبون ان يتبعوا العرب لاجل ما بلغهم من جيوشهم انهم باجنادين وكان
بدمشق يومئذ بطريق عظيم يقال له بولص بن ملاكا وكان من اشجعهم وافرسهم ولما رأوا
٢ رجل المسلمين اجتمعوا اليه وقالوا ان كنت تريد الخلد الابد والجاه الكبير عند الملك وعند كل من
بالشام فدونك فاخرج بنا نتخطف من تاخر منهم فركب وخرج ومعه اخوه بطرس ومن كان معه
بدمشق من الروم وعرضهم فاذا هم ستة الآف فارس وعشرة الآف راجل من اهل النجدة
وساروا وكان خالد قد بعد في المقدمة عن السواد والعيال وان ابا عبيدة سار على
مشى الاباعر والغنم اذ نظر رجل من اصحابه الى غبرة مظلمة فاعلم ابا عبيدة وقال اظنها
غبرة اعدائنا قال ابو عبيدة ان هم الا اهل دمشق قد طمعوا فينا ثم وقف حتى تلاحق
الظعن والاغنام والغبرة تتموج والاصوات تتعلو فقال معاشر المسلمين خذوا على انفسكم

فان العدو واصل اليكم فما استتم كلامه حتى برزت الخيل كانها قطع الليل المظلم وبولص
على المقدمة فلما نظر الى ابى عبيدة قصده ومعه الستة الآف وقصد اخوه بطرس الرجالة
الى الخيم فانقطعوا منهم قطعة فلما احتوى عليها رجع بطرس نحو مشق الى نحو استراق
وهى الكسوة وجلس هناك ينتظر ما كان من امر اخيه وقصد عدو الله بولص الى ابى عبيدة
واشتبكت بينهما الحرب ووقع القتال بين الصحابة والروم واقبلوا فى الكر والفر على
ارض شخور اولى ابو عبيدة بما لا طاقة له به من قتال بولص ومن معه وصبر لهم
صبرا لكن مما قرب سهيل بن صباح جواده واسرع حتى وصل لخالد فقال ايها الامير
الحق ابا عبيدة والحريم فان نفير دمشق قد التحق بهم وقد اقتطعوا قطعة من
النسوان والولدان فلما سمع خالد رضى الله عنه قال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد
قلت لابى عبيدة دعنى اكن على الساقة فما رضى ثم امر رافع بن عميرة على الف من الخيل
وقال الحق الظعن فلما ابعد امر عبد الرحمن بن ابى بكر على الفين وقال ادرك العدو
ثم اردف ضرار بن الازور فى الف ومعه قيس بن هبيرة فى الف واتبعهم خالد فى بقية
الجيش قال فبينما ابو عبيدة فى القتال مع بولص اذ تلاحقت به جيوش المسلمين
وحملوا على اعداء الله ودارا بهم من كل مكان واقبل ضرار وقصد بولص فلما راه
عدو الله تبلد خاطره وارتعد واراد ضرار طعنه فلما رأى بولص ذلك رمى بنفسه
عن الجواد وطلب الهروب نحو اصحابه فتر جل ضرار فى اثره ولحقه وهم ان يعلوه
بسيفه فقال بولص يا بدوى ابق على فقى بقاء يقك لنسوانك فلما سمع ضرار
قوله امسك عنه واخذه اسيرا والمسلمون قد حملوا على اعداء الله وقتلوهم
قتلا ذريعا وقال الراوى فما رجع فوق المائة فارس واحد من ستة الآف ثم امر
خالد ابا عبيدة ان يسير مع الناس على مهل حتى ينظر ما يكون من امر الحريم
ثم سار فى الفى فارس وبعث العسكر كله مع ابى عبيدة مخافة ان يلحقهم
وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه فى طلب الماسورات
وقد قدم قدامه رافع بن عميرة الطائى وميسرة بن مسروق وضرار بن
الازور وضرار ينشد ويقول

يا رب فرج ما ترى من كربى ... ولا تمتنى عاجلا بحسرتى
حتى ارى بناظرى اختيتى ... ذاك منايا ثم ذاك بغيتى
يسير وا بنا الى العدى يا صحبتى ... حتى اتال بغيتى ومنيتى
اشف من العدى الغداة مهجتى ... ان لم اقاتل فاحلقونى لحيتى

قال فضحك خالد من قوله وساروا خببا وتقريبا الى ان قربوا من نهر اشتر ياق

وهى الكسوة رأوا غبرة طالعة فى خلالها البوارق والسيوف تلمع فقال خالد هذا
العجب فقال قيس بن هبيرة اظن انه من بقى من خيالة دمشق قد جاؤا فقال
خالد قوموا الاسنة لننظر ما الخبر فقوموا الاسنة وساروا فاذا النساء
التى سار بهن بطرس اتفقن وثنا وثلث كل واحدة عمود خيمة وصحن
صيحة واحدة وبرزن الى الروم وحولة بنت الازور على مقدمتهن وعلى عاتقها
عمود خيمة ومن ورائها عفيرة بنت غفار وام ابان بنت عتبة وسلمى بنت
زارع بن عدوة ولبنى بنت سواد بن حازم ومزروعة بنت عملوق الحميرية وسلمى
بنت النعمان ومثل هؤلاء قال وحملت حولة فاول ما ضربت رجلا من الروم على هامته
بالعمود فاخذ صريعا فصاح بطرق يا ويلكن ما هذا قالت عفيرة بنت غفار فعلنا
هذا انفة لانفسنا وننتن بها عن معرة العرب ولنصر منكم اليوم بهذه الاعمدة
قال فضحك البطرق من قولها ثم صاح لقومه يا ويلكم تفرقوا على النسوان ولا تبذلوا
فيهن السيوف وخذوهن اسرى وذلك لانهم كانوا اقتسموهن وكان بطرس
اخذ حولة لانه لم ير احسن منها فافترق القوم عليهن واحدقوا بهن من
كل جانب ولم يجدوا الى وصولهن سبيلا وجعلن لا يدنو احد منهم اليهن الا ضربن
قوائم فرسه فيعطبنه فاذا عن جواده بادرنه بالاعمدة فيقتلنه قال الواقدى
ولقد بلغنى انهن قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب
غضبا شديدا وترجل عن جواده وترجلت اصحابه وزحفوا اليهن بالسيوف
والسيوف وهن يقلن متن كراما ولا تمتن لئاما وحولة تحرضهن وتقول
اترضين ان يطأ كن علوج الروم ونكن اماء لاهل الشرك والكفر ونظر بطرس
اليها وهى تهدر كالاسد وهى تنشد نحن بنات طبع وحمير وضربنا فيكم بسيف منكر
لاننا فى الحرب نار تستعر اليوم تلقون العذاب الاكبر فلما سمع بطرس ذلك من
قولها وتبين له حسنها وجمالها قال يا عربية اقصرى الا قدر ضين ان الكون معولا
وانا لى الرسانيق والاموال والماشية والمنزلة العظيمة من هرقل وتهابنى النصرانية
كلها فقالت يا ابن الكافرة اللئيم الفاجر انا والله ما ارضاك ان تدعى لى الابل والاغنام
فكيف ان تكون لى كفوا والله لئن ظفرت بك لاطيرن راسك بهذا العمود قال
فجرد سيفه وحرض اصحابه على القتال وقال ما ترون هذا اكثر من هذا فجمع الشام
وعند شعار العرب ان النسوة غلبتكم فاتقوا غضب المسيح والملك هرقل قال
الواقدى فاهتزوا لقوله وحملوا حملة عظيمة وضربت لهم النسوة وانهزم بعلى
مثل ذلك اذ اشرف عليهم خالد فصاحت حولة يا بنات النبابغة قد جاء كن

من الله الفرج قال فنظر بطرس اليهم فصاح يا معشر النسوة انه قد دخل في قلبي لكن رحمة لان لنا اخوات وبنات وامهات قد وهبتكن للصليب واذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك ثم عطف يريد الهروب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من العسكر احدهما متكفن في لامته وبيده رمح والاخر عار بر الجسد كانه الشر الباغي على فرس عربي يغير سرج وبيده رمح وقد اطلقا عنانيهما كانهما اسدين وكان الفارسان خالدا وضرارا ثم صاح بطرس بخولة انطلقي الى الخيل فقد وهبتكِ له وان كنت لا احب فراقكِ ثم ولى يطلب الهروب فقالت له خولة وهي تهذأ به انه ليس من شيم العرب تظهر لنا الود ونظهر لكم الجفاء ثم حطمت اليه فقال لها غيبي وجهكِ عني فقد زالت عني محبتكِ فقالت خولة لابد لي منكم على كل حال ثم اسرعت اليه وقد قصد ضرار وخالد فصاح بطرس حين نظر ضرارا وقد قصده يا عربي خذ اختك هبة مباركا لكم فيها وهي هدية مني اليكم قال ضرار قد قبلت هديتكم وشكرت لها واني لا اجد لكم مكافاة عليها الا سنان زمحي فخذه هدية اليكم ثم حمل عليه وهو يقرا واذا اخيتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ثم صمم بالطعنة اليه فوصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه بعمودها فكبا به الجواد وذهب عدو الله ليسقط الى الارض فادركه ضرار قبل سقوطه وطعنه في خاصرته اطلع السنان من الجانب الاخر فانتكس صريعا ثم حمل في اعراض القوم وحمل خالد في الف فارس فما كانت الا جولة الجلاد حتى قتل من الروم ثلاثة الاف رجل قال حامد بن عون الربعي ولقد عددت لضرار بن الازور قتل من الروم ثلاثين رجلا وقتلت اخته رجالا بعمودها وانهزمت بقية الروم ولم يزل المسلمون في اثرهم الى ان وصلوا وادي منشق فلم يخرج اليهم احد من اهلها بل زادهم واشتد هلعهم وغنم المسلمون الغنائم والخيل والسلاح والاموال ثم قال خالد ايها الناس اطلبوا اخوي ابي عبيدة ليلا يكون ورد ان وجيوشه قد لحقوا به فسار القوم وقد جعل ضرار رأس بطرس على سنانه ولم يزل القوم حتى لحقوا ابا عبيدة في ملتقى الصفد وقد تخلف عن المسير حتى اشرف الوادي المسلمون عليه فكبروا باجمعهم ورأوا الما سوراتٍ وفرحوا بها ثم دعى خالد بسولص وقال له يا ويلك اسلم والا فعلت بك كما فعلت باخيك قال وما صنعت باخي قال قتلته وهذا راسه عند ناجاء به ضرار وطرحه بين يديه فلما راى راس اخيه بكى وقال لابقا لي بعده الحقوني به فقام المسبب بن نجبة بامر خالد فضرب عنقه ثم رحل القوم

قال ابن كثير وكانت وقعة اجنادين للليلتين بقيتا من جمادي الاولى سنة ثلاث عشرة وقتل بها بشر كثير من الصحابة رضي الله عنهم

وهزم الروم وقال الواقدي لما بعث خالد كتبة الى الامراء شرحبيل ومعاذ ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص كما ذكرنا سارعوا باجمعهم الى اجنادين وقال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت في خيل معاذ بن جبل واشرفنا باجمعنا على اجنادين وكانا على ميعاد واحد قال الواقدي وذلك في مستهل جمادي الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة قبل وفاة الصديق بثلاث وعشرين ليلة وراوا جيوش الروم في عدد لا يحصى ولما اشرفوا عليهم تصففوا كتائب ومتقانبت ومواكب فكانوا اربعين صفا وان خالدا لما راى ذلك ركب وجعل يتخلل صفوف المسلمين ويقول اعلموا انكم لستم ترون جيشا للروم مثل هذا فان هزمة الله على ايديكم فما يقوم لهم قائمة بعد هذا فاصدقوا في الجلاد وتوكلوا على الله ثم قال ايكم من يحزر لنا القوم قال ضرار انا فقال خالد رضي الله انت والله ولكن يا ضرار اذا اشرفت على القوم اياك ان تغتر بنفسك فتحمل فيهم امرا قال فانطلق ضرار عنانه الى ان اشرف على جيش الروم فرائى زينتهم واهبتهم قال وكان وردان يحدق جيوش المسلمين وطريقهم اذ نظر الى ضرار فقال لبطارقته اني ارى فارسا قد اقبل وليست اشك انه طالع القوم ايكم ياتيني به قال فانتدب القوم ثلاثون فارسا وطلبوا ضرارا فلما راهم ضرار ولى من بين ايديهم حتى تبعوه وظنوا انه قد انهزم وانما اراد بذلك ان يبعدهم عن اصحابهم فلما بعدوا حرق راس الجواد اليهم وضرب السنان نحوهم فاول ما طعن فارسا من القوم فجندله وثنى باخر وصال فيهم صولة الاسد وصرخ بهم ودخل رعبه في قلوبهم فانهزموا فاتبعهم وهو يصرخ فارسا بعد فارس الى ان صرع من القوم تسعة عشر رجلا فلما قرب من جيش الروم ألوى راجعا الى خالد واعلمه بما كان قال واعلم ايها الامير ان القوم غنيمة لنا قال فرتب خالد عسكر ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في القلب معاذ بن جبل وفي الميمنة من يشق به وفي الميسرة سعيد بن عامر وفي الجناحين وفي الجناح الا يمن النعمان بن المنذر وفي الجناح الايسر شرحبيل حسنة وفي ان قة يزيد بن ابي سفيان في اربعة الاف فارس حول الحرم والبنات والاولاد ثم التفت الى الميسار فقال يا بنات النابغة وسادات الاكاسرة قد فعلتن بالامس ما ارضيتن به الله ورسوله والمؤمنين وهذه ابواب الجنة قد فتحت لكن فان حملت طايفة من الروم عليكن فقاتلن عن انفسكن وان رايتن احدا من المسلمين قد تولى هاربا فدونكن واياه بالعمد فاقبل خالد الى المسلمين وحرضهم فقال قاتلوا عن حريمكم واولادكم ودينكم فليس لكم ملجا تلجاون اليه ولا ملجن تكمنون فيه قال فانتدب المسلمون للحرب وتهيأوا واقبل خالد فوقف في القلب مع عمرو بن العاص وعبد

وعبد الرحمن ابا بكر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة والمسيب بن نجية وذي الكلاع
الحميري وربيعة بن عامر ونظايرهم من السادات الكرام رضي الله عنهم ثم زحفوا بسكينة ووقار
فلما تقارب الجمعان بعضهم من بعض خرج من صفوف الروم شيخ كبير بلا مة سوداء وعلوج
امامه فلما قرب من المسلمين نادى بلسان عربي ايكم المقدم فيخاطبني فخرج اليه خالد فقال
له القس انت امير القوم قال كذا يزعمون فما دمت على طاعة الله وسنة نبيه عليه السلام
فانا غيرت فلا طاعة لي عليهم ولا امان فقال القس بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك
توسطت بلادا ما جسر ملك من الملوك يتعرض لها والنصر لا يدوم وصاحبي وزدان
قد اشفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال انه يعطي لكل واحد منكم ثوبا وعمامة ودينارا ولكم
انت مائة دينار وعشر اثواب ولصاحبكم يعني ابا بكر الف دينار ومائة ثوب وارجعوا عنا
بجمعكم فانا على عدد الذر فلا تظن ان هؤلاء مثل من لاقيت من جموعنا فان الملك ما بعث
في هذا الجيش الاعظم الملوك والبطارقة والاساقفة قال خالد رضي الله عنه اما والله ما نرجع
عنكم الا باحدى ثلاث الاسلام او الجزية او القتال واما ما ذكرت انكم على عدد الذر فان
الله قد وعدنا بالنصر على لسان نبينا وانزله في كتابنا واما ما ذكرت ان صاحبكم يعطي
كل واحد منا ثوبا وعمامة ودينارا فعن قريب ترى ثيابهم علينا ونعمهم عندنا وبلادكم
ملكنا فرجع القس بجواب خالد الى وزدان فاخبره فقال وزدان قد لحقهم الطمع
فينا اذ تقاصرنا عن قتالهم فعند ذلك تقارب الجمعان وقامت الحرب ورمت الارض
بنشابها رمية واحدة فقتلوا رجالا وجرحوا اناسا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال
فقال ضرار ومالنا والوقوف والله قد تجلى الينا والله ما يظن اعدا الله الا انا قد شغلنا
وجرحنا فامرنا بالحملة او يبرز منا رجال حتى نبارز او نطول الى وقت الحملة
فتحمل بحملتك قال فانت لها يا ضرار ذكر مبارزة ضرار وقتله
اصطفان صاحب عمان قال ثم خرج ضرار وقد تدرع بدرع كان لبطرس
ولبس خفا من جلود الفيلة وكان لبطرس والقى الزرد على وجهه واخفى نفسه
بلباسه عن الروم وركب جواده واسرع بسنانه فحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام
والجان فلم يصل اليه اذى وهو يخترق صفوفهم فما كانت الاجولة الجايل حتى قتل عشرين
فارسا وقيل ثلاثين ثم رمى بالبيضة عن راسه والزرد عن وجهه وقال يا بني الاصفر
انا ضرار بن الازور انا قاتل حمدان بن وزدان انا البلاء المسلط على من يشرك بالرحمن
فلما سمع وردان بذلك تنفس الصعداء فقال هذا والله قاتل ولدي ومقلد عددي ولقد
اشتهيت من ياخذ بثاري منه وله مني ما يريد قال فبرز اليه صاحب طبرية فحمل
على ضرار فما جاء الا كثر من ثلاث ساعات حتى طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها

الدرع فانجدل صريعا وكان يقال له مقطع السلاسل لقوته وشدته فلما راى وزدان ذلك
انقهر وقال ما ارى لهذا البدوي الذميم غيري وكيف يطيق الانس قتال الجن ثم انه
لبس لامته والقى الدرع على بدنه من اللؤلؤ ووضع على راسه التاج يطلب بذلك الرهبة على
على ضرار ثم ركب جوادا من نسل خيل العرب فتقدم اليه اصطفان صاحب عمان فقبل
ركبته وقال ايها الصاحب ان اخذت بثار من هذا الذميم وقتلته او اسرته اتزوجني
ابنتك فقال وزدان هي لك وانا اشهد على من حضر من الملوك فلما سمع اصطفان بذلك
خرج متصمما كانه شعلة نار وحمل على ضرار وقد اخرج صليبا من الذهب وجعل يقبله
فعلم ضرار انه يستنصر عليه بصليبه وقال يا عدو الله ان كنت تستعين على بالصليب
فانا استعين عليك بالقريب المجيب ثم حمل عليه واوريا كلاهما ابوابا من الحرب حتى
ضج الناس من قتالهما وحميت الشمس وتعب الجودان فاشار البطريق الى ضرار ان
يترجل حتى يتقاتلا رجالة فهم ضرار ان يترجل شفقة منه على جواده واذا بفارس
قد خرج من صفوف الروم وهو يقود جنيبا وهو غلام البطريق فلما نظر اليه صاح بالجواد
وسمعه يقول تجلد معي والا شكوتك الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمحم جواده
وشمر اجنحة جريه فاستقبل ضرار غلام البطريق وطعنه فقتله واخذ الجنيب
وركبه واطلق جواده فلحق بالمسلمين فلما راى ذلك البطريق ايقن بالهلاك وعلم انه
ان ولى قتله لا محالة وان وقف اهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله وتبلده فكانه
علم ما عنده فاجمع على الحملة عليه وانه لفي ذلك اذ نظر الى كردوس من الخيل قد خرج
من عسكر الروم وذلك ان وزدان نظر الى صاحبه وقد اشرف على الموت علم انه ان
لم يدركه هلك فقال يا قوم لئن لم اقتله اليوم قتلت نفسي ولا بد لي من الخروج اليه ودع
الملوك تعيرني بخروجي الى هذا الضعيف قال فما زالت البطارقة والقياصرة
يمنعونه حتى حلف لهم بالصليب لا بد لي من الخروج اليه فخرج في عشرة فوارس وهم مدرعون
وفي ارجلهم الخفاف الحديد وبايديهم اعمدة الحديد فخرجوا ووزدان يتقدمهم
كانه شعلة نار فعند ذلك تقوى قلب اصطفان بعد ان ايقن بالهلاك قال فعند
ذلك قال خالد لاصحابه يخرج منكم عشرة حتى تساوي القوم ثم خرج خالد في عشرين من
خيله ووصلت الروم الى ضرار فصبر لهم الى ان وصل اليه خالد باصحابه والتقت الرجال
بالرجال وانفرد كل صاحب واحد بصاحبه وطلب خالد بوزدان ولم يزل ضرار عن
خصمه اصطفان وهو قد كل ساعده وارتعدت فرايصه عنده فنظر الى خالد
واصحابه وجعل ينظر يمينا وشمالا يطلب الهدوب وليس لغرسه نهضة فعلم
ضرار ذلك منه فهجم عليه بسنانه فلما ايقن بالموت القى بنفسه عن الجواد وولى هاربا

عون

فبادر اليه ضرار وألقى بنفسه عن جواده وطلبه حتى لحقه فعند ذلك رمى ضرار الرمح من يده
وتصارعا على وجه الارض وتواخذا بالمناكب وكان عدو الله كالصخرة الجلمود وكان
ضرار نحيف الجسم غير ان الله اعطاه قوة فلما طال بهما العراك ضرب ضرار ببده
الى مخزم سراويله فقلعه من الارض ثم جلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستجير بوردان
ويقول بالرومية ايها السيد انقذني مما انا فيه فقد هلكت فقال وردان ويلك وانا
من ينقذني من هؤلاء السباع فلم يمهل ضرار حتى برك على صدره وهو يتمرغ تحته
ويعج كعج البعير فعند ذلك اشهر ضرار سيفه ومكنه من نحر عدو الله فاخرج السيف
من جانب حلقه فعندها زعق عدو الله زعقة عظيمة سمعها اهل العسكرين
قال الراوي فعند ذلك حملت الروم باسرها فلما نظر ضرار الى ذلك وقد دهمه جيش
العدو وقال ما لي الا ان تمسكني حتى تدوسني الخيل بحوافرها فاحتز رأسه وقام
عن صدره وهو مضمخ بالدماء ثم كبر وكبر المسلمون وحملوا من اماكنهم وحملت الروم
من قبل اليمنة على معاذ بن جبل وحملت الميمنة على سعيد بن عامر وترامي الامر من الجانبين
وتلاحم الفريقان الى ان دنت اوقات العصر فافترقوا وقد قتل من الفئتين
خلق كثير الا ان القتل كان في المشركين اكثر واعظم ذكر من قتل من المسلمين
ومن هو خير من قتل من الروم قال الواقدي وكان ممن قتل بوقعة اجنادين
من المسلمين سلمة بن هشام المخزومي ونعيم بن صخر العدوي وسهام بن العاص
السهمي ووهبان بن سفيان وعبد الله بن عمرو الدوسي وذر بن عون النميري
وراغب بن كعب الحزرجي وقلام بن مهدام الذهري وذو اليسار بن خزرجة التميمي
وحرام بن سالم العنوي وسعيد بن عاصم الكلابي وعاصم بن بشر السلمي وامية
بن حبيب وجميل بن رافع السلمي وموهب بن واثق البربوعي ومحل بن حنظلة
الثقفي وعدي بن يسار الاسدي ومالك بن النعمان الطايفي وسلامة بن ظليحة واثنى
عشر رجلا من اخلاط الناس قدس الله ارواحهم قال الواقدي رحمه الله لم نقف على
اسمائهم واما الروم فقتل منهم زهاء ثلاثة الاف فمنهم عشرة من ملوكهم وهم مارس
بن نياف صاحب ارض عمان وما يليها ومرقس بن طليبا صاحب الصنمين ودير
ايوب وفواودين صاحب حوران ولاون بن جنه صاحب جبل السواد وعاملة
وبدرغون بن رويس صاحب غرة وعسقلان وبحنة بن عبد المسيح صاحب جلول
وبلادها وجرفاس بن جبرون صاحب الدملة ومرنوس صاحب ارض البلقاء
وكورس صاحب نابلس وصاحب ارض العواصم لم نقف على اسمه ذكر مليدة
وردان وقتله قال الواقدي لما افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ
قلبه رعبا مما ظهر له من المسلمين وشدة صبرهم فجمع البطارقة اليه فقال ما ترون

في امر هؤلاء وقد قتل منا خلق كثير وقتل ملوك ابطال فقال له رجل منهم ما ارى لك
ان تاخذ ثارك منهم الا ان تصل الى صاحبهم بمليدة فان قتلته انهزم القوم عن
اخرهم فاعمد الى عشرة من الرجال الشجعان واكمنهم في كمين بناحية من عسكرك واودع
بعاجب القوم يعني خالدا فاذا جاء فسر اجمعا الى ان تصلا الكمين فتجلسا عنده
وتشاغله بالحديث حتى يطمئن اليكم ثم اهجم عليه واصرخ بقومك حتى يبادروا اليكم
من الكمين فيقطعوه ارنبا ارنبا وتكفى مؤونته ويتفرق اصحابه فقال وردان وقد
فرح به هذا يعمل بليل ولا ياتينا الصباح الا وقد فرغنا من دعي رجلا من نصارى
اهل الشام وكان مسكنه بحمص واسمه داود فقال له اخرج الى هؤلاء العرب
وائتهم ان يقطعوا الحرب بيننا وبينهم بقية يومنا ونخرج الينا اميرهم باكرا حتى
اخرج اليه بنفسي لعلنا نصطلح ونذفع له من المال ما يريد فقال داود ان الملك امر
بالحرب وانت تصطلح وانا اخاف ان اكون واسطة فيقتلني الملك فقال وردان هذه
مكيدة مني عسى ان تصل الى صاحبهم فاقتله فقال داود يا وردان المكيدة والغدر
محذولان في كل فعل فاترك عنك هذا والق الجمع بالجمع فغضب وردان فقال انت رسول
لا مستشار فقال حبا وكرامة وقال في نفسه ان وردان قد عزم على ان يلحق بولده
فاتى الى خالد واخبره بما قال وردان فقال خالد ان كان ذلك لمكيدة وحيلة فنحن والله
جرثومة الخداع ومعدن المكر فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الا لقرب
اجله وان كان ذلك من قوله حقا فلست اصالحه الا على الجزية ثم قال داود في نفسه صدق
والله العربي والله اعلم ان وردانا اول مقتول ونحن من بعده ومالي الا ان اصدق
العربي واخذ لنفسي واهلي ومالي اما فاتم التفت الى خالد واخبره بالواقع فقال له خالد
لك الامان ولو لم كان انت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود لو غدرت عندك
لما حدثت قال خالد وابن مكمن القوم قال عند الكثيب عن يمين عسكرهم ثم خلاه ورجع
واعلم صاحبه بجواب خالد ففرح وقال الان ارجو من الصليب ان ينظفرني به ثم دعى
العشرة من الفتاك الابطال قال فمضوا رجالة وكمنوا ثم ان خالدا اجتمع بابي عبيدة
فاخبره بالقصة فقال ابو عبيدة وما عزمت عليه قال عزمت ان اخرج الى القوم
وحدي فقال يا ابا سليمان وقد اعدلك عشرة وهو حادر عشرة وما امن عليك من
اللعين ولكن ادب كل رجالا وكمنهم قريبا من القوم فاذا صرخ اللعين بقومه
اصرخ انت بقومك ونكون نحن على تحيلنا متاهبين قال ثم ان خالدا دعى
بعشرة من اصحابه وهو رافع بن عميرة الطايي والمسيب بن نجبة الفزاري
ومعاذ بن جبل وقيس بن هبيرة وزيد بن سعيد البياضي وعدي بن حاتم وضرار

بن الأزور وسعيد بن زيد العدوي وابان بن سعيد وسعيد بن عامر فاخبرهم بالقصة ثم قال لهم انتوا
في الهبطة التي عن يمين الكثيب فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا للقوم واتركوني وعدو الله
فاني له كفؤ لن شاء الله تعالى فقال ضرار آن نسير من وقتنا الى مكمن القوم فان وجدناهم وقد
فرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن في موضعهم فاذا خلوت انت وقرنك خرجنا اليه فضحك خالد
وقال افعل فخرج بالقوم في الليل وهم رجالة وبايديهم السيوف وكان خروجهم وقد مضى ثلث
الليل الاول وضرار على مقدمتهم وهو يقول

خضت الدياجي ولا ألوي على الجزع ... الجبن تفزع مني في الظلام اذا
ونحن جرثومة الامكار والخدع ... يا ويح من وضع الارصاد يجزعنا
ليس الجسور على الاهوال كالجزع ... لا رضين البهي في جهادهم

فوصلوا الى الكثيب فاوقف ضرار اصحابه وقال اختبئوا لكم القوم ثم نزع ثيابه واخذ سيفه وسار
نحو الجبل والكثيب سيرا خفيفا الى ان قرب من القوم فلما اشرف عليهم من بعيد سمع غطيطهم
في نومهم وهم سكارى من نومهم لما نالهم في يومهم من النصب فرجع فاخبر اصحابه فجردوا السيوف
وتقدم امامهم ضرار الى ان وصلوا الى القوم فانفرد كل واحد بواحد فلما تمكنوا منهم وضعوا
السيوف فيهم فلم يستيقظوا الا مع ضربات السيوف فقطعوهم ارنبا ارنبا وافنوهم عن
آخرهم ثم اخذوا اسلابهم وسلاحهم فقال ضرار هذا اول الفتح واقاموا ليلتهم يبتهلون و
يصلون شكرا لله تعالى الى ان برق ضياء الفجر فعند ذلك لبسوا فوق لباسهم ثياب
الروم وحثوا على القتل الثراب مخافة ان يأتيهم رسول من قبل وردان وجلسوا تحت
السلاح يرتقبون الخروج قال الواقدي فلما اصبح الصباح تصففت الروم وخرج عدو الله
وردان متظاهرا بقلايد الجوهر والتاج وخرج خالد متقنعا بعمامة صفراء مشتهرا
بحربة حمراء وسلم على المسلمين وودعهم وهو يقول

عليك رب في الامور اتكل ... فاغفر الهي ان دنى مني الاجل
وثبتني يا رب الى خير العمل ... واغفر الهي ما علمت من زلل
واقمع سيوف الشرك حتى يضمحل ... ما لي سوى ذلك في الامور من امل

ولم يزل خالد الى ان قرب من وردان واذا هو قريب من الكثيب فلما قرب منه خالد نزل عن
بغلته ونزل خالد عن فرسه وجلسا كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه بين يديه حذرا
من خالد ان يهجم عليه فقال خالد قل ما شئت واستعمل الصدق واعلم انك جالس امام رجل
لا يكترث بالخداع ولا يلتوي الى الحيل الواقعة به لانه جرثومتها فقال وردان يا خالد اذكر لي
ما تريد واحقن دماء الناس فان طلبت شيئا من دنيانا فلن نبخل بها صدقة منا عليكم
انه ليس عندنا امة اضعف منكم وقد علمنا انكم في بلد قحط تموتون فيه ضرا وهزلا فقال خالد

رضي الله عنه يا كلب النصرانية ان الله عز وجل قد اغنانا عن صدقاتكم وجعل اموالكم حلالا لنا
واحل لنا نسائكم واولادكم وديارهم الا ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان ابيتم فالجزية
عن يد وانتم صاغرون فان ابيتم فالسيف بيننا وبينكم حتى يموت منا ومنكم مائة والله تعالى
والله ينصر من يشاء واما قولك انه لم يكن عندنا امة اضعف منا فانتم عندنا بمنزلة الكلاب
الواحد منا يستضعف منكم الفا وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كان لطمع ترجوا
ان تصل اليه بانفرادي عن اصحابي فذلك بعيد منكم وان اردت القتال فها انا وانت في عزلة
عن قومي وقومك فدونك ما تريد فاني كفؤ لك قال الواقدي فلما سمع وردان مقالة خالد رمى
وثب من مكانه من غير ان يجرد سيفه ثقة منه باصحابه انهم يجدونه من الكمين فقبض
عليه وثار اليه خالد وشابكه وضرب بيده على عضديه واشتبكا ووثق بعضهما بعض
وصاح عدو الله بقومه فقال لهم بادروا فقد امكن الصليب من امير العرب فابتدر اليه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الكثيب كانهم العقبان وقد رموا الاطمار
والدروع التي كانت عليهم وخرجوا مبادرين وجردوا السيوف وكان اول من برز
ضرار وهو عار بسرا ويله فابصر على سيفه وهو يهدر كالليث فالتفت عدو الله ونظر
القوم وهم يلتمسون بثوبه وهو لا يشك انهم قومه حتى وصلوا اليه فنظر امامهم ضرار
بن الازور وهو يثب وثبة الذيب مسرعا وهو يهز سيفه فلما نظر وردان الى ذلك
ارتعدت فريصه وقال يا خالد سألتك بمعبودك الا قتلتني ولا يقتلني هذا الشيطان
فقال خالد هو قاتلك لا محالة وسقط الى الارض وهو يشير باصبعه وينادي الامان الامان
فقال خالد يا عدو الله انما يعطى الامان لاهل الايمان وانت رجل قد اظهرت لنا المصالحة
وقد اضمرت لنا الخديعة وكل بالله والمكر والله خير الماكرين فلما سمع ضرار ذلك
لم يمهله دون ان ضربه على حبل عاتقه واختطف التاج عن رأسه وقال من سبق الى شيء
فهو له واولى به قال وداركته سيوف المجاهدين فقطعوه ارنبا ارنبا وتبادروا الى
سلبه فاخذوه ثم ان خالدا اقبل على اصحابه وقال يا قوم اني ما امنت من القوم ان يميلوا
عليهم لانهم منتشرون على صاحبهم فاحترزوا راس عدو الله والبسوا الاطمار التي
كانت على الروم وتواجهوا تلقاءهم فاذا قربتم منهم فكبروا واحملوا فيحمل المسلمون
عند تكبيركم قال فعمد كل واحد الى من قتله فاقتطع عليه عدته ولامته ثم توجهوا
الى تلقاء الروم وقد استخفوا تحت سلاحهم وخالد وضرار في اوايل القوم ورايس ور
على طرف ذباب سيف خالد فلما انكشفوا لاهل العسكرين مالوا الى ناحية الروم
ونظر الكفار الى راس صاحبهم لم يشكوا الا انه راس خالد وان وليد اصحابهم
فتعطعطوا وصفقوا واظهروا الصلبان ونظر المسلمون الى ذلك فحامر قلوبهم

الفزع وخافوا ان صاحبهم قد اصيبوا به فهم بين داع وخائن وباكٍ وضارع فلما قرب خالد
من صفوف الروم اخذ الرأس ولوح به وقال يا اعداء الله هذا راس صاحبكم وانا والله
خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رمى الرأس اليهم وحمل عليهم وكبر
وحمل اصحابه وكبروا ونادى ابو عبيدة احملوا يا حماة الدين ثم حمل وحمل المسلمون
لحملته فلما نظرت الروم الى راس صاحبهم وتيقنوا ان قومهم قد قتلوا ولوا الادبار
واخذهم السيف من كل مكان فتلوا تحت كل حجر ومدر ولم يزل السيف يعمل فيهم
من الضحى الاول الى وقت العصر فتفرقوا كابل شارق قال عامر بن الطفيل كنت في
خيل ابي هريرة نتتبع المنهزمين الى نحو طريق زرعة اذ اشرفت علينا
عبرة فظننا انها نجدة جاءت من عندهم فاخذنا على انفسنا واذا بالغبرة قد دنت
منا واذا هو عسكر قد انجدنا به ابو بكر الصديق فما لقوا احدا من الروم الا قتلوه
ونهبوا اموالهم قال الواقدي كان جيش الروم باجنادين تسعين الفا فقتل منهم
ذلك اليوم خمسون الفا يزيدون ولا ينقصون وقتل بعضهم بعضا تحت الغبرة
وافترق من بقي منهم فمنهم من مضى الى قيسارية ومنهم من طلب دمشق وغنم
المسلمون غنيمة لم يغنم الناس مثلها في ايامهم التي مضت واخذوا من صلبان الذهب
والفضة والسلاسل من الذهب ما لا يعد ولا يحصى فجمع خالد ذلك كله مع التاج الذي
غنموه من وردان الى وقت المقسم وقال لست اقسم عليكم شيئا الا بعد فتح دمشق
ان شاء الله تعالى ذكر كتاب خالد الى الصديق رضي الله عنهما بالبشارة
والفتح قال الواقدي ثم ان خالدا كتب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بالفتح يقول
ببسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه ثم حمدا وشكرا على سلامة
المسلمين ودمار المشركين واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم واني لقيت جموعهم
باجنادين مع وردان صاحب حمص فوزقنا الله الصبر والنصر وكبت اعدائنا
بالقهر فقتلناهم في كل فج وشعب وادي وجملة من احصيناهم من الروم ممن قتل
خمسون الفا وقتل من المسلمين في اول يوم واربعة ايام وخمسة وسبعون رجلا
ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا وهم مسلمة بن عمرو وعوف بن ماز ن
وشاكر بن مزروع وواقد بن حسان ومرة بن عجلان والمقنع بن نجدة وصفوان بن
خزرجة واوس بن حوشبة ويعمر بن الباطون وعبد الله بن بشير والسلول بن
قدم وحامد بن عطاء وسفيان بن ربيعة والاكوع بن مرة وسيف بن جابر والصامت
بن حميد ويعلى بن نقيع وميسرة بن حامد وكامل بن مزينة والعقاب بن اكال الدم

رضي الله عنهم وقتل من اهل مكة ثلاث رجال وهم قيس بن عامر المخزومي ونعيم بن صفوان
وهاشم بن عكرمة من بني عبد الدار وقتل من حمير عشرون رجلا وهم رفاعة
بن موهوب وعنان بن مالك وسعيد رافع وماجد الاسقع والقاطر بن يعقوب
والجلجلان بن عوف ويزيد بن عبد الله وسابق بن نافع وعياذ بن اوس وكلكل بن
رفاعة وماقط بن سنان والكامل بن حزم ومرثد بن طالب واحاطة بن يربوع وعملاق
بن سنان وذو المنافع بن وايل ونوفل بن ذي محارب وسمار بن عوف وحندل
بن ربيعة وقتل من سليم ستة وهم سالم بن المنذر ونعمان بن مرة وبياض بن حامد
ودقاق بن نعيم وياسر بن مقدام ومسلم بن منصور رضي الله عنهم والباقي من اخلاط
الناس ويوم كتب هذا الكتاب يوم الخميس لليلتين مضتا من جمادى الآخرة
ونحن راجعون الى دمشق فادع الله لنا بالنصر والسلام عليك وعلى من معك من
المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طواه وختمه وسلمه الى عبد الرحمن بن حميل الحجي
وامره بالمسير الى المدينة من وقته فارتحل عبد الرحمن من ساعته وارتحل خالد من
بعده الى دمشق فوصل عبد الرحمن الى المدينة وسلم الى الصديق الكتاب وكان
بخط ابي عبيدة فقرأه ابو بكر رضي الله عنه سرا ثم قراه جهرا ففرحوا بذلك وشكروا
الله تعالى ولما سمع الناس بذلك التأم بالمدينة جيش عظيم زهاء على سبعة الاف فارس ثم
كتب ابو بكر كتابا الى خالد ببسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر بن الصديق خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد الوليد ومن معه من المسلمين فاني احمد الله الذي
لا اله الا هو واصلي على نبيه وامركم بتقوى الله في السر والعلانية والرفق بالمسلمين
والتحمل لضعيفهم والتجاوز عن مسيئهم والمشاورة لهم وقد فرحت بما فاء الله
عليكم من النصر وهزيمة الكفر فاجعل السير في نواحي الشام والكر الى ان تطأ
اقصى ارضهم وانزل الى احنية الشام الى ان يأذن الله بفتحها على ايديكم فاذا تم ذلك
فسر الى حمص والمعرات واطلب انطاكية والسلام عليك وعلى من معك ورحمة الله
وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمه الى عبد الرحمن
فاخذه وسار به على مطيته على طريق البرية الى ان وصل الى دمشق ذكر
رجوع المسلمين الى دمشق قال الواقدي لما بعث خالد الكتاب الى ابي
بكر رضي الله عنه ارتحل من يومه يريد دمشق وكان اهلها علموا بقتل ابطالهم
وبانهزام جيوش الملك خافوا واضطربوا وادخلوا اهل القرايا والرساتيق وتحصنوا بها
واعدوا اليها الحصار فاقبل خالد بالجيش وقد زاد فيه عمرو بن العاص في تسعة الاف
وجيش يزيد بن ابي سفيان في الف وجيش شرحبيل وعمرو بن ربيعة في

في القين وجيش معاذ بن جبل في القين وانبسط السواد من ورائهم ورأى اهل دمشق
عسكرا جرارا واتقنوا بالهلاك فنزل خالد على دير هند المعروف به بينه وبين المدينة اقل
من ميل ودعا بالامراء فقال لابي عبيدة امض بمن معك وانزل بهم مما يلي باب الجابية ولا
تسمح للقوم بالامان فيخدعوك وقد علمت غدرهم عند انصرافنا فقال حبا وكرامة فخرج ونزل
بربع الجيش على باب الجابية ونصب له بيت من الشعر بالبعد ولم ينصب له قبة من
بعض قباب الروم وكانت عندهم منها الوف لاجل التواضع والمسكنة وربما اصاب الناس
مطر ولا يأوون اليها لانهم يذكر فيها اسم الله وكانوا يزخرفون غراة من السلاح وبعضهم
يصنع له من نور الثمر بخيوط ويلبسها مكان الدرع وقال ليزيد بن ابي سفيان انزل بمن معك
على باب الصغير وقال لشرحبيل حسنة انزل بقومك على باب توما واحذر من صاحب
الباب ان يخرج اليك فانه داهية القوم وانهزقل بحبته لشجاعته فلذلك زوجه ابنته وقال
لعمرو بن العاص اذهب بجندك الى باب الفراديس وقال لقيس بن هبيرة وقد ضم اليه جزاء
من المسلمين الزم باب كيسان بمن معك قال الواقدي فاما باب مرقس فانه كان مغلقا
لم يكن عليه قتال فلذلك سمته العرب باب السلامة ثم دعى خالد بضرار بن الازور وضم اليه
الفي فارس وقال له كن في الطلايع وطف حول المدينة كلها فان دهاك امر ولاحت لك
عيون القوم فارسل الي واعلمني به قال فلما اصبح القوم زحفوا للقتال وعول اهل دمشق
ان يقتلوا عن اخرهم ولا يسلموا الحريم والاولاد وتراموا بالسهام والجناد حتى جرح
من الفريقين رجال وقدم عبد الرحمن بن خميد من المدينة بكتاب ابي بكر الصديق فلما
قرأه خالد فرح وبشر اصحابه بقدوم الجيش مع ابي سفيان وعمرو بن سعيد بن العاص
ولم يزالوا في الحرب يومهم ذلك الى ان جاء الليل وافترقوا وبقي كل امير على بابه واجتمع
كبراء اهل دمشق وتشاوروا فقال بعضهم المصلحة ان نصالحهم فانا نحن بالكثير
ممن اجتمع باجنادين وقد طحنونا طحن الحصيد وقال بعضهم نثور وصهر الملك
توما فاما ان يصالحهم او يخرج فينحاز عنا فاجتمعوا به في ظلام الليل فقالوا اما ان نصالحهم
على ما طلبوا منا واما ان تكتب الى الملك فينجدنا او يمنعنا فقد اشعرنا على الهلاك
فتبسم وقال ويلكم اطمعتم عدوكم ورأس الملك لا اراهم للقتال ولا هم عندي بمبالين فلو نزلوا
في مدينتكم مطمئنين فلو منعتهم الباب ما دخلوا ولاجسروا فقالوا ايها السيد اما
ان تكفي مؤنتهم والا ففتحنا الابواب وصالحناهم على ما طلبوا منا فخشي توما ان يفعلوا
ذلك فقال انا اصرفهم عنكم واقتل امرائهم الاربع فالاربع الا اني اريد ان تساعدوني
وتقاتلوا امامي فقالوا نحن بين يديك نقاتل او نهلك عن آخرنا فقال فباكروا القتال
القوم فعندها يحل الويل بالعرب فانصرفوا على ذلك وهم شاكرون والامير

منتظر ذكر تصدي توما للقتال قال فلما اصبحوا اقبل توما من الباب
الذي يدعى باسمه والصليب الاعظم على رأسه والانجيل يحمل بين يديه ورفع القوم
اصواتهم وتقدم توما ووضع يده على اسطر من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق
فانصرنا ولا تسلمنا الى الاعداء واخذ الظالمين فانك به عالم اللهم انا نتقرب اليك
بالصليب ومن عليه واظهر الايات الربانية والافعال الالهية القديم الذي لم يزل منك بدأ
واليك عاد فحمله منك انصرنا على هؤلاء الظالمين وانصر من كان على الصراط المستقيم
قال وامن القوم على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حدثني شرحبيل حسنة والذي فسر له
هذا الكلام زوماس صاحب بصرى وكان في جيش شرحبيل على باب توما قال واستعاذ
المسلمون بالله من شركفرهم وكذبهم على المسيح وزحف شرحبيل ومن معه وقصدا الباب
بحملته وقاتل توما ذلك اليوم قتالا شديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى بالنشاب رميا
متدارکا فجرح رجالا وكان ممن جرح ابو سفيان ابو ابان بن سعيد العاص اصابته
نشابة فنزعها وكانت مسمومة فحسن بذبيب السم في بدنه وحملوه الى منزله فما
نزعوا العمامة عن رأسه حتى شخص الى السماء ببصره وقال اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فما استتمها حتى مات
وسمعت زوجته ام ابان بنت عتبة بن ربيعة وكان قد تزوجها جنادين وكانت
قريبة العهد بالعرس وكانت من المتجلات البارزات من اهل بيت الشجاعة فقالت
لاجاهدن الى ان الحق بكم ثم صلى عليه خالد رضي الله عنه ودفنوه مكانه وقبره معروف
فلما غيب في الثرى لم تبكه ام ابان ولم تؤبنه دون ان لبست سلاحه وتنكرت وتلثمت
وتناولت سيفه وجفنته ولحقت الجيش من غير ان يعلم خالد بذلك وقاتلت مع الناس
قتالا شديدا وكانت رامية بالنبل قال شرحبيل حسنة كان رجل على باب توما يحمل
الصليب وهو امام توما وهو يشير الينا وينادي اللهم انصر هذا ومن لاذ به اللهم
لا تخذله ولا تخذل من يعبده واكفنا مؤونة السحر والكفرة اللهم اظهرنا نصرته
واعل درجته قال شرحبيل فاذا انا برأس ابي امامه السحر والصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكاني انظر الى الهمات جواهره فما فينا الا من
بادر اليه ليأخذوه فنظر عروا لله توما الى انتكاس الصليب وهوانه علينا زاد كفره
وقال يبلغ الملك ان الصليب الاعظم اخذ مني وملكته العرب لاكان ذلك ابدا
ثم حزم وسطه واخذ سيفه وطار فقته وقال من شاء فليتبعني ثم انحدر مسرعا
واتبعه الروم فخرجوا كالجراد المنتشر قال والمسلمون يتحاذبون الصليب فلما
خرجت الروم من الباب ووقع عليهم حذر الناس بعضهم بعضا وسلموا الصليب

الى شرحبيل وانفردوا الاعدائهم واخذهم القتل والجراح من كل مكان ومن اعلى الباب
فصاح شرحبيل معاشر المسلمين تعقفوا والتأمنوا الشتات والجراح قال فتعقفوا الى ان
امنوا من شرهم وتبعهم نوما يضرب يمينا وشمالا وحوله ابطال من قومه وهو يقدر
كالجمل الهائج فحمل المسلمون حملة منكرة والتحم القوم بالقوم وعملت السيوف و
تسامع اهل دمشق ان نوما قد خرج اليهم وان الصليب الاعظم قد سقط من ايديهم
فجعلوا يهرعون ويخرجون الى ان تكاثر جمعهم وجعل عدو الله ينظر الى الصليب
فنظر اليه شرحبيل فحمل عليه مصمما وصاح به ارم الصليب لا ام لك فنظر شرحبيل
الى حملته فالقى الصليب من يده وتستر بجفته ولاقاه وحمل عدو الله حملة منكرة
حين نظر الى الصليب وهو ملقى وصرخ باصحابه فادركوه وانجدوه فلما نظرت ام ابان
الى حملة عدو الله على شرحبيل قالت من هذا قالوا هذا نوما قاتل بعليك فلما سمعت ذكر
حملت حملة منكرة فاطلقت نبلة وعدو الله قد وصل الى شرحبيل وكاد ان يغلب
على الصليب اذ اجاءته النبلة فاصابت عينه اليمنى فاشتبكت النبلة فيها
فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت ان ترميه بالاخرى فبادرت اليها العلوج
وستروا عدو الله بالطوارق وتبادر قومها يحامون عنها فلما امنت من شرهم
اخذت ترمي بالنبل وهي تقول

ام ابان اطلبي بثاركِ ... صولي عليهم صولة المذاركِ
قد ضج جمع الروم من بباركِ ... اقسمت لا احدث عن معاركِ
وكنت ما عشت لكم بتاركِ

قال الواقدي ثم انها رمت علجا فاصابت صدره فسقط
هاويا ورمت اخر فاصابت نحره فاجدل لجنبه صريعا وكان نوما اول من تقهقر
من حراقة النبلة هاربا وهو يصرخ صراخ البعير الى ان دخل الباب ونظم شرحبيل
الى ذلك فقال ويلكم ما يوقفكم وقد تخلص كلب الروم احملوا على الكلاب عسى ان تدبروا
عدو الله فحملوا حملة منكرة وضربوا في اعراض الروم الى ان وصلوا الباب فرجعوا
من اعلى الباب بالينساب والجراح فتراجع المسلمون الى مواضعهم وقد قتل من
الروم ثلثمائة رجل واخذوا اسلابهم وسلاحهم وصليبهم ودخل عدو الله نوما
الى المدينة والنبلة في عينه قد تمكنت لم تخرج فاحدق به كبراء القوم واخذوا
في قلعها فلم ينقلع وهو يصيح بالصراخ فلم يجدوا حيلة في اخراجها كسروها وبقي
الزج في عينه فعصبوها وسالوه المسير الى منزله وقالوا نكبنا نكبتين
في يوم هذا نكبة الصليب الاعظم ونكبة عينك وقد علمنا ان القوم لا يقوم لنا
معهم قائمة واليها سالناك ان تقضالهم بها طلبوه منا فابيت فخيبة من

قولهم وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم واصيب عيني ويبلغ الملك عني ذلك فلا بد ان اطلب
صليبي واخذ في عيني الف عين منهم ثم علا على الباب وهو معصب العين يحرض الناس
كي يزيل الفزع من قلوبهم ويقول لا تحزنوا مما ظهر لكم في يومكم هذا فلا بد للصليب ان
يرميهم ببوايقه وانا الظامن لكم ذلك قال فاطمأن القوم لقوله وقاتلوا قتالا اشد بدءا الى
ان قلعوا العصر وقطعوا القتال ورجعت كل فرقة الى مكانها ذكر خروج نوما
وامراء الابواب بالليل وهجومهم على المسلمين قال فلما جن الليل جمع
نوما اكابر اهل دمشق وابطالهم فقال لا بد لي من المطالبة بثاري وبالصليب الاعظم
واني عزمت ان اهجم على القوم في هذه الليلة واكبسهم في اماكنهم فان الليل مهرب وانتم اخبر
بالبلدة منهم فلا يبقى الليلة احد منكم الا ويتأهب وتخرج من بابه ويكبسون على القوم
واخرج انا ومن معي من بني قالوا حبا وكرامة قال فعند ذلك عمد الى القوم وفرقهم فرقا
وبعثهم الى الابواب وقال لهم اعينوا رجلا معه ناقوس على باب يضرب به من غير
جرس فاذا سمعتم صوته فهي العلامة بيني وبينكم فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين
الى اعدائكم وهم نيام فاقتلوهم كيف شئتم ففعل ذلك فلما استقرت كل فرقة ببابها امر
نوما بالباب فكفت وخفق صاحب الناقوس خفقة فسمعوا وفتحوا الابواب وتبادر
عند ذلك وخرج اللعين نوما قال وسمع المسلمون الصوت فتبادروا مسرعين وهم
في غفلة متادبرهم ولا يدرون الا انهم في يقظة وحذر فلم يصل اليهم عدوهم الا وهم على حذر
وتوجهوا اليهم الا انهم كانوا على غير تعبية فقاتلوا في الظلام وعمل السيف عمله فلما
قام سمع خالد بذلك قام ذا هل العقل وكان منزله متباعدا من القوم فصاح واغوثاه
واسلاماه وامحمداه اكيد قومي ورب الكعبة ثم دعى علجا من زياد الطابين وقال كن
خليفتي في قومي والحريم واحذر يوتى من قبلك وسار معه العسكر وسار في زهاء على
اربعة ارباع فارس وهو بغير درع ملثوف الراس بالابيضة ودمعته تسيل على خده وهو
يقول

قد فاض دمعي واعترا ني حزني ... وضاق ذرعي وبراني شجني
يا رب سلم من نزول المحن ... واحرس الاسلام يا ذا المنن

وجدوا في السير الى باب الشرقي واذا بالفرقة التي هناك قد هاجمت صاحبه رافع بن
عميرة وهو في القتال وحمل خالد على القوم ونادى ابشروا معاشر المسلمين قد اتاكم
العون من رب العالمين انا الفارس المبيد انا البطل الصنديد انا خالد بن الوليد
ثم حمل في اوساط الفارس على الروم بمن معه فقتل رجالا وجندل ابطالا وهو مع ذلك مشتغل

القلب بابى عبيدة وسائر المسلمين الذين أوقفهم على الأبواب وهو يسمع اصواتهم وزعقاتهم
وتصارخت الروم والنصارى واليهود بصراخ واحد قال وخشى خالد على شرحبيل مما اتصل به
عدو الله توما لأيلازم لذلك الباب فهجم عليه توما فى عصابة وكان اول من خرج واول من
وصل الى المسلمين توما فصبروا صبرا الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وجعل يخترق
يمينا وشمالا وهو ينادى اين اميركم الذى ادلانى فاصابنى انا ركن الملك الرحيم انا ناصر
الصليب فلما سمع شرحبيل قصد نحوه فقال انا غريمك انا صاحب القوم واخذ الصليب
انا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف توما عليه عطفة الاسد على فريسته فتصادما
وتحاربا ورمى منه شرحبيل شيء ها له فلم يزالا كذلك الى ان مضى من الليل شطره وكانت ام ابان
مع شرحبيل لم يزل عنه ورمت نبالها فكانت لا يقع نبلة من نبالها الا فى رجل منهم الى ان قتلت
رجالا من الروم وهم يظنون انها رجل ولم تزل كذلك الى ان نفد النبل ولم يبق معها غير نبلة واحدة
تشير بها يمينا وشمالا والقوم يتحاذبونها من خوف النبل اذ هاجمها رجل من القوم فرمت
النبلة اليه فوقعت فى نحر فلما احس بالموت هاجمها وصرخ بالروم فهجموا على ام ابان
واخذوها اسيرة ومات عدو الله واما شرحبيل فقد لقى من عدو الله توما ما لم يلق
احد الا انه صابر ثم ضرب لعدو الله فالتقاها بدرقه فانكسر سيف شرحبيل وطمع فيه
عدو الله فحمل عليه وظن انه اسر واذا بفارسين قد اشرفا ومن ورائهما كتيبة
من الفرسان فهجموا على الروم واذا بام ابان قد قبضت على علجين من الروم وهى تزعق
فلحقها الفارسان فكان احدهما عبد الرحمن ابن ابى بكر الصديق والآخر ابان بن عثمان
فقتلا الرجلين وخلصا ام ابان وشرحبيل ورجع عدو الله الى دمشق واما ابو عبيدة
فقاتل بمن معه قتالا شديدا على باب الجابية وبذلوا السيوف فيهم الى ان قاربوا الباب
فقتلوا كل من خرج من الباب وما سلم منهم لا صغير ولا كبير وقد قتلوا عن آخرهم
وقتل معهم جرجير بن قالا امير الباب واما خالد رضى الله عنه فقد قاتل قتالا شديدا
ما رؤى مثله ولكن كان قلبه مشغولا بابى عبيدة وامر ابان الذين على الباب فبينما هو
كذلك اذ حاء ضرار بن الازور وهو مضمخ بالدماء فقال خالد ما وراك يا ضرار قال ابشر
ايها الامير ما جئت حتى احصيت انى قتلت فى ليلتى هذه مائة وخمسين رجلا وقتل
يومى منهم فما لا يعد ولا يحد وقد كفيناك مؤنة من خرج من باب الصغير الى يزيد
ابن ابى سفيان ثم عطفنا الى سائر الابواب فقتلنا وكسرنا قال فسر خالد بذلك سرورا
عظيما ثم سار واجميعا حتى اتوا شرحبيل وشكروا له وكانت تلك الليلة ليلة عظيمة
لم يلاق الناس مثلها وقتلوا فيها من الروم الوفا لا يحصى عددهم الا الله تعالى هذا
اول ما ذكره الواقدى ثم نذكر ما ذكره غيره فى الفتح ونذكر الاختلاف فيه

فنقول قال الواقدى ثم اجتمع اكابر دمشق الى توما فقالوا ايها السيد انا نصحناك
فلم تقبل وسألنا الصلح فلم تسمع وقد اصابكم ما اصابكم وقتل منا اكثر الناس وهذا امير
لا يطاق فصالح اصلحك الله والا صالحنا عن انفسنا وتركناك وشانك فقال امهلونى
حتى اكتب كتابا الى الملك فان اعاننا والا فالصلح اما يكم قال فكتب من ساعته وبين
القضية وذهاب عينه وانهم قد عزموا على الصلح ودفع الجزية الى العرب فاما ان
تسير بنفسك او تبعث عسكرا ينجدنا او تأمرنا بمصالحتهم فقد تزايد الامر فبعث
به قبل الصباح فلما اصبحوا باكرهم المسلمون بالقتال من كل جانب فبعثوا الى خالد ان
امهلنا لننظر فى امرنا فابى خالد الا قتالهم واتفقوا على ان يطلبوا الامان فقال
لهم شيخ كبير ممن قرأ الكتب السالفة يا قوم والله انى اعلم لو اتى الملك فى عدده
وعديده لما دفع عنكم هؤلاء العرب لما قرأت فى الكتب ان صاحبهم محمدا هو خاتم النبيين
وسيد المرسلين وسيظهر دينه على كل دين فدعوا عنكم العناد واعطوا القوم
ما طلبوا منكم فلما سمع القوم ذلك منه مالوا اليه لما يعلمون من علمه ومعرفته بالاخبار
والملاحم وقالوا كيف الرأى عندك قال اعلموا ان هذا الرجل الذى على باب الشرقى فظ
غليظ شفاك للدماء وان اردتم تقارب الامر فامضوا الى الذى على باب الجابية يعنون
اباعبيدة فاستصوبوا رأيه فلما جن عليهم الليل اتوا باجمعهم الى باب الجابية وتكلم
رجل ممن يحفظ بالعربية يا معشر العرب ألنا امان منكم حتى ننزل اليكم ونكلم صاحبكم
قال ابو هريرة رضى الله عنه وكان ابو عبيدة قد عين هناك رجالا اخوفا من الكبسة وكان
الامير عليهم عامر بن الطفيل فلما سمعت بادرت الى ابى عبيدة واخبرته فقال امض
وقل لهم كلكم الامان حتى تعودوا الى مدينتكم هذه سالمين قال ابو هريرة فاتيتهم وناديتهم
انزلوا املكم الامان حتى تعودوا الى بلدكم سالمين فقال القوم من انت من اصحاب محمد
حتى نثق اليك قلت انا هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويلكم والله لوان عبدا لنا
اعطاكم الامان لاجزناه وان الله يقول فى كتابه واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا
قال فنزل من القوم مائة رجل من كبارهم واقستهم وفتحوا الباب وخرجوا فلما قربوا من
خيمة ابى عبيدة تبادر المسلمون اليهم وازالوا عنهم الزنانير والصلبان فانوا بهم
الى خيمة ابى عبيدة قال ففرح بهم ورحب بهم قائما واجلسهم فتحدثوا فى امر الصلح وقالوا
انا نريد منكم ان تتركوا لنا كنائسنا ولا تغصبوا لنا منها كنيسة كنا وهى الجامع
اليوم وكنيسة مريم وكنيسة بولص وكنيسة المقصاد وكنيسة اندريا وكنيسة
قوبان وهى عند دار حميد بن دره فاجابهم الى ذلك ابو عبيدة والى كل ما يشترطوا
عليهم وكتب لهم كتابا بالامان والصلح ولم يسم فيه كنيسة ولا اثبت شهودا لانه كان
معزولا

من جهة ابي بكر رضي الله عنه فلما كتبه الكتاب وتسلموا منه قالوا له قم الآن معنا
فقام ابو عبيدة وركب وركب معه ابو هريرة ومعاذ بن جبل ومغيرة بن شعبة و
عبد الله بن قرط وغيرهم من سادات الصحابة رضي الله عنهم خمسة وثلاثون
وخمسة وستون من اخلاط الناس فلما تقدموا نحو الباب قال ابو عبيدة
اريد رهابين حتى ادخل منه المدينة فاتوا بالرهابين وقال ابو اسحق لم ياخذ
رهابين وذلك انه في الليلة التي صالح القوم فيها حين صلى الغريضة ونام رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم معجلا وهو يقول الليلة يفتح لكم المدينة ان شاء الله تعالى
فقال ابو عبيدة رضي الله عنه يا رسول الله اراك على عجل فقال حيث لا احضر صلاة
جنازة ابي بكر قال فاستيقظ ابو عبيدة وابو هريرة جاء قال الواقدي رحمه الله
ولقد بلغنا ان ابا عبيدة لما دخل باصحابه المدينة سارت الافعى بين يديه
والرهبان عليهم المسوح من الشعر الاسود وقد رفعوا الاناجيل والمباخر
بالعود والند وذلك يوم الاثنين الحادي والعشرين من جمادي الاخرة
سنة ثلاثة عشرة من الهجرة قال وليس عند خالد من ذلك خبر وكان مشتغلا
بالقتال بالباب الشرقي وكان قس من اقسة الروم اسمه يوشي بن مرقس
في دار ملاسقة بالسور الذي مما يلي باب الشرقي وكانت عند ملاح دانيال عليه السلام
وغير ذلك وان الله يفتح على يدي اصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دينه
يعلو على كل دين فلما كان ليلة الاثنين الحادية والعشرين من جمادي الاخرة
نقب من داره وخرج على حين غفلة من اهله واولاده وقصد خالدا واخبره
بما فعل وطلب منه الامان فاعطاه خالد الامان وبعث معه مائة رجل معدين
من اكثرهم من حمير وقال اذا حصلتم في المدينة ارفعوا اصواتكم بجمعا واقصدوا
الباب الكبير واغلاقه حتى ادخل انا ان شاء الله تعالى ففعل القوم ذلك وامر
عليهم كعب بن ضمرة او مسعود بن عون ومضى يوشي امامهم ودخلوا
المدينة وكسروا الاقفال وكبروا فلحق خالد ومن معه فوضعوا فيهم السيوف
وهم متخلفون بين يديه الى ان وصل كنيسة مريم وهو يسبي ويقتل
قال الواقدي والتقى الجيشان عند كنيسة مريم جيش خالد وجيش ابي
عبيدة فلما نظر خالد الى ابي عبيدة واصحابه والقسيسون والرهبان
بين ايديهم وما احد من اصحاب ابي عبيدة جرد سيفا وما منهم من يقاتل
بهت لذلك وجعل ينظر اليهم متعجبا ونظر ابو عبيدة الى خالد يعرف في
وجهه الانكار فقال يا ابا سليمان قد فتح الله المدينة على يدي صلحا وقى الله
المؤمنين القتال وقال وما خاطب ابو عبيدة لخالد يوم الفتح لدمشق الا

فقال ايها الامير قد تم الصلح فقال خالد وما الصلح لا اصلح الله احوالهم واتى لهم الصلح
وانا قد فتحناها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم واخذت الاموال
والاولاد اماء وعبيدا قال ابو عبيدة ايها الامير ما دخلتها الا صلحا فقال خالد انت
لم تزل مغفلا وانا خالد ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقيت لهم حامية فكيف اصالح
قال ابو عبيدة اتق الله ايها الامير فقد والله صالحت القوم وكتبت لهم الكتاب وهذا
هو منشور مع القوم فقال خالد كيف صالحت بغير امري ولا اعلامي وانا صاحب
رايكم والامير عليكم ولا ارفع السيف عنهم او افنيهم عن اخرهم فقال ابو عبيدة و
الله ما ظننت انك تخالفني واعطيتهم الامان الله الله في امري وقد اعطيتهم
امان الله وامان الرسول وقد رضي بذلك كل من معي من المسلمين وما الغدر من
شيمنا رحمك الله قال الواقدي وارتفع الصياح بينهما وخالد مع ذلك لا يرجع
عن مراده فاجتمع اليهما فرسان المسلمين واصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل
ويزيد بن ابي سفيان وسعد بن يزيد وعمرو بن العاص وشرحبيل وربيعة بن عامر
وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن ابي بكر وعبد الله بن عمر الخطاب وابان بن
عثمان رضوان والمسيب بن نجبة ونظراؤهم رضي الله عنهم واجتمعوا عند
الكنيسة للمشورة فقال طائفة منهم معاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفيان الراي ان نمضوا
ما امضاه ابو عبيدة ونكفوا عن القوم فان مدن الشام كما هي لم تفتح وهرقل
بانطاكية كما تعلمون وان اتصل باهل المدن انكم صالحتم وغدرتم لم تفتح مدينة
صلحا والثاني ان نجعلوا هؤلاء الاعلاج في صلحهم فهو خير لكم من قتلهم قالوا
لخالد امسك عليك ما فتحته بالسيف ويمسك ابو عبيدة بجانبه واكتب الى الخليفة
واحتكما اليه فما امر به فعلتما قال خالد قد احببت الى ذلك فاما دمشق ومن
كان فيها فقد آمنتهم الا هذين اللعينين توما وهربيس وجيشهما الذي جاء
اليهما قال الواقدي وكان هربيس هو المؤمر على نصف المدينة ولاه توما حين
رجع الامر اليه فقال ابو عبيدة ان هذين اول من دخل في صلح فلا تحقر دمتي
رحمك الله فقال خالد اما والله لولا ذمامك لقتلتهما ولكن نخرجان عن هذه البلدة
لعنهما الله حيث شاءا قال ابو عبيدة وعلى هذا صالحتهما ومن معهما فقال توما وهربيس
نحن نؤدي منكم ثلاثة ايام امر طريق سلكناه لا يتبعنا احد منكم فاذا كان بعد الثلاثة ايام
فلا ذمة لنا عندكم من لقينا منكم بعد ثلاثة ايام وظفر بنا فنحن له عبيد ان شاء استرق
وان شاء قتل قال خالد قد اجبتكم الى ذلك على ان لا تحملوا من هذه المدينة الا الزاد مما

تنقتلون به قال ابو عبيدة لخالد هذا كلام ناقض لعهد الصلح وانما وقع بيننا وبينهم
على ان تخرجوا من رجالهم واموالهم وبذلك يتم العهد بيننا وبينهم قال خالد وقد
سمحت لكم بذلك الا الحلقة يعني السلاح فاني لا اطلق لهم منها شيئا فقال هرديس لابد لنا
من السلاح نمنع به انفسنا في طريقنا حتى نصل الى مأمننا والامن بين ايديكم فاحكموا
بما اردتم فقال ابو عبيدة اطلق لكل واحد منهم قطعة من السلاح من اخذ رمحا لا ياخذ
سيفا ومن اخذ سيفا لا ياخذ سكينا قال نعم ما ركنا بذلك فانطلق هو وهرديس بجمعان
قومهما ويامران باخراجهم ذكر وقعة مرج الديباج قال الواقدي وكان
للملك هرقل خزانة ديباج زهاء على ثلثمائة حمل وحمل مذهبة فاخرجها وخرجت
الروم باموالها وامتعتها حتى اخرجوا منها شيئا عظيما فارتحلوا وخرج معهم خلق
كثير من اهل دمشق ممن كره ان يكون في جوار المسلمين ولما تمت الثلاثة ايام
قال خالد اني اريد ان اشتري في طلب هؤلاء العلوج وما حرضه على ذلك الا رجل من
دمشق يقال له يونس وكان قد وقع اسيرا وكان من فرسان القوم وكان قد تزوج
امراة من قومه ولم يدخل عليها حتى اسر وكان يحبها غاية المحبة وكان خالد قال
له ما تقول في الاسلام ان دخلت المدينة زوجتك اياها فاسلم وكانت خرجت مع قومها
فلما لحق خالدا وقال ان ادلك على الطريق فخرج خالد مع عكرمة الرحف وهم اربعة
الاف فارس وساروا ويونس امامهم يتتبع اثارهم وان القوم ما يسقط لهم حمل
ولا بغل الا تركوه ولا يقف لهم بهيمة الا عقروها ولم يزل يسير بهم الليل والنهار
ولا ينزلون الا لوقت الصلاة حتى انقطعت اثار القوم فانكر يونس ذلك من امرهم
فقال خالد ما شانك يا يونس قال ايها الامير استنكرت ان اثار القوم
قد عرجوا عن الطريق واخذوا في جبال وعلت وعقبات وكانك وقد لحقناهم
فشاء الله تعالى قال الضحاك بن حسان وسرنا في طريق كثيرة الحجارة لا يكاد
الرجل يتخلص بنفسه الا كدها فجعلنا نتخلل الحجارة نحيولنا وانا لننظر الدم يبدو
من عراقيب الخيل وان الخفاف التي في ارجلنا قد تقطعت حتى لم يبق الا سيقانها
حتى قطعنا الطريق وخرجنا الى الجادة فلم يزالوا كذلك والدليل يقدمهم ولا يدخلون
بلدا من بلاد الروم الا ويظنون انهم من الغرب المنتصرة من غسان ولخم
وجذام لانهم كانوا لابسين بلبسهم حتى قطع بهم الدليل جبلة واللاذقية و
اشرف على ساحل البحر وهو يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدلوا عن انطاكية
ولم يدخلوها خيفة من الملك لما اتصل به من الخبر فوقف حائرا وكان ذلك
في غدوة النهار يوم الثلثاء الثامن عشر من رجب الفرد فقال خالد ما وراك

يا يونس فقال ايها الامير اني والله غررت بكم فان هقلا من دهاقنة هذه القرية
اخبرني ان الملك منعهم من الدخول الى انطاكية لكي لا يرعبوا عسكره وامرهم ان
يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وانتم في بلد هرقل
وهو يجمع العساكر ليسوقها لحربكم واني خايف عليكم ان تركتم هذا الجبل من وراء ظهوركم
وبعد هذا فالامر اليكم وما امرتني فعلت قال ضرار بن الازور فداك ابي وامي قد
رجع وجهه ولونه كالمخضب فظننت ان ذلك هلعا او جزعا وما عهدت له ذلك
فقلت ايها الامير على ماذا عولت ان تصنع فقال يا ضرار والله ما افزع من الموت
ولا القتل وانما خفت ان يؤتى المسلمين من قبلي ثم قال سيروا بنا يا يونس والتوكل على
فساروا والدليل امامهم فلما كانت الليلة التي اراد ان يصبحوا منها للقوم اتى مطر
كافواه القرب وكان ذلك من توفيق الله لهم لانه حبس القوم عن المسير فلما
اصبحوا قال يونس ايها الامير قف حتى اختبر لك خبر القوم فانكم لا شك بالقرب
منهم وقد سمعت صهيلهم قال الواقدي وكان خالد بصيرا بالخيل والخداع فالتفت
الى رجل اسمه المفرط بن جعدة وقال يا مفرط سر مع النجيب يونس وكان خالد
سماه نجيبا وكان له مؤنسا فقال السمع والطاعة فانطلقا الى ان علا على الجبل
يسمى بالابرش وجبل يارق قال المفرط فلما صرنا على قلته نظرنا ورآه مرجا
واسعا كثير النبات والخضرة واحا لنا وسطه جمع القوم وقد اصابهم المطر
حتى بلل رحالهم وامتعتهم وقد نشروها في طول المرج ونام اكثرهم من شدة
السير والتعب والمطر قال فجئنا واخبرنا خالدا ففرح فرحا عظيما فقسم
اصحابه اربع فرق فامر ضرارا على الف فارس ورافع بن عميرة على الف فارس
وعبد الرحمن ابي بكر على الف فارس وهو على الف فارس فقال سيروا على بركة الله
واياكم ان تخرجوا دفعة واحدة بل تخرج كل امير منكم وبينه وبين صاحبه هنيئة
ثم افترقوا على القوم ولا تحملوا حتى احمل انا فسارت فرقة بعد فرقة حتى دخلوا
في طرف المرج ثم صاح خالد وقال اطلبوا اعداء الله ولا تشتغلوا بالغنايم فانها لكم ان شاء الله
والاجر ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم عطف خالد بكتيبته على القوم عطفة الاسد
على فريسته ونظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد امامهم والراية بيده
فعلموا انها خيول المسلمين فصاح قوما برجاله وهربوا بين يطارقته فتبادروا الى
السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها الينا القدر
وجعلها غنيمة لنا فبادروا هم يظنون ان ليس وراءهم احد واذا بضرار قد اشرف

كم

الله

رضي الله عنه

الله تعالى

و

عليهم في الف فارس ورافع بالف وعبد الرحمن بالف وطلبت كل كتيبة فرقة من القوم
كالعقبان الكاسرة وقد رفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله
وانقسمت الروم فرقتين فرقة مع توما وفرقة مع هربيس وكان اول من طلب
خالدا او قاتله توما وقد احدق به خمسة آلاف فارس ما بقي منهم الا الحدق وقد
وقد رفع من بين يديه صليبا من الجوهر مرصعا بالذهب فعدل خالد اليه وحمل
برجاله عليه وانتمى باسمه وقال يا عدو الله اظننتم انكم تقتلون من ايدينا والله
يطوى لنا البلاد ثم قصد توما وهو اعور عوراته ام ابان على ما ذكرنا فحمل عليه
خالد فطعنه في عينه الاخرى ففقأ عينه فسقط عن جواده وحمل اصحابه على رجاله
توما وقد انتكس الصليب فجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا فلله در عبد الرحمن
ابن ابي بكر رضي الله عنهما فانه ما اشتغل بغير توما وذلك انه نظر اليه وقد انجدل
جلس على صدره واجتز راسه ورفعه على سنان رمحه ونادى بالمسلمين قتل
والله توما فاطلبوا هربيس قال ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة
كنت في ميمنة خالد ونظرت الى فارس زيه مثل زي الروم وقد انحدر عن
جواده وهو يقاتل فلجة من نساء الروم وهي تظهر عليه مرة ويظهر هو عليها
مدة فدنوت انظر من هو فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته فهمت
ان اعينه فقصد الى عشرة من النسوة يرمون فرسي بالجان فخج خجا كثيرا من
كف امراة حسناء عليها ثياب الديباج فوقع في جبهة جوادي افدكت راسه
فسقط ميتا فاسرعت في طلبها فهربت فلما احقت بالنساء فلحقت بهن ودنوت
منها وعلوتها بالسيف على ام رايسها فطلبت الامان فقبضت عليها فاذا هي عليها
ثياب الديباج المثقل بالجواهر وعلى راسها شبكة من اللؤلؤ فاخذتها اسيرة
مع النساء اللواتي كن معها واوثقتهن كتافا ورجعت على اثري ووجدت
بردونا من بردين الروم فركبت عليه ثم قلت والله لامضين حتى اعرف خبر يونس
فجعلت اطلب مكانه واذا هو جالس وزوجته بين يديه قد تضرجت بدمائها وهو
يبكي عليها فقلت من هذه قال زوجتي التي سبيت في طلبها فلما رايتها قلت لها انا
قد لحقتك فاين تذهبين مني قالت وحق المسيح لا اجتمعت معك ابدا وقد
تركت ديني ودخلت في دين محمد وانا وهبت نفسي للمسيح وانا ماضية الى
القسطنطينية واكون بها راهبة ثم تمنعت بالقتال فقاتلتها حتى ملكتها اسيرة
فلما اسرتها اخرجت سكينا كان معها فضربت بها صدرها فسقطت قتيلة
فانا ابكي عليها قال رافع فمكثت من كلامه وقلت له ان الله قد ابدلك بمن هي احسن
منها وعليها ثياب الديباج وشباك اللؤلؤ واساورة الذهب وكان القوم مطلع

من وجهها فخذها اليك بدلا من زوجتك قال اين هي قلت ها هي معي فلما نظر اليها
راطنها بالرومية فقالت له ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلي يصلح لها ولا بد
لها قبل ان يطلبها برجاله او يفديها بماله فقلت هي لك وانت لها قال رافع فاخذها
اليه والمسلمون في القتال وبعضهم يجمعون الديباج والاموال قال الواقدي رحمه الله
فسمي المرج مرج الديباج وبه يعرف الى وقتنا هذا قال واقتفد المسلمون خالدا
فلم يروا له اثرا فقلقوا عليه قلقا شديدا وذكروا ان خالدا طلب هربيس في الوقعة فلم
يره فبينما هو يجول في عسكر الروم اذ نظر الى علج من اعلاج الروم عظيم الهيكل وعليه
ثياب الديباج والحرير فظن انه هربيس فطلبه فقفز العلج من بين يديه هاربا
فتبعه خالد فوكزه بعقب الرمح واذا هو قد هوى عن ابنه كصريعا فانتقض عليه خالد
كالاسد الغضبان وهو يقول ويلك يا هربيس اظننت انك تفوتني وكان ذلك العلج
يفهم بالعربية فقال اني لست هربيس فلا تقتلني حتى اعطيك في ديتي اياه
فقال وحق بيعة ابي بكر الصديق لئن اطلعتني عليه لاطلقنك دون فدية ولا مال
فقال قم عن صدري وثب العلج ينظر يمينا وشمالا ثم قال يا اخا العرب اترى الخيل الصا
في العقبة قال نعم قال اقصدهم فان هربيس على المقدمة قال فوكل به خالد من يريد اسد
بن خالد وقال يا اسد توكل به فان كان ذلك هربيس فاطلقه والا فاضرب عنقه ثم ان
خالدا اسرع حتى لحق بهم وصاح بهم يا ويلكم اتاكم جلاد وهذا يوم جزا النواصي
فوقفوا وليس فيهم الا اهل النجدة والبراعة فشد عليهم خالد بحملته ثم طعن فارسا
وثنى على آخر فارداه فلما سمع هربيس باسم خالد انتفض على سرجه قال فطمع القوم فيه
لانفراده عن اصحابه وكان المسلمون في قتال الروم ونهب الاموال وترجلت البطارقة
حول خالد لانهم كانوا في جبل كثير الشجر والحجر واحاط بخالد مالا قدرة له به فعند ذلك
ترجل خالد واخذ سيفه وجعفته وصبر لقتالهم وهم عشرون على فتقدم اليه هربيس
وقد مكن له ضربة واتاه من وراء ظهره وانزل الضربة عليه فوقع السيف على البيضة
فقدها وعما فيها فشقها وانتقض السيف من يد هربيس وخاف خالد ان يلتفت
الى ورائه فيتهيأ للاعلاج عليه فصار خالد يلتفت يمينا وشمالا ثم صاح بالتهليل
والتكبير كان في مستبشر بشيء فلما ادركه وذكر منه خدعة وحيلة يريد
ان يمكن من الاعلاج فبينما هو كذلك اذ سمع زعقات العرب وقد اخذت
القوم من حواليهم وهم يضجون بالتهليل والتكبير وقائل يقول اتاك الغوث
يا ابا سليمان انا عبد الرحمن بن ابي بكر فالتفت خالد الى احد حتى فرغ الاعلا
يمينا وشمالا فلما سمع هربيس اصوات المسلمين ولى هاربا فلحقه خالد وضربه

ضربة

غادن قتيلاً وبذلوا فيهم السيوف حتى اباذوهم عن آخرهم وكان اكثر المسلمين قتلاً
في الروم ضرار بن الازور فلما انكشف القتال سلم بعضهم على بعض وقال خالد رضي الله
من ابن علمتم بمكاني هذا فقال عبد الرحمن نحن في قتال الروم كما المسلمون في جمع الغنايم
اذ سمعنا هاتفاً يهتف في السماء وهو يقول اشتغلتم بجمع الغنايم وخالد قد احاط
طلب به الاعداء فلم ندر بايّ مكان انت وفقدناك شخصك واغتم المسلمون من اجلك
فدلنا عليك رجل من اصحابك فقال خالد لقد ذكرتما دلنا على عدونا
ودل المسلمون على نصرتنا ووجب له الحق علينا ورجع خالد الى المسلمين ثم دعى
بذلك العلج الذي دله على هذا البيت فقال هل لك ان تسلم وتكون من اهل الجنة فقال ما اريد
لديني بدلا قال فاطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى على متن جواده
ومضى يطلب بلاد الروم وحدثني ان خالداً امر المسلمين بجمع الغنايم والاسرى فجمع
ذلك اليه ودعى بدليله يونس وقال انت يونس النجيب ثم قال ما فعلت زوجتك فحدثه
بحديثها فقال رافع ابن عميرة اني قد اسرت ابنة الملك هرقل وسلمتها اليه بدلاً من زوجته
فقال وابن هي فمثلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها صرف وجهه عنها ثم قال
يا يونس اتريد بدلاً من زوجتك قال نعم ولكن اعلم ان هرقل لا بد ان يفديها بالمال او
بالقتال قال خالد خذها اليك الآن فان لم يطلبها فهي لك وان طلبها فالله يعوضك خيراً
ثم قال يونس ايها الامير انك في موضع صعب ومكان ضيق فاعزم على الخروج منه قبل
ان يلحقك نفير القوم فقال خالد الله معنا ولنا عطف راجعاً بجد السير والغنايم
امامه والمسلمون في اثرها فمروا بين بالغنيمة والسلامة قال رافع بن عطية فقطعنا
الطريق كله وما عرض لنا من الروم احد فلما وصلنا مرج الصفر عند قنطرة ام
حكيم اذ نظرنا الى غبرة من ورائنا فاعلموا خالداً بذلك فقال ايكم ياتيني بخبرها
فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد العفاري فقال انا ثم نزل
عن جواده وكان يشق بجريه يسبق الفرس الجواد بعدوه فوردَ الغبرة فاختبرها
ورجع على عقبه وهو ينادي ايها الامير ادركنا الصلبان من ورائها الروم مصفدون
بالحديد ما بين منعم غير الحدق فدعى خالد بيونس الدليل عند ما قاربت الخيل فقال
يا يونس اقصد الخيل وانظر ماذا يريدون قال السمع والطاعة ثم دنى من الخيل
وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال له اقبل ايها الامير ان هرقل لا يبغه عن طلب ابنته وقد
انفذ هذا الخيل تريد ان تأخذ الغنيمة من ايدي المسلمين فلما لحقهم ههنا قريباً من
دمشق بعثوا اليك رسولاً يسألك في الجارية اما بيع او فدية فبينما خالد يتحدث
مع يونس اذا قبل شيخ عليه لباس المسوح حتى دنى من المسلمين فقال الى رسول

فاين

فاين سيدكم فاوقفوه بين يدي خالد فقال يقول لك الملك بلغني ما فعلت برجالي
وقتلك زوج ابنتي واسرك لحرمي فاما تبيع ابنتي او تهديها الي فالكرم شيمتك
والوفاء ولا يرحم الله من لا يرحم فقال خالد قل لصاحبك لارجعت او املك تحت سريرك
كما تحذف على ملكك واما ابنتك فهي لك هديه منا فاطلقها ولم يأخذ فيها مالاً ثم سار خالد رض الله ع
حتى اتى دمشق وكان المسلمون قد ايسوا من خالد فهم في اعظم الاياس اذ قدم عليهم
فخرجوا للقائه وهنوه بالسلامة ووجد خالد في دمشق عمرو بن معدي كرب وما لكا
بن اشتر النخعي ومن كان معهما فلما استقر بخالد مكانه اخرج الخمس وفرق الباقي على
المسلمين قال الواقدي وظن خالد ان ابا بكر حي فعزم ان يكتب اليه كتاباً وابو عبيدة
لا يخبره بذلك ولا يعلم ان الخليفة عمر رضي الله عنه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
لعبد الله وخليفة رسول الله من عامله على الشام خالد بن الوليد اما بعد سلام عليك فاني
احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واثني عليه وعليك وذلك انا لم نزل في مكابدة
العدو على حرب دمشق حتى انزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق
عنوة بالسيف من باب الشرقي وكان ابو عبيدة على باب الجابية فخدعه الروم وصالحو ه
ومنعني ان اسبي واقتل والتقينا عند كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه القسيسو ن
والرهبان ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك توما واخر يقال له هرميس خرجا من
المدينة بمال عظيم فسرت خلفهم في عسكر الزحف وانتزعت الغنيمة من ايديهما وقتلت
اللعينين واسرت ابنة هرقل ثم اهديتها اليه وقد رجعت سالماً وان منتظر امرك
والسلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعى برجل من العرب اسمه عبد الله من رض الله ع
قدّط فدفع اليه وسار الى المدينة فوردها والخليفة عمر رضي الله عنه فسلموا اليه فقرأ عنوان
عنوانه واذا من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما علم المسلمون خيراً
وفاة ابي بكر رضي الله عنه فقال لا يا امير المؤمنين قال وقد وجهت بذلك كتاباً الى ابي عبيدة
وامرته على المسلمين وعزلت خالداً وما اظن ابا عبيدة اراد الامارة لنفسه ثم سكت
وقد أ الكتاب

ذكر الاختلاف في فتح دمشق هل كان صلحاً او عنو ة
والاختلاف في زمانه قال ابن كثير رحمه الله اختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً
او عنوة فاكثر العلماء على انه استقر امرها على الصلح لانهم شكوا في المتقدم على الآخر
افتحت عنوة ثم صالح الروم الى المصالحة او فتحت صلحاً والتقى الاسنيلان من الجانب الاخر
قسراً فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً وقيل بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة
وهذا القول احد يا لصمد من صنيع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت اكبر معابد هم
حين اخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها ثم قيل ان ابا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب
الصلح

وهذا هو الاثبت والاشهر فان خالدا كان قد عزل عن الامرة وقيل بل الذي كتب بذلك
الصلح خالد بن الوليد ولكن اقره على ذلك ابو عبيدة والله اعلم وذكر ابو خذيفة اسحق
بن بشر ان الصديق توفي قبل فتح دمشق وان عمر كتب الى ابي عبيدة يعزيه والمسلمين
في الصديق وانه قد استنابه على من بالشام وامره ان يستشير خالدا في الحرب
فلما وصل الكتاب الى ابي عبيدة كتمه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة
فقال له خالد يرحمك الله ما منعك ان تعلمني حين جاءك فقال اني كرهت عليك ان اكسر
عليك حربك وما سلطان الدنيا اريد ولا للدنيا اعمل وما ندري سيصير الى زوال
وانقطاع وانما نحن اخوان وقال محمد بن عايذ قال الوليد بن مسلم
اخبرني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ان المسلمين لما فتحوا مدينة
دمشق بعثوا ابا عبيدة بن الجراح وافدا الى ابي بكر بشرا بالفتح فقدم المدينة فوجد
ابا بكر قد توفي الى رحمة الله تعالى واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعظم ان
يتامر احد من الصحابة عليه فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا مرحبا بمن بعثناه
بريدا فقدم علينا اميرا واما زمان الفتح فقد ذكرنا ما ذكره الواقدي انه كان
يوم الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلثة عشر وقال ابن كثير
فصت سيف على ما نص عليه الجمهور من انها فتحت في نصف رجب سنة اربع عشرة
كذا ذكره ابن العساكر وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وابو معشر ومحمد بن اسحق وموسى
والاموي وابن الكلبي وخليفة بن خياط وابو عبيدة القاسم بن سلام ان فتح دمشق كان
في سنة اربع عشرة وقال سعيد عبد العزيز وابو معشر والاموي وكانت اليرموك
بعدها بسنة وقال بعضهم كان فتحها في شوال سنة اربع عشرة وقال جماعة حاصروها
ابو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة وقال الاول
في مغازيه كانت وقعة اجنادين في جمادى الاولى ووقعة فحل في ذي القعدة
من سنة ثلث عشرة ووقعة دمشق سنة اربع عشرة وقال رجيم عن الوليد حدثني
الامور ان وقعة فحل والاجنادين كانت في خلافة ابي بكر ثم مضى المسلمون الى
دمشق فنزلوا عليها في رجب سنة ثلث عشرة ففتحوها في سنة اربع عشرة وكانت
اليرموك سنة خمس عشرة وقدم عمر رضي الله عنه الى بيت المقدس سنة ست عشرة وقال
سيف بن عمر لما ارتحل ابو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو
عازم على حصار دمشق اذا تاه الخبر بتقدم مددهم من حمص وجاء الخبر بانه
قد اجتمع طايفة كثيرة من الروم بفحل من ارض فلسطين فهو
الامر ليدا ان اكتب الى عمر في ذلك فجاء الجواب ان ابدا بدمشق فانها
حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم اهل فحل بخيول تليق لقتالهم

فان

فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب وان فتحت دمشق قبلها فسيرانت ومن
معك واستخلف على دمشق فاذا فتح الله عليكم فحل فسيرانت وخالد الى حمص واترك
عمرا وشرحبيل على الاردن وفلسطين قال فسرح ابو عبيدة الى فحل عشرة امراء
مع كل امير خمسة امراء وعلى الجميع عمان بن محصن صحابي فسار وا من مرج الصفر
الى فحل فوجدوا الروم هناك فزيدا من ثمانين الفا وقد ارسلوا المياه حولهم حتى
ارتدغت الارض فسموا ذلك الموضع الردغة وفتحها الله على المسلمين فكانت اول حصن
فتح قبل دمشق على ما سنذكره وبعث ابو عبيدة جيشا يكون بين دمشق وبين
فلسطين وبعث الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص ليرد
من يرد اليهم من المدد من جهة هرقل ثم سار ابو عبيدة من مرج الصفر قاصدا
دمشق وقد جعل خالد بن الوليد في القلب وركب ابو عبيدة وعمرو بن العاص والمجنبتين
وعلى الخيل عياض بن غنم وعلى الرجال شرحبيل حسنة فقدموا دمشق وعليها
نسطاس بن نسطوس فنزل خالد على الباب الشرقي الى باب كيسان ونزل ابو عبيدة
على باب الجابية الكبير ونزل يزيد بن ابي سفيان على باب الجابية الصغير ونزل
عمرو بن العاص وشرحبيل حسنة على بقية ابواب البلد ونصبوا المجانيق والدبابات
وقدار صد ابو عبيدة ابا الدرداء بجيش في بترة يكون ردا له ولذي الكلاع الذين بينهم
وبين حمص وحاصروها حصارا شديدا سبعين ليلة وقيل اربعة اشهر وقيل
ستة اشهر وقيل اربعة عشر شهرا والله اعلم واهل دمشق ممتنعون منهم غاية
الامتناع ويرسلون الى ملكهم هرقل وهو مقيم بحمص يطلبون منه المدد فلا يمكن
وصول المدد اليهم من ذي الكلاع الذي قدار صده ابو عبيدة بين دمشق وحمص
عن دمشق ليلة فضعف اهل دمشق وقلوا وجاء فصل الشتاء واشتد البرد
وقدر الله ان ولد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاما وشراب
بعده شرابا وفاموا عنده في وليمته فاكلوا وشربوا ولعبوا فناموا عن مواقفهم
واشتغلوا عن اماكنهم وفطن لذلك امير الحرب خالد بن الوليد ورأى فرصة تلك
الليلة وانه لا يتمكن على السور احد كان قد اعد سلاليم من حبال فجاء هو واصحابه
من الصناديد الابطال مثل القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وقد احضر جيشه
عند الباب فقال لهم اذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فارقوا البناء فهدهدو
واصحابه فقطعوا الخندق سباحة يقرب في اعناقهم فنصبوا تلك السلاليم ع
واثبتوا بالشرات واكدوا اسافلها خارج الخندق واصعدوا فلما استووا على
السور رفعوا اصواتهم بالتكبير وجاءت الملائكة فنزلت فصعدوا في تلك السلاليم والحدر
خالد واصحابه السجعان ممن السور الى البوابين فقتلوهم وقطع خالد واصحابه اغاليق

الباب بالسيوف وفتحوا الباب فدخل الجيش الخالدي من الباب الشرقي ولما
سمع اهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق منهم الى اماكنهم من السور
ولا يدرون ما الخبر فجعل كلما قدم احد من اصحاب الباب الشرقي قتلوه اصحاب
خالد ودخل خالد البلد عنوة يقتل من وجده وذهب اهل كل باب فسألوا من
اميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح وقد كان المسلمون دعوهم الى المشاطرة
فيأبون عليهم فلما دعوهم الى ذلك اجابوهم ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد
ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالدا وهو يقتل من وجده
فقالوا انا قد امنا هم فقال اني قد فتحتها عنوة والتفت الامراء في وسط البلد
عند كنيسة المنسلاط بالقرب من درب الريحان اليوم هكذا ذكره سيف
بن عمر وغيره وهو المشهور ان خالدا فتح الباب قسرا وقد قال اخرون
بل الذي فتحها عنوة ابو عبيدة وقيل يزيد بن ابي سفيان وخالد صالح اهل البلد
فعكسوا المشهور المعروف ذكر وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
اعلم ان ابا بكر رضي الله عنه تولى الخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ربيع
الاول سنة احدى عشرة وهو ثاني يوم مات النبي عليه السلام وكان مولده بمكة
بعد الفيل بستتين وارتبعة اشهر الا اياما ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان
بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث
وستون سنة وقيل خمس وسبعون سنة والاول اصح وقال ابن قتيبة في المعارف اتفقوا
على ان عمر ابي بكر رضي الله عنه ثلاث وستون سنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسن من ابي بكر بمقدار سني خلافته واوصى ان تغسله زوجته اسماء بنت عميس ففعلت
وصلى عليه عمر الخطاب ودفن في الحجرة الى جانب النبي عليه السلام وفي تاريخ النويري وحمل
على السرير الذي حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر
واوصى ان يدفن الى جنب النبي عليه السلام فحفر له عنده وجعل راسه عند كتفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في سبب موته فقيل ان اليهود سمته في ارز وقيل
في حشو فاكل هو والحارث بن كلدة طبيب العرب فقال له الحارث اكلنا طعاما
مسموما ثم سنة فماتا بعد سنة في يوم واحد وعن عائشة رضي الله عنها انه
اغتسل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة وامر عمر ان يصلي
بالناس وعهد بالخلافة اليه ثم توفي وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشر
ليال وقال ابن الاثير وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر وفي عيون المعارف
توفي ليلة الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الاخرة سنة

ثلاث عشرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام وحمل على سرير رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو سرير عائشة رضي الله عنها وكان من خشب ساج منسوج
بالليف وبيع في ميراث عائشة باربعة الاف درهم اشتراه مولى لمعاوية وجعله
للمسلمين ويقال انه بالمدينة واعلم ان ابا بكر هو عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن
عامر بن عمر بن صخر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
بن معد بن عدنان يلتقي ابا النبي عليه السلام في مرة بن كعب وقيل كان اسمه
عبد رب الكعبة فسماه النبي عليه السلام عبد الله وانما سمي عتيقا لان النبي عليه السلام
قال من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى ابي بكر رضي الله عنه وقيل انه اسم
سمته امه وقيل بل سمي لجمال وجهه وسمي صديقا لتصديقه خبر الاسراء وهو اول
من لقب في الاسلام وامه ام الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد ابن تيم
بن مرة وهي بنت عم ابيه وامها امينة وهي دلاف بنت عبيد بن الناقد بن مرة بن عمر
بن سعد بن تيم بن مرة وامها عاتكة بنت عبد يالبل بن غيرة بن سعد بن ليث بكر بن
عبد مناف بن كنانة وامها طفل بنت صخر بن غيرة بن سعد بن ليث وماتت وابوه
مسلمين وهو اول الرجال اسلاما كما ذكرنا وابوه مات بعده كما سنذكره ان شاء الله تعالى
وكان ابو بكر رضي الله عنه ابيض نحيفا خفيف العارضين غائر العينين ناتي الجبهة
عاري الاشاجع يخضب بالحناء والكتم وفي عيون المعارف كان طويلا ادم خفيف العارضين
يخضب بالحناء والكتم واولاده عبد الله واسماء امهما قتيلة بنت عامر بن لؤي وعبد
الرحمن وعائشة امهما ام رومان بنت الحارث بن الحويرث ومحمد امه اسماء
بنت عميس وام كلثوم امها بنت زيد بن خارجة من الانصار اما عبد الله فانه شهد
يوم الطايف مع النبي عليه السلام فجرح وبقي الى خلافة ابيه وهلك في خلافته وترك سبعة
دنانير فاستكثرها ابو بكر وولد عبد الله اسماء عبد الله فهلك ولا عقب لعبد الله واما اسماء
فهي ذات النطاقين تزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة فطلقها فكانت مع عبد الله
ابنها بمكة حين قتل وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة واما عائشة رضي الله عنها
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الرحمن فشهد يوم بدر مع المشركين ثم اسلم
وحسن اسلامه ومات في هدنة سنة ثلاث وخمسين بحبل بقرب مكة فادخلته
عائشة الحرم ودفنته واعتقت عنه فولد عبد الرحمن محمدا وعبد الله وحفصة
وولد عبد الله طلحة وولد طلحة محمدا وكان عاملا على مكة ولطلحة عقيم كثير وولد
محمد عبد الله وله عقب يقال لهم آل ابي عتيق واما محمد بن ابي بكر فكان يكنى ابا القا

بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه

وكان من نشاك قريش وكان فيمن اعان على قتل عثمان رضي الله عنه ثم ولاه علي بن
ابي طالب مصرا فقاتله صاحب معاوية هناك وظفر به فقتله فولد محمد القاسم
لام ولد وكان فقيها بالحجاز وتوفي بغدير سنة ثمان ومائة وولد القاسم عبد الرحمن
وامه فرقة واما ام فروة فتزوجها محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم
واما عبد الرحمن فكان من افضل قريش ويكنى ابا محمد وله عقب بالمدينة
وليسوا بالكثير واما ام كلثوم بنت ابي بكر فخطبها عمر بن الخطاب الى عائشة
فانعمت له وكرهت ام كلثوم فاحتالت له حتى امسك عنها فتزوجها طلحة بن
عبيد الله فولدت له زكريا وعائشة ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن
عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي وقال ابن الاثير لابي بكر ولابويه وولده وولد
ولده صحبة ولم يجتمع هذا الاحد من الصحابة وفي عيون المعارف
لم يلي الخلافة من ابوه حي غير ابي بكر رضي الله عنه وهو اول من جمع القرآن
بين اللوحين وذلك ان المسلمين لما اصيبوا باليمامة خاف ابو بكر ان يهلك
من القرآن طائفة وانما كان في صدور الرجال وفي الرقاع والعسب فجمعه
وجعله بين اللوحين مصحفا ولم يزل عنده الى ان مات فبقي عند عمر رضي الله عنه
الى ان مات عمر فبقي عند حفصة ابنته وكان كتابه عثمان بن عفان وزيد
بن ثابت وقاضيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ويقال انه اقام سنة لم يختصم
عنده احد وحاجبه سديد مولاه وكان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده
وكان ابو بكر رضي الله عنه ياخذ في حياته من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم
اجرة وكان يقول لعائشة انظري يا بنية ما زاد في مال ابي بكر منذ
ولينا هذا الامر فرديه على المسلمين فنظرت فاذا بكر وقطيفة تساوي
خمسة دراهم ومحبنة فلما جاء بذلك الرسول الى عمر قال يرحم الله ابا بكر
لقد كلف من بعده تعبا وقال محمد بن سعد كان نقش خاتم ابي بكر نعم
القادر الله قال ابن كثير وهذا غريب ذكر خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه ابو بكر وقد عهد بالامر
اليه ابو بكر في اثناء مرضه وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقيل
المسلمين فاقروا به وسمعوا له واطاعوا قال الواقدي ولي عمر بن الخطاب
الخلافة وله من العمر اثنان وخمسون سنة فبايعه الناس في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيعة تامة لم يختلف عن مبايعته لاصغر ولا كبير فانقطع
في ايامه الشقاق والنفاق والحسد الباطن وقوي الحق وقام السلطان

التقضيب

اي خلو

اي القطع

وظهر

وظهر امر الله وهم له كارهون وان اورحيم حلم ان كتب كتابا الى ابي عبيدة
اني وليتك على الشام وجعلتك امير جيوش المسلمين وعزلت خالدا والسلام وسلم
الكتاب الى عبد الله بن قرط واقام لما يريد وعليه من المسلمين ثم بعد ايام قدم
عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما راه
عمر رضي الله عنه قال يا ابن عامر كم عهدك بالشام قال قلت يوم الجمعة وهذا يوم
الجمعة قال عمر رضي الله عنه فما معك من الخبر فقلت خيرا وسلامة بشارة واني
سأذكرها بين يدي ابي بكر قال عمر قبض والله حميدا وصار الى ربه
كريم وقلدها عمر الضعيف في جسمه فان علا فيها نجى وان تدرا وفرط هلك
قال عقبة فبكيت وترحمت على ابي بكر واخرجت الكتاب فدفعته الى عمر فلما قراه
سر اكثم الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقى المنبر واجتمع المسلمون
اليه وقرأ عليهم كتاب فتح دمشق فضج المسلمون بالتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر
قال عقبة فكتب الى ابي عبيدة وعزل خالدا ثم سلم الى الكتاب وامرني بالرجوع قال
فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سرى توما وهو يبس فدفعت الكتاب الى
ابي عبيدة بن الجراح فقرأه سرا عن المسلمين ولم يخبروا احدا بموت ابي بكر وكتم امره
وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية وكتب الكتاب بفتح
المسلمين دمشق وامر مرج الديباج واطلاق ابنة هرقل وسلم الكتاب الى عبيد الله
بن قرط فلما ورد به على عمر قرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى ابي الصديق
انكر الامر ورجعت سمرته الى البياض وقال يا ابن قرط ما علم الناس بموت ابي بكر
ولا بولايتي ابا عبيدة عليهم قلت لا فغضبت وجمع الناس اليه وقام على المنبر وقرأ
عليهم مافتح الله على المسلمين من غنيمة مرج الديباج ففرحت الناس فرحا عظيما
ثم قال معاشر الناس اني امرت ابا عبيدة الرجل الامين وقد رايته اهلا لذلك
وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بني مخزوم اتعزل رجلا اشهر الله
بيده سيفا قاطعا وجعله للمشركين دامغا وقد قيل لابي بكر اعزله قال لا اغمد
سيفا سله الله ونصر به دينه وان الله لا يعذر في ذلك ولا المسلمون ان اغمدت
سيفا لله وعذلت اميرا امره الله لقد قطعت الرحم وخشرت ابن العم سلكت
الرجل ثم نظر عمر الى المخزومي فراه غلاما حدث السن فقال شاب عقيب لابن
عقيب ثم نزل عن المنبر واخذ الكتاب تلك الليلة تحت فراشه وجعل يؤامر نفسه
في عزل خالد فلما كان من الغد صلى بالناس صلاة الفجر وقام قد في المنبر فحمد الله وصلى

بكر ؟

وصلى على النبي عليه السلام وترحم على ابي بكر وذكر الناس ووعظهم ثم قال اني كرهت ولاية
خالد على المسلمين لان خالدا فيه تبذير للمال يعطي للشاعر الواحد مائة وحدة ويعطي الرجل اذا
جاهد امامه فوق ما يستحقه ولا يبقي ذلك للفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيئا واني
عزلته وليت ابا عبيدة فلا يقولن قائل عزل الرجل الشديد وولي اللين الكسلس
القياد والله معه يسدده ويعينه ثم نزل من المنبر وكتب على جلاجم مبشور بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين راحم المسلمين الى ابي عبيدة بن الجراح سلام
عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد عليه السلام واني قد وليتك
على امور المسلمين فلا تستحي فان الله لا يستحي من الحق وكتب شيئا يذكره ويوصيه واما الخطة
والشعير التي وجدت في دمشق وكثرت في ذلك مشاجرتكم فهي للمسلمين واما الذهب
والفضة ففيه الخمس والسهام واما اختصامكما انت وخالد في الفتح فالفتح لكل بالصلح لا
بالقتال لان الوالي وصاحب الامر واما سرية خالد خلف العدو الى مرج الديباج
فانه غرر بدماء المسلمين واما ابنة هرقل وهديتها الى ابيها بعد اسرها فذلك تفريط
وقد كان يأخذ بها مالا كثيرا يرجع على ضعفاء المسلمين والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وطوى الكتاب وختمه ودعى بعامر بن ابي وقاص اخي سعد ودفع
اليه الكتاب وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابي الى ابي عبيدة ومره ان
يجمع الناس اليه واقرأه انت على الناس يا عامر واخبرهم بقوت ابي بكر ثم دعى
عمر بشداد بن اوس فصافحه وقال له انطلق انت وعامر الى الشام فاذا قرأ عامر
الكتاب فمر الناس ان يأتوا يقوك ليكون يبعثك عني قال فانطلقا حتى وردا
دمشق والمسلمون بها مقيمون ينتظرون ان يأتيهم خبر من ابي بكر وما امرهم
قال واقبلا حتى نزلا في خيمة خالد فقال خالد كيف تركتما ابا بكر فقام عامر فقرأ الكتاب
فلما انتهى الى وفاة ابي بكر بكت الناس بالاصوات وبكى خالد وقال ان كان ابو بكر قد
قبض قد استخلف والسمع والطاعة لعمر وما به قد امر وقرأ عامر الكتاب
الى آخره فلما سمعه الناس وفيه الامر بالمبايعة لشداد بن اوس عوضا عن امير
المؤمنين قاموا وبايعوا فكانت بيعته لثلاث ليال خلون من شعبان سنة
ثلاث عشرة من الهجرة قال الواقدي وظن ابو عبيدة ان خالدا يعظم عليه
الامر وانه يقصر في طلب العدو ويضعف عن ذلك قال ولقد بلغني انه كان
على العود بعد عزله اشد فضاضة واصعب جهادا لا سيما في حصن
ابي القدس هذا ما ذكره الواقدي وقال ابن كثير وقد كتب بوفاة الصديق

الى امراء الشام مع شداد بن اوس ومحميه بن جزء فوصلا والناس مصافون جيوش
الروم يوم اليرموك وقد امر على الجنود ابا عبيدة وعزل خالدا وذكر سلمة عن محمد
بن اسحق ان عمر انما عزل خالدا لكلام بلغه عنه وما كان من امر مالك بن نويرة
وما كان يعتمده في حربه فلما ولي عمر كان اول ما تكلم به ان عزل خالدا وقال
لا يلي لي عملا ابدا وكتب عمر الى ابي عبيدة ان كذب خالد نفسه فهو امير
على ما كان عليه وان لم تكذب نفسه فهو معزول فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه
ماله نصفين فلما قال ابو عبيدة لخالد ذلك قال خالد امهلني حتى اشتشير اختي فذ
اخته فاطمة وكانت تحت الحارث بن هشام فاستشارها في ذلك فقالت له عمر
لا يحبك ابدا وانه سيعزلك وان اكذبت نفسك قال لها صدقت والله فقاسمه
ابو عبيدة حتى احد نعليه وترك له الاخر هذا وخالد يقول سمعا وطاعة لامير
المؤمنين
وقد ذكر ابن اسحق ان الصحابة قالوا بعد اليرموك باجنادين ثم بفحل من ارض الغور
قريبا من بيسان فكان يقال له الردغة ثم لما فدت الروم من هذه الوقعة لجأوا
الى دمشق فقصدوهم فيها قال وحينئذ جاءت الامارة لابي عبيدة من جهة عمر
وعزل خالد قال ابن كثير وهذا الذي ذكره ابن اسحق من مجيء الامارة لابي عبيدة
في حصار دمشق هو المشهور ذكر وقعة فحل بكسر الفاء والحاء وقيل
بتسكين الحاء وهو الصحيح وهي بلدة بالغور قال ابن كثير رحمه الله وقد ذكرها كثير من العلماء
السير قبل فتح دمشق وانها ذكروا ابو جعفر بن حمدان بعد فتح دمشق قال واستخلف ابو عبيدة
يزيد بن ابي سفيان على دمشق وسار وجعل على المقدمة خالدا وابو عبيدة على الميمنة وعمرو
بن العاص على الميسرة وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجالة عياض بن غنم فوصلوا الى فحل
وقد انحاز الروم الى بيسان وارسلوا امياه تلك الاراضي على ما هنالك من الاراضي فحال بينهم
وبين المسلمين وارسل المسلمون الى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعه
الروم من تلك البلاد الا ان المسلمين في عيش رغيد ومدد كثير وهم على اهبة من امرهم
واميرهم في الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح الا على اهبة تعبية وظن الروم
ان المسلمين على غرة فركبوا في بعض الليالي ليبيتوهم وعلى الروم سقلاب بن محراق فهجموا
على الروم المسلمين فنهضوا اليهم نهضة رجل واحد لانهم على اهبة دايما فقاتلوهم
حتى الصباح وذلك اليوم بحاله فلما اظلم الليل قد القوم وقتل اميرهم سقلاب وركب المسلمون
اكتافهم واسلمتهم هزيمتهم الى ذلك الوحل الذي قد كادوا به المسلمين فغرقهم الله فيه و
قتل منهم المسلمون باطراف الرماح ما قارب الثمانين الفا لم ينج منهم الا الشريد وغنموا منهم

شيئاً كثيراً وما لا جزيلاً وانصرف ابو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص
كما امرامير المؤمنين عمر بن الخطاب واستخلف ابو عبيدة على الاردن شرحبيل بن حسنة
فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا اليه فقتل منهم مقتلة عظيمة
ثم صالحوه على ما صالحت عليه دمشق وضرب عليهم الجزية والخراج على اراضيهم
وكذلك فعل ابو الاعور السلمي باهل طبرية سواء وقال خليفة بن خياط افتتح شرحبيل
الاردن كلها عنوة ماخلا طبرية فان اهلها صالحوه ذكر فتح حمص الى القد
وهي ما بين عزه وطرابلس ومرج يقال له مرج السلسة وكان بازائه دير فيه صومعة
وفيه راهب عالم بدين النصرانية قد قرأ الكتب السالفة واخبار الامم المتقدمين
وكان يقصد اليه ويقتبس من علمه وله من العمر نيف على المائة سنة وكان يقيم عند ديره
كل سنة عيداً اخر صيام الروم وهو يوم يجتمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحي
والسواحل ومن قبط مصر فيجتمعون اليه ويحدقون به فيطلع عليهم من روزنية
فيعظهم ويعلمهم من فضايا الانجيل وكان يقام عند ديره سوق عظيم كمن السنة
الى السنة وتحمل اليه سوقه الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة
ايام وما كان المسلمون يعلمون به حتى دلهم عليه رجل من نصارى المعاهدين
كان ابو عبيدة قد اصطفعه وامنه فلما ولي ابو عبيدة امر المسلمين اراد ذكر المعاهد
ان يتقرب به الى ابي عبيدة بفتح الدير واخذ السوق على يديه فاخبرا ابا عبيدة بذلك
فقال كم بيننا وبين هذا الدير قال عشر فراسخ للمجد الراكب قال كم بقي الى قيام وقت هذا
السوق قال المعاهد ثلاثة ايام فلا يل قال ابو عبيدة هل لهم حامية من الروم قال ليس
يعرف ذلك في بلاد الملك لانه لا يغيظ بعضهم بعضاً لهيبة الملك قال ابو عبيدة هل
لقرب الدير مدينة قال نعم طرابلس وهي قريبة الشام واليها تقدم المراكب من كل
مكان ويها بطريق عظيم كثير الجيش قد اقطعه الملك اياها وهو لا يحضر السوق
ولو سار الى الدير والسوق ادنى المسلمين لاخذها فوجه اليه عبد الله بن جعفر في
خمسمائة فارس فيهم رجال من اهل بدر منهم ابو ذر الغفاري وعبد الله بن ابي اوفى
وعامر بن ربيعة رضي الله عنهم وقال ابو عبيدة يا عبد الله لا تنفرن على القوم الا في اليوم
الاول من السوق ثم سار واتى ليلة النصف من شعبان واما هم الدليل وهو المعاهد
قال واتلة فسرنا ليلتنا تلك الى الصباح فاصبح بنا الدليل على جبل عظيم فبينا نحن
نسير اذ اشرفنا على صومعة راهب عن يميننا فعدل عبد الله نحو الدير وعدلنا
معه فاطلع علينا الراهب من صومعته وعليه برنس اسود فجعل يتأملنا فقال
من انتم فلما عرب قال انتم المحمدون قلنا نعم فجعل يلتفت الينا واحداً واحداً

ثم جعل يطيل النظر في وجه عبد الله قال هذا الفتى ابن نبيكم قلنا لا قال ان نور النبوة تلوح
بين عينيه فهل يلحق به قلنا هو ابن عمه قال الراهب فهو من الورقة والورقة من الشجرة
فقال عبد الله وهل تعرف رسول الله قال وكيف لا اعرفه واسمه مكتوب في التوراة والانجيل
والزبور صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهور قال له فلم لا تؤمن به قال فرفع يديه الى
السماء حتى بشأ صاحب هذه الخضراء قال فاعجبنا كلامه وبشرنا والدليل امامنا حتى اتى
بنا الى وادي كثير الشجر والماء فامرنا ان نكمن فيه ثم قال لعبد الله اني اذهب واختبر لك
الخبر فانطلق مسرعاً فاقمنا هنالك الى الصباح ننتظر رجوعه فلم ياتنا وابطأ
فقلق المسلمون وخافوا من المكيدة فما منا الا وقد ظن بالمعاهد شراً الا ابو ذر الغفاري
فانه قال ظنوا به خيراً فما تخافون منه كيداً فان له شاناً ستعلمونه قال فسكن الناس
لذلك واذا به قد اقبل وقال يا اصحاب محمد وحق المسيح اني لم اغشكم فيما حدثتكم به واني
رجوت لكم الغنيمة وقد حيل بينكم وبينها فقال عبد الله كيف قال اني اشرفت على السوق
وقد قام فيه البيع والشراء واجتمع اليه اهل دين النصرانية وقد دار الشرهم بدير الى القد س
واجتمع اليه الاقسة والرهبان والبطارقة فمضيت واختلطت بالقوم لاعرف ما السبب
الذي جمعهم واذا بصاحب طرابلس قد تزوج بابنة ملك من ملوك الروم وقد اتوا بالجارية
الى دير الى القدس ليأخذ منه باغوثا وهو القربان وقد دار بها فرسان القوم المتنصرة
في عدد هم كل ذلك خوفاً منكم يا معاشر العرب وما ارى الصواب ان تسيروا اليهم
وهم في جمع كثير قال عبد الله في كم يكون القوم بالحزر فقال اما السوق ففيه ازيد من عشرين
الفاً من عوام الروم والارمن والنصارى واليهود والقبط من مصر واهل السودان
واما المستعدون للحرب فخمسة آلاف لا يسرفان وقع الصوت اجابه مثلهم
قال فصعب ذلك على المسلمين وسقط ما في ايديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله اما
انا فاني اخاف ان فعلت ذلك ان يكتبني الله من الفارين وما ارجع او ابلي عذراً عند الله
فمن ساعدني فاجره على الله ومن رجع عني فلا عتب عليه فلما سمعوا ذلك اجابوه
باجمعهم قالوا افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر فلما سمع ذلك فرح وقام فقال
سيروا بنا ايها الدليل وسترى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساربهم حتى وقف
وقال امسكوا عليكم فانكم قريبون من القوم فاكمنوا الى وقت السحر ثم اغيروا عليهم قال واتلة
فبتنا حيث امرنا حتى طلعت الشمس فقام عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس في كل
كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيباً وقال يا خذ كل مائة قطراً من اقطار
سوقهم ولا يشتغلوا بنهب ولا سبي ولكن ضعوا السيوف في العواتق وتقدم عبد الله
بالراية فنظر الى الروم كانهم النمل المنتشرين وقد احدق بدير الراهب خلق كثير وقد

وقد اخرج راسه من الدير وهو يعظهم ويوصيهم وابنة البطريق والبطارقة عليهم الديباج
المثقل بالذهب فصاح عبد الله قبل الحملة يا صحاب رسول الله احملوا بارك الله فيكم فاما
غنيمة وفتح" واما اجتماع عند حوض ابن عمر ثم هز الراية وحمل بها على الروم والماية فارس
محدقون به فحملوا بحملته وطلب عبد الله مكان الجمع العظيم فخاض فيهم فاحدقت الروم
بالمسلمون فما كان المسلمون فيهم الا كالمة البيضاء في جلد البعير الاسود فما كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتكبير والتهليل ولم يزالوا
في الحرب والقتال وقال ابو ميسرة حتى كلت منا السواعد وعظم الامر وانثلم سيف
عبد الله وكاد ان يقف فرسه من تحته فالتجأ باصحابه الى موضع ليجتمع اصحابه اليه
فنظر المسلمون الى رايته فقصدوا اليها وما فيهم الا مكلوم من ايدي المشركين فضاق
بذلك ذرعه ورفع يده الى السماء وقال يا من خلق خلقه فاحسن خلقهم وابتلى بعضهم
ببعض محنة لهم اسالك بجاه محمد الا جعلت لنا من امرنا فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال
واصحاب الرسول عليه السلام يقاتلون معه تحت راية الله فنبذه درّ الى ذرّ فانه نصر ان عم الرسول عليه السلام
في ذلك اليوم وجاهد بين يديه والمسلمون يفعلون كفعله الى ان بلغت القلوب الحناجر
وظنوا ان ذلك الموضع قبورهم فبينما هم كذلك اذ شدّ عليهم كالوا فهم اذ فرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب
الموحدين كانهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهم غايصون في الحديد وجعلوا
ينظرون اليهم واذا الى قاعدة النظم تفرقوا وظنوا انهم كمين الروم فاذا بها تنكشف
يا اهل القرآن جاركم النوح من الرحمن واذا بفارس على العدمة كانه الليث الهادر ينادي
ويقول ابشروا معاشر المسلمين بالنصر المبين انا الفارس المبيد انا البطل الصنديد
انا خالد بن الوليد فاجابوه المسلمون بالتهليل والتكبير وكان ابو عبيدة رضي الله عنه يعظم
تجلة لعبد الله واصحابه ثم حمل خالد بجيش زحف الذي لا ينظر قوله ووضع السيف
في الروم فمزقهم يمينا وشمالا كالليل واثلج اذا اختلط الظلام حتى رأيت خالدا يسوق الشركين
بين يديه سوق الغنم الى المرعى والمسلمون يتتلونهم من كل جانب واتبعهم الى كل عظم
كان يعلم وبين اظهر ابلس وكان الروم يعرفون ذلك في صوته ووقف خالد ورفع اصحاب
رسول الله عليه السلام فوجدهم قد هلكوا الاثر وانبث المسلمون في جميع الغنائم وما كان
في السوق من المتاع والثياب والطعام واخرجوا ما كان في الدير من انية الذهب والفضة
واخرجت ابنة البطريق ومعها اربعون جارية لها حلل وحلل واخذوا منها كثيرا
واموالا جمة ورجعوا واستقبلهم ابو عبيدة رضي الله عنه فشكر لهم فاخذ الغنيمة
وقسمها على المسلمين ووضع لفرار فرس البطريق وسرجه وما كان عليه من حلية الذهب
والجواهر واعرض المسلمين على ابنة البطريق فاختارت رضي الله عنها ابنة البطريق فاراد الامير المؤمنين
ان يعطيها له فقال حتى استاذن امير المؤمنين في ذلك فكتب الى عمر رضي الله عنه

والصلاة على البشير النذير ٢

والصلاة على البشير النذير ٢

الى ٢

بذلك ويساله ان يكتب عمر رضي الله عنه هل له ان يتخذها عبد الله واقامت عنده زمانا وعلمها
الطبخ وميل كاب يحسن طبخ الروم وطبخ الفرس واقامت عنده الى ايام يزدجرد فخرج
يزدجرد فاستشهد اما منه فاخذها له وذكر فتح البتاع قال ابن الشحنة ان ابا عبيدة رضي الله عنه
بعث خالدا الى البتاع ففتحها بالسيف وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين مسنون
وعلى الروم رجل يقال له سنان يتجلد على المسلمين فحمل عليه يزيد فقتل واستلب
سريره عامة والشهداء وكانوا يسمون عين مسنون عين الشهداء وبعث وجيه
برجليه الى تدمر فرسبته ليعهد امرها وبعث ابا الزهراء القشيري الى البشنية
وحوران فصالح اهلها واستخلف على الشام يزيد بن ابي سفيان كما وعده بها
الصديق رضي الله عنه ذكر مارتع بارض العراق في هذه المدة من القتال

كان ٢

ولما سار خالد بن الوليد من العراق الى الشام كما ذكرنا استناب على العراق المثنى بن حارثة
وان اهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على تمليك شهريار بن اردشير
بن شهريار واستغنموا غيبة خالد عنهم فبعثوا الى المثنى جيشا كثيفا
نحوا من عشر الاف وكتب شهريار الى المثنى اني قد بعثت اليك جندا من
اوحش اهل فارس انعاما رعاة الدجاج والخنازير ولست اقاتل الا بع
فكتب اليه المثنى من المثنى الى شهريار انما انت احد رجلين اما باغ فذلك
شر لكم وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله
في الناس الملوك واما الذي يدلنا عليه الرائد فلعلكم كاذبون فانكم انما اضطررتم
اليهم فالحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير قال فخرج اهل
فارس كمن هذا الكتاب ولما قرأه شهريار على كتابته اليه واستهجن رايه
ولما التقى المثنى وجيشهم بكاظمة عند عذرة الصراة اقتتلوا قتالا شديدا
جدا وارسل الله الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين
فحمل عليه امير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله وامر المسلمين فحملوا فيلا
بكل الاهزيمة الفرس فقتلوهم كل قتلة اذريعا وغنموا منهم مالا عظيما وقدب
الفرس حتى انتهوا الى المدائن في شر حالة وجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم
ابنة كسرى ارزميدخت فلم ينتظم لها امر فملكوا عليهم سابور بن شهريار وجعلوا
امره الى القزمان بن البند وان زوجة سابور ابنة كسرى ارزميدخت فلكد
ذكر وقالت انما هذا عبد من عبيدنا فلما كان ليلة عدوا عليها فقتلوه ثم ساروا
الى سابور فقتلوه ايضا وملكوا عليهم هذه المراة وهي ارزميدخت ابنة كسرى
ولعبت فارس بملكها لعبا كثيرا واخرما استقر امرهم عليه في هذه السنة
ان ملكوا امراة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة

هت

ثم ان المثنى بن حارثة استبطأ اخبار الصديق لتشاغله باهل الشام وما فيه من الحرب فسار المثنى بنفسه الى الصديق واستناب على العراق بشير بن الخصاصية وعلى المشاة سعيد بن مرة العجلي فلما انتهى المثنى الى المدينة وجد الصديق في آخر مرض الموت وقد عهد الى عمر بن الخطاب ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر اذا انا مت فانتدب الناس لحرب اهل العراق مع المثنى واذا فتح الله على امراء اليرموك بالشام فارددْ اصحابَ خالد الى العراق فانهم اعلم بحربه فلما مات الصديق ندب عمر رضي الله عنه المسلمين الى الجهاد بارض العراق لقلة ممن بقي فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد فانتدب خلق وامّر عليهم ابا عبيد بن مسعود وكان شابا شجاعا خبيرا بالحرب والمكيدة ولم يكن صحابيا ولكنه اسلم في حياة النبي عليه السلام وذكره الشيخ ابو عمر بن عبد البر في الصحابة قال الحافظ ابو محمد عبد الله الذهبي لا يتعذر ان يكون له رؤية وهذا ما يتعلق بخبر العراق الى اخر ايام الصديق واول دولة الفاروق

ذكر وقعة النمارق

ولما سار المسلمون مع عبيد بن مسعود الى ارض العراق كتب عمر رضي الله عنه الى ابي عبيدة ان يرسل من كان بالعراق فيمن قدم مع خالد الى العراق ولما وصل الناس الى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم وآخر ما استقر عليه امرهم ان ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها آرزميدخت وفوضت بوران امر الملك عشر سنين الى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاد على ان يقوم بامر الحرب ثم يصير الملك الى آل كسرى فقبل ذلك وكان رستم هذا منجما يعرف النجوم وعلمها جيدا فقيل له ما حملك على هذا يعني وانت تعلم ان هذا لا يتم لك فقال الطمع وحب الشرف ثم ان رستم بعث اميرا يقال له جابان وعلى مجنبتيه رجلان يقال لاحدهما خشنس ناه ويقال للاخر مردانشاه وهو خصي اميرٌ صاحبُ الفرس فالتقوا مع ابي عبيد بن مسعود بمكان يقال له النمارق وعلى الخيل المثنى بن حارثة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا وهزم الله الفرس واسر جابان ومردانشاه فاما مردانشاه فانه قتله الذريسره واما جابان فانه خدع الذريسره حتى اطلقه فامسكه المسلمون وابوا ان يطلقوه وقالوا ان هذا هو الامير وجاوا به الى ابي عبيد فقالوا اقتله فانه الامير فقال وان كان الامير فاني لا اقتله وقد آمنه رجل من المسلمين ثم ركب ابو عبيد واثار من انهزم منهم وقد لجأوا الى مدينة كسكر التي لابن خالة كسرى واسمه نرسي فوازرهم نرسي على قتال ابي عبيد ففقرهم ابو عبيد وغنم منهم شيئا كثيرا واطعاما كثيرة جدا وبعث بخمس معانم ما غنم من المال والطعام الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ذكر

ثم بعث ابو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا اخر الى ما تاخم تلك الناحية كنهر جور ونحوها ففتحوها صلحا وقهرا وضربوا الجزية والخراج وغنموا الاموال الجزيلة وكسروا الجالنوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وامّنوا له وكرّها راجعا الى قومه ذليلا حقيرا

ذكر وقعة جسر ابي عبيد

التي قتل فيها امير المسلمين وخلق كثير منهم ولما رجع الجالنوس هاربا مما لقي من المسلمين تدامرت الفرس بينهم واجتمعوا الى رستم فارسل جيشا كثيفا وحملوا معهم راية كسرى وكانت من خلود النمور عرضها ثمانية اذرع فوصلوا الى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فارسلوا اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم فقال المسلمون لاميرهم ابي عبيد مرهم فليعبروا هم الينا فقال ما هم باجرأ منا على الموت ثم اقتحم اليهم فاجتمعوا في مكان ضيق فالتقوا هنالك فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد مثله والمسلمون في نحو من عشرة الآف وقد جاءت الفرس معهم بافيلة كثيرة عليها الجلاجل ليدعر خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرّت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت فيها الا القليل على قسر واذا حمل المسلمون عليهم لا يقدر خيلهم على الفيلة ورشقتهم الفرس بالنبل فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة الآف وامر عبيد المسلمين ان يقتلوا الفيلة اولا فاحتوشوها فقتلوها على آخرها وقد مت الفرس بين يديه فيلا عظيما ابيض فتقدم اليه ابو عبيد فضربه بالسيف فقطع زلومه فحمي الفيل وحمل عليه فتحطمه برجليه فقتله ووقف فوقه فحمل على الفيل خليفة ابي عبيد الذي كان قد اوصى ان يكون اميرا بعده فقتل ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نصّ ابو عبيد عليهم واحدا بعد واحد ثم صارت الى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية ايضا وقد كانت حكمة امراة ابي عبيد رأت في منامها ما يدل على ما وقع سواء بسواء فلما راى المسلمون ذلك وهنوا وولوا مدبرين وسارت الفرس خلفهم يقتلون بشرا كثيرا وجاؤا الى الجسر فمر بعض الناس ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحو من اربعة الآف فانا لله وانا اليه راجعون وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذي جاوزوا منه وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق فنادى المثنى ايها الناس على هينتكم فاني واقف على فم الجسر لا اجوز حتى لا يبقى منكم احد ههنا فلما عدّ الناس الى الناحية الاخرى

سار المثنى فنزل بهم اول منزل واقام بحرسهم هو وشجعان المسلمين وقد جرح اكثرهم
وانخنوا ومن الناس من ذهب في السبية لا يدري اين ذهب ومنهم من رجع الى المدينة
مذعورا وذهب الخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني الى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر
فقال له عمر ما وراءك يا عبد الله بن زيد فقال اتاك الخبر اليقين يا امير المؤمنين ثم صعد اليه
المنبر فاخبره بالخبر سواء بسواء ويقال كان اول من قدم بخبر الناس عبد الله بن زيد بن
الحصين الخطمي ثم تراجع المسلمون بعضهم الى بعض وكان منهم من فر الى المدينة فلم يؤنب
عمر الناس واشغلت الله المجوس بامر ملكهم وذلك ان اهل المدائن عدوا على رستم فخلعوه
ثم ولوه واضافوا اليه الغرزان واختلفوا على غرفتين فرتك الفرس الى المدائن فلحقهم
المثنى بن حارثة في نفر من المسلمين فعارضه اميران من امرائهم في جيش فاسرهما واسر
معهما بشرا كثيرا فضرب اعناقهما ثم ارسل المثنى الى من بالعراق من امراء المسلمين
يستمدهم فبعثوا اليه بالامداد وبعث اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالامداد الكثيرة
فيهم جرير بن عبد الله البجلي في قومه بجيلة بكمالها وغيره من سادات المسلمين حتى
كثر جيشه وقال سيف بن عمر كانت هذه الوقعة في شعبان من سنة ثلاث عشرة

ذكر وقعة بويب

لما سمع ذلك امراء الفرس بكثرة جيوش المثنى بعثوا اليه
جيشا اخر مع رجل منهم يقال له مهران فتوافوهم واياهم بمكان يقال له البويب
قريب من الكوفة اليوم فيما بينهما والفرات فقالوا اما ان يعبروا الينا او نعبر اليكم
فقال المسلمون بل اعبروا الينا فعبرت الفرس اليهم وذلك في شهر رمضان فعزم
المثنى على المسلمين في الفطر فافطروا عن اخرهم ليكون اقوى لهم وعبى الجيش
وجعل على كل راية من رايات الامراء على القبايل ووعظهم وحثهم على الجهاد والصبر
وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات الصحابة وقال
المثنى لهم اني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا فاذا كبرت الرابعة فاحملوا فلما
كبر اول تكبيرة عاجلته الفرس فحملوا حتى عانقوهم واقتتلوا قتالا شديدا و
طالت الحرب زمانا وجمع المثنى جماعة من اصحابه الابطال يحمون ظهره وحمل على
مهران فازاله عن موضعه حتى دخل الميمنة وحمل غلام من بني تغلب نصراني
فقتل مهران وركب فرسه كذا ذكر سيف بن عمر وقال ابن اسحق بل حمل عليه المنذر
بن حسان بن ضرار الضبي بطعنه وحز راسه جرير بن عبد الله البجلي واختصما
في سلبه فاخذ جرير السلاح واخذ المنذر منطقته وهزمت المجوس وركب
المسلمون اكتافهم يقصلونهم فصلا وسبق المثنى بريحانة الى الجسر فوقف
عليه للمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن المسلمون منهم فذكروا اكتافهم بقية ذلك

اليوم وتلك الليلة ومن الغد الى الليل ويقال انه قتل منهم يومئذ وغرق قريب
من مائة الف وغنم المسلمون مالا جزيلا وطعاما وبعثوا بالبشارة والاخماس
الى عمر رضي الله عنه وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثير ايضا
وذلك لهذه الوقعة رقاب الفرس وتمكنت الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين
الفرات ودجلة فغنموا شيئا كثيرا لا يمكن حصره وجرت امور يطول ذكرها
بعد يوم البويب وكانت هذه الوقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام

ذكر تولية عمر رضي الله عنه سعد بن ابي وقاص امير على العراق رضي الله عنه

بعث امير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن ابي وقاص الزهري احد العشرة في سنة
الف اميرا على العراق وكتب الى جرير من عبد الله والمثنى بن حارثة ان يكونا تبعا له
وان يسمعا له ويطيعا فلما وصل الى العراق كانا معه وكانا قد تنازعا الامرة فالمثنى
يقول لجرير انما بعثك امير المؤمنين مددا لي وجرير يقول انما بعثني اميرا عليك فلما
قدم سعد على امراة العراق انقطع نزاعهما قال ابن اسحق والصحيح ان بعث عمر
سعدا انما كان في اول سنة اربع عشرة كما سياتي ان شاء الله تعالى

ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمع آل كسرى
في القصر الابيض وامر بقتل ذكرانهم كلهم وكانت ام يزدجرد فيهم ومعها ابنها وهو
صغير فواعدت اخواله فاخذوه منها وذهبوا به الى بلادهم فلما وقع ما وقع يوم
البويب وقتل منهم من قتل كما ذكرنا وركب المسلمون اكتافهم واستصروا عليهم
وعلى اخذ بلادهم واقاليمهم سمعوا بقدوم سعد بن ابي وقاص من جهة عمر
اجتمعوا فيما بينهم واحضروا الاميرين الكبيرين فيهم وهما رستم والغرزان فتقاولوا
امروا فيما بينهم وتواصلوا وقالوا لهما لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغي لتقتلنكما
ونشتغي بكما ثم راوا فيما بينهم ان يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل
بقعة فمن كان لها ولد من آل كسرى ملكوه عليهم فجعلوا اذا اتوا بالمراة عاقبولها
هل لها ولد وهي تبكي ذلك خوفا على ولدها ان كان لها ولد فلم يزالوا حتى دلوا على ام يزدجرد
فاحضروها واحضروا اولدها فملكوه عليهم وهو ابن احدى وعشرين سنة وهو من
ولد شهريار بن كسرى وعزلوا بوران واستوسقت الممالك له واجتمعوا عليه
وفرحوا به وقاموا بين يديه بالنصرة اتم قيام واستفحل امره فيهم وقويت شوكتهم
به وبعثوا الى الاقاليم والوسائق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم
وذممهم وبعث الصحابة الى عمر رضي الله عنه بالخبر فامرهم عمر ان يخرجوا من بين
ظهرانيهم وليكونوا على اطراف البلاد حولهم على المياه وان يكون كل قبيلة

ينظر الحوص الى الآخرى بحيث اذا حدث حدث لا يخفى على قبيلة لا يخفى امرها على جيرانها
وذلك في القعدة من سنة ثلاث عشر وقد حج بالناس عمر في هذه السنة وقيل بل حج بهم عبد
الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة والله اعلم ذكر ما وقع في هذه السنة
اعني ثلاث عشرة من الحوادث اجمالا فيها كانت وقايع ببلاد العراق كما ذكرنا
وفيها سار خالد من العراق الى الشام على المشهور وفيها كانت وقعة اليرموك في قول سيف وعمر واصحاب
اخبار قبل مجيء وعمر يذكرها في سنة خمس عشرة على ما نص عليه ابن اسحق وغيره وفيها توفي ابو بكر
الصديق رضي الله عنه وولي عمر الخلافة وفيها ولي قضاء المدينة علي بن كعب رضي الله عنه
وفيها فتحت حمص في قول سيف والواقدي وغيرهما واستنيب فيها نوفل بن معاوية الديلي
وفيها اول من ولي قضاء المسلمين وفيها كانت وقعة جسر ابي عبيد فقتل فيها اربعة آلاف
من المسلمين منهم امير الجيش ابو عبيد بن مسعود الثقفي وهو والد الصحابية امراة عبد الله بن عمر
وكانت امراة هاشم بن والد المغيرة ابي عبد كذاب ثقيف وفيها كانت وقعة اجنادين
بين المسلمين وبين الروم في جمادى الاولى وفيها عزل ابو بكر المثنى عن قيادة الجيوش
وولى خالد بن سعيد بن العاص الاموي ابو الوليد المكي صحابي
جليل وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن فقتل ماخاذي اسلمة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور انه قتل بدار قيم بن الحارث بن قيس السهمي واخوه قيس
صحابيان جليلان هاجرا الهجرتين وقتلا ماخاذي خالد بن سعيد بن العاص الاموي
مرتد بني الاول ممن هاجر الهجرتين واقام بها نصح عمر وقال انه كان على صنعاء
وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح الطائف في قول وقيل بل حرب علم بمكة الصديق
مرجوع الدين تعزيره فاقام مريضا طوافها هي اذن له وقال ان الذي قتله اسلم وقال
رأيت له هن قتلته ثورا ساطعا في السماء سعد عباد بن دليم بن حارثة بن ابي حزيمة
وقال حارثة بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ساعدي كعب بن الخزرج الانصاري
سيد قومه ابو ثابت وقال ابو قيس صيفي كان احد النقباء ليلة العقبة شهد
بدرا في قول عروة وموسى بن عقبة والذي رأيناه قال الواقدي لم يشهدها الا بحشته
همة فشغلته عنها بعد ان تجهز لها فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمها واجره وقد ذكر
ابو عمر عن عبد البر ما ذكره عمر واحد من علماء النار انه تخلف عن بيعة الصديق حتى حمل الى الشام
فمات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة في خلافة الصديق وقيل في اول خلافة عمر رضي الله عنه
وقيل سنة اربع عشرة وقيل سنة خمس عشرة وقال الثلاثة وابن بكير سنة ست عشرة وقال محمد
بن عمارة اول مدينة فتحت من الشام بصرى وفيها توفي سعد بن عبادة وقال ابن كثير

امراة ام

وعند كثير من اهل زماننا انه دفن بقرية من غوطة دمشق يقال لها المنيحة وبها
قبر مشهور به ولم ار ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر في ترجمته بالكلية قال ابن
عبد البر ولم يختلفوا انه وجد ميتا في مغتسله وقد اخضر جسده ولم ينتن وابوه
حتى سمعوا قائلا يقول قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده
قال ابن جريج سمعت عطاء تسمعت ان الجن قالوا في سعد بن عبادة هذين البيتين
عن النبي عليه السلام احاديث رضي الله عنه عباد بضم العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة
وذكر بضم الدال المهملة وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وحزيمة بفتح الحاء المهملة
وكسر الزاي وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء سلمة بن هشام بن المغيرة اخو
ابي جهل بن هشام اسلم قديما وهاجر الى الحبشة فلما رجع منها حبسه اخوه واجاعه
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت وجماعة من المستضعفين ثم انسل
فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الخندق فكان معه بها وقتل باجنادين
ضرار بن الازور الاسدي ذكر عروة وموسى بن عقبة انه قتل باجنادين وكذا قال
ابن شهاب انه قتل يوم اجنادين في خلافة ابي بكر وقيل مات في خلافة عمر رضي الله عنه
وقيل مكث باليمامة مجروحا حتى مات بها قبل ان يبرأ تحل خالد له حديث في استحباب
ابقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب طلب بن عمير بن وهب بن كثير بن
عبد قصي القرشي العبدري امه اروى بنت عبد المطلب عمة النبي عليه السلام اسلم
قديما وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرا قال ابن اسحق والواقدي والزبير
بن بكار استشهد باجنادين وقد شاخ رضي الله عنه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب
بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عمة النبي عليه السلام كان من الابطال المذكورين قتل يوم اجنادين
بعد ما قتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة ابطال وله من العمر يومئذ بضع
وثلاثون سنة عبد الله بن عمرو الدوسي قتل باجنادين قال ابن كثير وليس هذا
الرجل معروفا عثمان بن طلحة العبدري الحجبي قيل انه قتل باجنادين والصحيح انه تاخر
الى ما بعد الاربعين عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية الاموي ابو عبد الرحمن
امير مكة نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله عليها عام الفتح وله من العمر عشرون
سنة فحج بالناس عامئذ واستنابه عليها ابو بكر بعده عليه السلام وكانت وفاته بمكة
قبل يوم توفي ابو بكر رضي الله عنهما له حديث واحد رواه اهل السنن الاربعة
عتاب بفتح العين وتشديد التاء المثناة من فوق واسيد بفتح الهمزة عكرمة
بن ابي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ابو عثمان القرشي
المخزومي قال عروة قتل باجنادين وقال غيره باليرموك بعدها وجد له بضع

وقد اجمع العلماء على ان الشام

وسبعون ما بين ضربة وطعنة **الفضل** بن العباس بن عبد المطلب قيل انه توفي في هذه السنة والصحيح انه تأخر الى سنة ثماني عشرة **نعيم** بن عبد الله بن النحام احد بني عدي اسلم قديما قتل عمر استشهد يوم اجنادين وقيل يوم اليرموك نعيم بضم النون وفتح العين والنحام بفتح النون وتشديد الحاء المهملة كذا عند اهل الحديث وقال ابن الكلبي هو بضم النون وتخفيف الحاء **هارون** بن الاسود بن المطلب بن اسد ابو الاسود القرشي الاسدي هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرجت من مكة حتى استقلت ثم اسلم فحسن اسلامه وقيل باجنادين رضي الله عنه **هاشم** بن سفيان بن عبد الاسد المخزومي ابن اخي ام سلمة اسلم قديما وهاجر الى الحبشة واستشهد يوم اجنادين على الصحيح وقيل قتل يوم مؤتة فالله اعلم **هشام** بن العاص وابن السهمي اخو عمرو بن العاص وروى النسائي مذرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابنا العاص مؤمنان وقد اسلم هشام قبل عمرو وهاجر الى الحبشة فلما رجع منها احتبس بمكة ثم هاجر بعد الخندق وقد ارسله الصديق الى ملك الروم وكان من القدماء وقتل باجنادين وقيل باليرموك والاول اصح

فصل في ما وقع من الحوادث في السنة الرابعة عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحث الناس وتحضهم على جهاد اهل العراق وذلك لما بلغه من قتل ابي عبيد يوم الجسر وانتظام شمل الفرس واجتماع امرهم على يزدجرد الذي اقاموه من بيت الملك ونقضهم اهل الذمة بالعراق عهودهم ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم واذوا المسلمين واخرجوا العمال من بين اظهرهم وقد كتب عمر الى من هنالك من الجيش ان يتبرزوا من بين اظهرهم الى اطراف البلاد قال ابن جرير وركب عمر رضي الله عنه في اول يوم من المحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار فعسكر به عازما على قصد العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة رضي الله عنهم ثم عقد مجلسا لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ونودي ان الصلاة جامعة وقد ارسل الى قوم من المدينة استشارهم فكلهم وافقه على الذهاب الى العراق الا عبد الرحمن بن عوف فانه قال له اني اخشى ان كسرت ان يضعف المسلمون في سائر اقطار الارض واني ارى ان تبعث رجلا وترجع انت الى المدينة فاستصوب رأي ابن عوف فقال عمر لمن ترى ان نبعث الى العراق فقال قد وجدته قال ومن هو قال الاسد في براثنه

سعد بن مالك الزهري فاستجاد قوله وارسل الى سعد فامده على العراق واوصاه بوصية بالغة فسار في اربعة الاف ثلاثة الاف من اهل اليمن والف من سائر الناس وقيل في ستة الاف ورجع عمرو بمن معه من المسلمين الى المدينة ولما انتهى سعد الى زرود وجد بها بقية وبين ان يجتمع بالمثنى بحارثة الابير وكل منهما مشتاق الى صاحبه انتقض جرح مثنى بحارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رضي الله عنه واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية ولما بلغ سعدا موته ترحم عليه وتزوج بزوجته سلمى ولما وصل سعد الى محلة الجيوش انتهت رياستها وامرتها ولم يبق بالعراق من سادات العرب الا تحت امره وامدته عمر بامداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلثون الفا وقيل ستة وثلثون الفا وكتب عمر رضي الله عنه الى سعد ان يجعل الامراء على القبائل والعرفاء على الجيوش وان يواعدهم الى القادسية ففعل ذلك سعد عرف العرفاء وامر على القبائل وولى على الطلائع والمقدمات والمجنبات والساقات والرجالة والركبان كما امر امير المؤمنين قال سيف باسناده عن مشايخه قالوا وجعل عمر رضي الله عنه على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النون وجعل اليه الاقباض وقسمة الفيء وجعل داعية الناس وقاضيهم سلمان الفارسي رضي الله عنه وجعل الكاتب زياد بن ابي سفيان قالوا وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة وبضعة عشر صحابيا منهم بضعة وسبعون بدريا وكان فيه سبعمائة من ابناء الصحابة رضي الله عنهم وبعث عمر كتابه الى سعد يامره بالمبادرة الى القادسية ولا يغرنه كثرة عددهم فانهم قوم خدعة وان انتم صبرتم واحتسبتم ونويتم الامانة رجوت ان تنصروا عليهم وقد القى في روعي انكم ستهزمونهم فلا تشكن في ذلك فاذا هزمتموهم فلا تتبعوهم حتى يفتح عليهم المدائن فانه خرابها ان شاء الله تعالى ولما بلغ سعدا العذيب اعرض المسلمين جيشا للفرس مع شيرزاد بن اراذويه فهزموا امامه شيئا كثيرا ووقع بينهم مواقع كثيرة اخمسها سعد وقسم اربعة اخماسها في الناس واستشار الناس في ذلك وافرد سعد سرية يكون حياطا لمن تبعهم من الجريح على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي

ذكر غزوة القادسية

ثم سار سعد فنزل القادسية وبث سراياه واقام بها شهرا لم يراجز امن الفرس والسرايا تاتي بالميرة من كل مكان وجاء الفرس من اطراف بلادهم الى يزدجرد من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي وقالوا ان لم نجدنا والا اعطينا بايدينا وسلمنا اليهم الحصون واجتمع راي الفرس على ارسال

رستم اليهم فبعث اليه يزدجرد فامره على الجيش فاشتغفى رستم من ذلك وقال ان
هذا ليس برأي في الحرب ان ارسال الجيوش بعد الجيوش اشد على العرب من
ان ترسلوا جيشا كثيفا مرة واحدة فابى الملك الا ذلك فتجهز رستم للخروج
وخرج بجيوشه ولما اقترب بساط تعبى فجعل على المقدمة وهي اربعون الفا الى النوس
وعلى الميمنة الهرمزان وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون الفا وعلى
الساقة المندران في عشرين الفا فالجيش كله ثمانون الفا فيما ذكره سيف وقيده
وفي رواية كان رستم في مائة الف وعشرين الفا يتبعها ثمانون الفا وكان معه ثلاثة
وثلثون فيلا منها فيل ابيض كان لشابور فهو اعظمها واقدمها وكانت الفيلة
ثالثة ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن وفرات بن حيان
وحنظلة بن الربيع السهمي وعطارد بن حاجب والاشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة
وعمرو بن معدي كرب يدعون رستم الى الله عز وجل فقال لهم رستم ما اقدمكم قالوا
جئنا لموعود الله اياي اخذ بلادكم وسبي نسائكم وابنائكم واخذ اموالكم فنحن
على يقين من ذلك وقد اري رستم في منامه كان ملكا نزل من السماء فحتم على سلاح
الفرس كله ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عمر رضي الله عنه وذكر سيف ان رستم طاول سعدا في اللقاء حتى كان بين خروجه
من المداين وملتقاه سعدا بالقادسية اربعة اشهر كل ذلك لعله يضجر سعد ومن
معه ليرجعوا ولولا ان الملك استعجله ما التقاه لما يعلم من غلبة المسلمين لهم
ونصرهم عليهم لما رأى في منامه ولما عنده من علم النجوم الذي يعتقد صحته في نفسه
لما له من الممارسة في هذا الفن ولما دنى جيش رستم من سعد احب سعد ان يطلع
على اخبارهم على الحلية فبعث سرية ليأتيه برجل من الفرس وكان فيها طليحة
الاسدي الذي كان ادعى النبوة ثم تاب فلما بعثها سعدا اخترق طليحة الجيوش
والصفوف وتخطى الالوف وقتل جماعة من الابطال حتى اسر احدهم فسأله سعد
عن رستم فقال هو في مائة الف وعشرين الفا ويتبعها مثلها واسلم الرجل من
فوره وكانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق وقعة اعجب منها
وذلك انه لما تواجه الصفان كان سعد رضي الله عنه قد اصابه عرق النسا ودماميل
في جسده فهو لا يستطيع الركوب وانما هو في قصر منكبا على صدره فوق
وسادة وهو ينظر الى الجيش ويدبر امره وقد جعل امره الحرب الى خالد بن عرفطة
وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي وعلى الميسرة قيس بن مكشوح وكان
قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مددا من عند ابي عبيدة من الشام

ان لم تؤمنوا

بن عمر رحمه الله

وزعم ابن اسحق ان المسلمين كانوا ما بين السبعة الآف الى الثمانية الآف وان رستم كان
في ستين الفا فصلى سعد بالناس يومئذ الظهر ثم خطب ووعظ ثم كبر اربعا ثم حملوا
بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا وقد قتل من الفريقين بشر كثير ثم
اصبحوا الى مواقفهم فاقتتلوا يومهم كذلك وامست هذه الليلة فسميت هدء ليلة الهرير
فلما اصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالا شديدا وقد تاسوا من الغلبة بالنسبة الى الخيول
العربية بسبب نفرتها منها امرا بليغا وقد اباد الصيابة الفيلة ومن عليها وقلعوا
عيونها وابلى جماعة من الشجعان في هذه الايام مثل طليحة الاسدي وعمرو بن معدي
كرب والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله البجلي وضرار بن الخطاب وخالد بن عرفطة
وامثالهم فلما كانت وقت الزوال من هذا اليوم وسمي يوم القادسية وكان يوم الاثنين
من المحرم سنة اربع عشرة كما قاله سفيان بن عمر النهمي هبت ريح شديدة زفت لخيام
الفرس عن اماكنها والقت سرير رستم الذي هو منصوب له فبادر فركب بغلة وهرب
فادركه المسلمون وقتلوه وقتلوا الى النوس مقدم الطلايع القادسية وانهزمت الفرس
ولحقهم المسلمون في اقفائهم فقتل يومئذ المسلسلون بكمالهم وكانوا ثلاثين الفا
وقتل في المعركة عشرة الآف وقتلوا قبل ذلك قريبا من ذلك وقتل من المسلمين في هذا
اليوم وما قبله من الايام الفان وخمسمائة وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى
دخلوا وراءهم الى مدينة الملك وهي المداين التي فيها ايوان كسرى وقد غنم المسلمون من
وقعة القادسية هذه من الاموال والسلاح ما لا يحد ولا يوصف كثرة فحصلت
الغنائم بعد صرف الاسلاب وخمسمائة وبعث سعد بالخمس والبشارة الى امير المؤمنين
عمر رضي الله عنه وفي رواية ابن اسحق وكان الذي قتل رستم رجل يقال له هلال بن علقمة
التيمي رماه رستم بنشابة فاصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز راسه وان
الذي قتل الجالينوس زهرة بن حوية التيمي وغنم المسلمون شيئا كثيرا اخر جا عن الحد حتى
ان منهم من يقول من قتا بضن بيضا بصفدا وكتب سعد رضي الله عنه الى عمر رضي الله عنه
يخبره بالفتح وبعدة من قتل من المشركين وبعدة من قتل من المسلمين وعادت البلاد التي
يقضوا العهد الى ما كانوا عاهدوا عليه بعد هذه الوقعة وادعوا ان الفرس اجبرهم
على نقض العهود واخذوا منهم الخراج وغير ذلك فصدقوهم في ذلك تالفا لقلوبهم
وقد ذهب ابن اسحق وغيره ان وقعة القادسية كانت في سنة خمس عشرة وزعم
الواقدي انها كانت في سنة ست عشرة واما سيف بن عمر وجماعة فذكروها
في سنة اربع عشرة وفيها ذكرها ابن جرير والله اعلم ذكر بقية ما جرى من
الحوادث في هذه السنة قال ابن جرير والواقدي رحمهما الله وفي سنة اربع عشرة

رضي الله عنهم

جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس على ابي بن كعب في التراويح وذلك شهر رمضان فيما
وكتب الى سائر الامصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان قال ابن جرير وفيها
بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان الى البصرة وامره ان ينزل بها بمن معه من
المسلمين وقطع مادة اهل فارس من الذمة بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني
وروايته قال وزعم سيف ان البصرة انما مصرت في ربيع من سنة ست عشرة وان
عتبة بن غزوان خرج من البصرة الى المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت
وقال ابو مخنف عن مجالد عن الشعبي ان عمر بعث عتبة بن غزوان الى ارض البصرة
في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وضموا اليهم من الاعراب ما كمل معه خمسمائة فنزلها في
ربيع الاول سنة اربع عشرة والبصرة يومئذ تدعى ارض الهند فيها حجارة بيض خشنة
وجعل يرتاد لهم منزلا حتى جاوا حيال الجسر الصغير عند خلنجان وقصب نابت
فنزلوا فركب اليهم صاحب الفرات في ارجة الاف فالتقاه عتبة بعد ما زالت الشمس
وامر اصحابه فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم واسروا صاحب الفرات
قال ابن كثير وقد فتح عقبة الابلة في رجب او شعبان من هذه السنة ولما مات عتبة
بن غزوان في هذه السنة استعمل عمر رضي الله عنه على البصرة المغيرة بن شعبة
ولما رمي بما رمي به عزله وولى عليها ابا موسى الاشعري رضي الله عنهم وفي هذه السنة
ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله في الشراب هو وجماعة معه وفيها ضرب
ابا محجن الثقفي في الشراب ايضا سبع مرات وضرب معه ربيعة بن امية بن
خلف وفيها نزل سعد بن ابي وقاص بالكوفة وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب
قال وكان بمكة عتاب بن اسيد وبالطائف ابو عبيدة والبحرين عثمان بن ابي العاص
وقيل العلاء بن الحضرمي وعلى العراق سعدا وعلى عمان حذيفة بن محصن

ذكر من توفي فيها من المشاهير والاعيان

سعد بن عبادة في قول
والصحيح في التي قبلها ابو زيد الانصاري احد من جمع القرآن الاربعة الذين
حفظوا القرآن من الانصار في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في حديث
انس رواه مالك وهم معاذ بن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت وابو زيد قال ابن الكلبي
واسم ابي زيد هذا قيس بن السكن من قيس بن عمرو ابن حرام بن جندب بن عامر
بن عدي بن النجار شهد بدرا وقال موسى بن عقبة استشهد يوم جسر ابي
عبيد وقيل في هذه السنة وقيل ابو زيد الذي جمع القرآن سعد بن عبيد
وهذا مردود ابو قحافة والد الصديق اسمه عثمان عامر وقد ذكرناه
توفي في محرم وقيل في رجب سنة اربع عشرة بمكة من اربع وتسعين سنة
عثمة بن عمرو ان بن جابر ابن وهب الماني حليف بني عبد شمس صحابي

بدري اسلم قديما بعد سنة وهاجر الى ارض الحبشة وهو اول من اختط البصرة عن امر عمر
كما مر توفي سنة اربع عشرة وقيل سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة وقيل سنة عشرين وقد جاوز الخمسين
وقيل بلغ ستين سنة عمرو بن ام مكتوم الاعمى ويقال اسمه عبد الله صحابي مهاجري هاجر
بعد مصعب بن عمير قبل النبي عليه السلام فكان يقرئ الناس القرآن وقد استخلفه رسول الله صلى الله عليه
على المدينة غير مرة يقال ثلاث عشرة مرة ويشهد القادسية مع سعد زمن عمر فيقال انه
قتل بها شهيدا ويقال بل رجع الى المدينة وتوفي بها المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد
بن ذهل بن شيبان الشيباني في نائب خالد بن الوليد على العراق وقد ذكرناه ذكر ابن الاثير انه
توفي في هذه السنة قال ابن كثير وممن ذكر شيخنا ابو عبد الله الذهبي من المتوفين في هذه
السنة ربيعة بن حارث في قول ابن قانع سعد بن سلامة بن وقش الاشهلي سلمة بن هشام
يوم مرج الصفر وقد كان في سنة اربع عشرة في قول العلاء بن الحضرمي توفي في هذه
السنة في قول وقيل بعدها وسيأتي

فصل في ما وقع من الحوادث في السنة الخامسة عشرة

قال ابن جرير رحمه الله هم قال بعضهم فيها مصر سعد بن ابي وقاص
الكوفة ودلهم عليها ابن نفيلة قال السعداد لك على ارض ارتفعت عن البق وانحدرت عن
الفلاة فدلهم على موضع الكوفة اليوم

ذكر وقعة مرج الروم

قال ابن جرير وفيها
كانت وقعة مرج الروم وذلك انه لما انصرف ابو عبيدة وخالد من وقعة فحل قاصدين
الى حمص حسب ما امر به امير المؤمنين عمر بن الخطاب فسار حتى جاء اولا على بني
الكلاع فبعث هرقل بطريقا يقال له توذو في جيش معه فنزل بمرج دمشق غربيها
وقد هجم الشتاء فبدأ ابو عبيدة بمرج الروم وجاء الروم وجاء امير آخر يقال له
شلشل وعسكر معه كثيف فنازله ابو عبيدة فاشتغلوا به عن توذو فسار توذو
نحو دمشق لينازلها وينزعها من يزيد بن ابي سفيان فاتبعه خالد بن الوليد
وبرز اليه يزيد بن ابي سفيان من دمشق فاقتتلوا وجاء خالد وهم في المعركة فجعل
يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من امامهم حتى انامو هم ولم يفلت منهم الا
الشارد وقتل خالد توذو واخذ وامن الروم اموالا لا تعطى فاقتسموها ورجع يزيد
الى دمشق وانصرف خالد الى ابي عبيدة فوجده قد واقع شلشل بمرج الروم فقتلهم
فيه مقتلة عظيمة وقتل ابو عبيدة شلشل وركبوا اكتافهم الى حمص فنزل عليها يحاصرها

وقعة حمص

لما وصل ابو عبيدة في اتباعه الروم المنهزمين الى حمص نزل
حولها فحاصرها ولحقه خالد الوليد رضي الله عنه فحاصروها حصارا شديدا وذلك
في زمن البرد الشديد وصابر اهل البلد رجاء ان ينصرفوا عنهم شدة البرد وصبر
الصحابة صبرا عظيما بحيث انه ذكر غير واحد ان من الروم من كان يرجع وقد سقطت
رجله وهي في الخف والصحابي ليس في رجله سوى النعال ومع هذا لم ينصب منهم قدم

ولا اصبح ايضا ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار واشار بعض كبراء
حمص عليهم بالمصالحة فابوا عليه ذلك وقالوا انصالح والملك منا قريب ويقال
ان الصحابة كبروا في بعض الايام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تقطرت منها بعض
الحذرات ثم تكبيرة اخرى فسقطت بعض الدور فجاءت عامتهم الى خاصتهم
فقالوا الا تنظرون الى منازلكم بنا وما نحن فيه الا تصالحون القوم عنا قال فصالحوهم
على ما صالحوا عليه اهل دمشق على نصف المنازل وضرب الخراج على الاراضي واخذ
الجزية عن الرقاب بحسب الغنى والفقير وبعث ابو عبيدة بالاخماس والبشارة
الى عمر مع عبد الله بن مسعود وانزل ابو عبيدة بحمص حيث كافيا يكون بها مع
جماعة من الامراء فمنهم بلال والمقداد وقال الواقدي قال ابو عبيدة وهو على
الشام اني عزمت على المسير الى انطاكية وتقصد كلب الروم لعل الله ان يفتح على ايدينا
فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن تبع لك نقاتل اعداءك فسر ابو عبيدة بقولهم
وقال تاهبوا للرحيل فاني سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها قصدنا انطاكية لنرى الله تعالى
ثم امر خالدا ان ياخذ راية العقاب الذي عقدها له ابو بكر الصديق وامره ان يسير امام
الجيش بعسكر الزحف فصار خالد على المقدمة ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عميرة
الطائي والمسيب بن نجية وترك ابو عبيدة على جيش صفوان بن عامر الاسلمي من بني اسلم
وترك عنده خمسمائة فارس وسار ابو عبيدة في اثر المسلمين على طريق بعلبك و
اللبدة فلما وصل الى هناك بعث خالدا الى حمص وقال يا ابا سليمان انهض على بركة
الله وعونه ونازل القوم وشن الغارات على ارض العواصم وقنسرين وانا اسير
الى بعلبك اذا ورد عليه بطريق من جوسية ومعه الهدايا وصالح المسلمين سنة كاملة
وقال ان فتحتم حمص وبعلبك فانا بين ايديكم ولا اخالف لكم قولا فصالحهم ابو عبيدة
على اربعة الاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح بينهم صار ابو عبيدة
يطلب بعلبك وحمص فلما هو الا ان بعد عن اللبدة اذا اتاه اسامة بن زيد الطائي
من المدينة وسلم اليه كتاب عمر بن الخطاب وقراه واذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر الخطاب امير المؤمنين الى امين الامة سلام عليك اما بعد فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه اما بعد فلا راد لقضاء الله وقدره ومن كتب
في اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك ان جبلة بن الايهم الغساني كان قدم علينا
بمن عمه وسادات قومه وانزلتهم واحسنت اليهم واسلموا على يدي وفرحت
بذلك اذ شد الله عضد الاسلام بهم ولم اعلم ما في كمين الغيب فلما يسر نا الى مكنة
شرفها الله تطلع جبلة بالبيت سبقا فوطئ ازاره رجل من بني فزارة

اين العباس

فسقط الازار عن كتفيه فالتفت الى الفزاري وقال يا ويلك اكشفتني في حرم الله فقال الرجل
والله ما تعمدت ذلك فلطم جبلة الفزاري لطمة هشم انفه وكسر ثنايا الاربع فاقبل
الفزاري مشتكيا الى عمر فامرت باحضاره وقلت له ما حملك على ان لطمت وجه اجل
في الاسلام وكسرت ثنايا وهشمت انفه فقال جبلة انه وطئ ازاري فحللت والله لو
لا حرمة البيت لقتلته فقلت له قد اقررت على نفسك اما ان يعفوا عنك واما ان
آخذ لك منه القصاص فقال اقتص مني وانا ملك وهو سوقي فقلت له قد سمعت دانيال
الاسلام فقال يا عمر انظرني الى غد وتقتص مني فقلت للفزاري اتؤخره الى غد
قال نعم فلما كان من الليل ركب في قومه وبني عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية هرقل
وارجو من الله ان تتظفر به فانزل على حمص ولا تبعد عنها فان صالحوا اهلها فصالحهم
وان ابوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على الحذر من العرب المتنصرة
والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته قال الواقدي فلما قرا ابو
عبيدة الكتاب سرا وقراه مرة اخرى جهرا ثم الوى يطلب حمص وكان خالد سبقه
اليها بثلثي الجيش فنزل عليها يوم الجمعة في شهر شوال سنة اربع عشرة من الهجرة
وكان عليها والي بطريق من قبل هرقل وكان اسمه لقيط بن كركر وقد مات يومئذ
نزور خالد الوليد عليها فلما راى اهل حمص نزول المسلمين عليهم اجتمعوا في كنيستهم
المعظمة وقال بطريقهم اعلموا ان صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر وهؤلاء
العرب قد نزلوا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا جوسية
وبعلبك وان انتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك ان يبعث لكم جيشا واليا فان العرب لا يمكنون
احدا من جيوش الملك ان يصل اليكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار وقالوا ايها السيد
فما الذي ترى قال فصالحوا القوم على ما اراد وامنا وقولوا نحن لكم وبين ايديكم ان
فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا للملك
هرقل يمدنا بالجيش العرمرم والرمي اهل بيته ونستوسق لنا من الطعام
والعدة وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رايه وقالوا دبر لنا بحسب تدبيرك
ورايك فبعث البطريق الى ابي عبيدة جاثليقا كان عندهم معظما ليقعد الصلح بينهم
وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى ابي عبيدة وتكلم معه في الصلح فاجابهم
ابو عبيدة الى ذلك وصالح اهل حمص على عشرة الاف دينار ومائتي ثوب من الديباج
وعقد الصلح مع القوم سنة اولها ذو القعدة واخرها شوال سنة اربع عشرة من الهجرة
قال وانبرم الصلح وخرج السوق من حمص الى عسكر المسلمين وباعوا عندهم
واشتروا واوى اهل حمص سماحة العرب في بيعهم وشرايهم وزحوا اقواتا

بعث ابي عبيدة خالدا الى ارض شيزر وارض عواصم

قال الواقدي رحمه الله وان ابا عبيدة دعى خالدا اليه وضم اليه اربعة الآف فارس من لخم وجذام وكنده وكهلان وطي ونبهان وخولان وقال يا ابا سليمان سر بهذه الكتيبة واقصد بها المعرات واقرب من حلب وشن الغارات على بلد عواصم وارجع الي اثرك ونفد عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة او ناصر من قومهم ام لا فاجابه خالد الى ذلك واخذ رايته وتقدم امام الكتيبة وهو يقول ٭ اخذتها والملك العظيم ٭ وانني بحملها زعيم ٭ لانني نجم بني مخزوم ٭ وصاحب لاحمد الكريم ٭ اسير سير الاسد الغشوم ٭ يارب وفق لقتال الروم ٭ وصار خالد الى شيزر فاقام بها يومه على نهر المقلوب ثم دعى بمصعب محارب اليشكري وضم اليه خمسمائة فارس وامره ان يشن الغارة على العواصم وصار خالد الى كفرطاب وعرج عنها الى المعرات لدير سمعان وجعلت خيله تغير يمينا وشمالا على القرى يأخذ الغنايم والاسرى فلما ثقلت ايديهم بالغنايم والاسرى رجع خالد الى ابي عبيدة فلما نظر الى ما معه من الغنايم والاموال فرح فرحا شديدا فبينما ابو عبيدة كذلك اذ سمع ضجة عظيمة قد ارتفعت بالتهليل والتكبير واذا برجل من المسلمين ومعهم سواد عظيم فقال ما هؤلاء يا ابا سليمان قال خالد رضي الله عنه ايها الامير هذا مصعب بن محارب اليشكري عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه من اليمن وانه غار بهم على ارض العواصم وقد اتى بالسواد والاموال والسبي والغنايم فتلقاهم ابو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من الغنم والبقر وبراذين عليها رجال ونساء وصبيان وخلفهم دوي عظيم وبكاء شديد فقصد ابو عبيدة الضجيج واذا بهم اهل الضياع من الاعلاج مقرنين في الحبال وهم يبكون على عيالهم وخراب ضياعهم ونهب اموالهم فقال ابو عبيدة لترجمانه قل لهم ما لكم تبكون ولم لا تدخلون في دين الاسلام وتسطلون الذمام فكنتم قد امنتم على انفسكم واموالكم وعيالكم قالوا نحن اقوام كنا بالبعد وانما كانت الاخبار يتصل بنا وما ظننا انكم تصلون الينا فما شعرنا حتى اشرف هؤلاء القوم وانتهبوا اموالنا واخذوا عيالنا وساقونا في الحبال قال الواقدي وكانت الاعلاج زهاء اربعمائة علج فقال لهم ابو عبيدة فان منا عليكم واطلقنا كم من اسرهم ورددنا عليكم اموالكم هل تكونوا في طاعتنا وتؤدوا الجزية الينا والخراج قالوا ومن اين لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما تشترطه علينا فعند ذلك اقبل ابو عبيدة على رؤس المسلمين وقال لهم ارى ان يكون هؤلاء عبيدا ويقمرون الارض فقالوا الرأي رأيك فعند ذلك فرض على كل راس منهم اربعة دنانير وبذلك كتب اليه عمر بن الخطاب فعند ذلك رد عليهم ابو عبيدة اموالهم واولادهم واقدهم على ضياعهم وكتب اسماءهم واسماء آبائهم وامرهم بالرجوع فرجعوا فلما سمع الروم بذلك وبحسن سيرة العرب اقبلوا الى ابي عبيدة في طلب الامان ويؤدون الجزية فاجابهم الى ذلك وكتب اسماء حصونهم وقراهم وبلغ الخبر الى اهل قنسرين وحاضر ان ابا عبيدة يعطي لمن قصده الامان فارادوا ان ياخذوا الانفسهم امانا من ابي عبيدة واجمعوا على ذلك وان يبعثوا رسولا من غير علم بطريقهم

صلح اهل قنسرين وحاضر

قال الواقدي رضي الله عنه وكان على قنسرين وحاضر بطريق من بطارقة الملك وكان من اهل الشدة والبأس وكان الخافون منه واسمه لوقا وكان يعاند صاحب حلب في مملكته وسلطانه وكان مع كل واحد عشرة الآف فارس الا انهما لا يجتمعان في موضع واحد وكان بهرقل وعدهما ان يبعث اليهما جيشا فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم عليه اهل بلده من الصلح مع ابي عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم ان يملكه بهم فجمع اهل قنسرين اليه وقال يا بني الاصفر وعباد المسيح ما ترون ان نصنع في امر هؤلاء العرب فكانهم قد اقبلوا الينا فيفتحوا بلدنا كما فتحوا سائر البلدان فقالوا ايها السيد بلغنا انهم اهل وفاء وذمة وقد فتحوا اكثر بلاد الشام فمن قاتلهم قتلوه واستعبدوا اولاده واهله ومن دخل في دينهم واطاعتهم اقروه في بلاده وكان آمنا من سطواتهم والرأي عندنا ان نصالح القوم ونكون آمنين على انفسنا منهم قال لهم البطريق لقد اصبتم وانا اعقد الصلح معهم سنة الى ان يوافينا الجيوش من الملك ونعطف عليهم وهم آمنون فنهلكهم عن آخرهم فقالوا له افعل ما رايت واتفق اهل قنسرين والبطريق على الصلح وفي قلوبهم الغدر والمكر فدعى لوقا برجل اسمه اصطخر وكان قسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان بالعربية وقد عرف الدينين دين اليهود ودين النصارى وقال له سر بهذا الكتاب الى امير العرب وقل له يصالحنا على سنة كاملة حتى نبيد القوم بالحيلة والخداع وكتب كتابا الى ابي عبيدة يقول فيه بعد كلمة الكفر اما بعد فان بلدنا بلد مانع كثير العدة والعدد والزاد والماء وما نوتى من قلة ولو انكم اقمتم علينا اربعين سنة ما قدرتم علينا وان الملك قد استنجد عليكم بالرومية من حد الخليج الى رومية الكبرى وانا اصالحكم سنة حتى تفرغ البلاد لمن تحصل واما يريد ان تجعل بيننا وبينكم علامة من حد بلدنا ارض قنسرين والعواصم حتى اذا همت العرب بالغارة ورأت العلامة رجعت ونحن نصالحهم سرا من الملك

والصلاة على البشير النذير

قوله اربعة الآف

قوله الرجل

قوله الغدر

هرقل ليلا يعلم بنا فيقتلنا واللام ثم خلع على اصطخر خلعة سنية واعطاه بغلة
من مركوبه وقشر غلمان فاركبوه اصطخر حتى ورد حمص فوجد ابا عبيدة
يصلي بالناس صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون فلما فرغ قدم اليه القس
فهم بالسجود فمنعه ابو عبيدة من ذلك ثم دفع الكتاب اليه فقراه ابو عبيدة على
المسلمين فقال خالد وحق من ايدنا بالنصر ان هذا الكتاب من رجل لا يريد
الا الغدر ثم كتب ابو عبيدة كتاب موادعة سنة اولها هلال ذي القعدة
من سنة اربع عشرة واخرها شوال من سنة خمس عشرة من الهجرة قال اصطخر ايها الامير
ان بلدنا معروف وبازاءنا حلب ولها حد ونريد ان تجعل لنا فيها بيننا وبين
المسلمين والروم علامة ليلا نجاوزها اصحابك فقال ابو عبيدة ابعث لكم
من يحد ذلك قال اصطخر لا تبعث احدا من اصحابك ونحن نصنع عمودا وننصبه
ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا راه اصحابك لا يتعدونه قال ابو عبيدة افعل
ذلك ودفع الكتاب اليه ونادى ابو عبيدة في المسلمين واصحاب الغارات
من نظر الى العمود فلا يتعداه بل يشن الغارة على ارض حلب وليبلغ الشاهد
الغايب فرجع اصطخر الى بطريق قنسرين ودفع اليه الكتاب واعلمه بما جرى
فعند ذلك عمد فولى عمودا فنصب عليه صورة الملك كانه جالس في ملكه وقال
الواقدي وكان صلح المسلمين لاهل قنسرين والحاضر على اربعة الاف دينار ومائة
اوقية من الفضة والف ثوب من متاع حلب والف وسق من طعام وقيل
اربعمائة وسق من الطعام وقال الواقدي وكانت خيل المسلمين تضرب غاراتها
الى اقصى حلب والعمق وانطاكية ويجيئون عن حد قنسرين والحاضر ولا
يقربون العمود وعن سليمان بن عامر قال كنا في بعض الغارات فنظرنا الى
العمود وعليه صورة هرقل قال فعجبنا منه وجعلنا نحوم حوله ونحن نلعب
بخيولنا ويعلمها الكر والفر وكان بيد ابي جندلة قناة قائمة وقرب به
فرسه من الصورة وهو لا يريد ذلك وهو غير متعمد ففقأ عين الصورة
وكان قوم من الروم من غلمان صاحب قنسرين يحفظونها فرجع بعضهم الى
البطريق وحدثه بذلك فدفع صليبا من الذهب الاحمر الى بعض الغلمان
وضم اليه مائة فارس واعلاج الروم وامر اصطخر ان يسير معهم وقال
ارجع الى امير العرب وقل لهم غدرتم بنا ولم توفوا بذمتكم فسار واحتى
وصلوا الى عبيدة فقالوا له غدرتم ونقضتم قال ابو عبيدة وحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما علمت ذلك وسوف اسأل عن ذلك ثم نادى يا معاشر

العرب

العرب من فقاء عين التمثال فليخبرنا قال ابو جندلة سهيل بن عامر انا صنعت ذلك
من غير تعمد فما الذي يرضيكم منا قال الاعلاج لا نرضى حتى نفقاء عين ملككم يريدون
بذلك ان ينظروا الى وفاء المسلمين فقال ابو عبيدة فها انا اصنعوا بي ما صنع بصورتكم
قالوا لا نرضى الا بملككم الاكبر الذي يلي العرب كلها قال ابو عبيدة ان عين ملكنا امتنع من
ذلك قال فغضب المسلمون اذ ذكروا عين عمر وهموا بقتلهم فنهاهم ابو عبيدة عن ذلك
فقال اصطخر عند ذلك لا نفقاء عينه ولا عين احد منكم ولكن نصور صورة اميركم على عمود
ثم نصنع به مثل الذي صنعتم بصورة ملكنا فاجاب ابو عبيدة الى ذلك لئلا يتحدث القوم
انهم عاهدوا ثم غدروا فاقاموا صورة الروم مثل صورة ابن عبيدة على عمود وجعلوا له
عينين من زجاج واقبل منهم حمق ففقاء عين الصورة بزجه ثم رجع اصطخر الى
صاحب قنسرين فاخبروه بذلك صلح اهل حما ورستن وشيزر قال الواقدي
واقام ابو عبيدة على حمص ينتظر الى خروج السنة ينظر ما يفعل بعهدكم وابطأ خبره على
عمر رض الله عنه اذ لم يرد له كتاب ولا فتح فانكر ذلك من امره وظن بالظنون وحسب انه
داخله خبن وركن الى الكتاب فكتب اليه الكتاب تحرضه على الجهاد فبلغ الكتاب الى
ابي عبيدة فقراه على المسلمين فلما علموا انه يحرضهم على الجهاد قدم ابي عبيدة على ما حالي
عليه اهل قنسرين وقالوا ايها الامير ما الذي يقعدك عن الجهاد فدع قنسرين واقصد
بنا حلب فعزم ابو عبيدة المسير الى حلب وعقد راية لمصعب بن عبد الله وعقد راية
اخرى لسهيل بن عامر وراية لتميم ابن عياض وجعله على مقدمتهم واتبعه خالد بن الوليد وسار
ابو عبيدة على الرستن وصالح اهلها واتى الى حماه فاتى اليه اهلها ومعهم الانجاد
قد رفعه الرهبان على اكفهم والقسيسون امامهم ليطلبوا منه الصلح فصالحهم ابو
عبيدة رض الله عنه وكتب لهم كتاب الصلح والذمام وسالوه ان يدع عندهم رجالا ويسار
حتى ننزل شيزر فاستقبلته اهلها فصالحهم ايضا وقال سمعتم خبرنا للطاغية هرقل
قالوا بلغنا ان بطريق قنسرين كتب اليه يستمده وقد بعثه بجبلة ابن الايهم
الغساني في العرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية في عشرة الاف وانهم قد
نزلوا بعسكرهم على جسر الحديد فلكن منهم على حذر قال فاقام ابو عبيدة بشيزر وهو متحير
فمرة يقول اسير الى حلب ومرة يقول اسير الى انطاكية فجمع المسلمين واخبرهم بذلك
فقال خالد لم اقل ان كلامهم يدل على مكر وخداع فقال ابو عبيدة وما ينفع حيلته
ومكره والله من ورائه بالمرصاد قال الواقدي واقبل ابو عبيدة يوامر نفسه ان
يبدأ بقتال اهل قنسرين اذا فرغ ما بينه وبينهم من الصلح والعهد وقد كان بقي
شهرا او اقل واقام ينتظر انفصال العهد ثم قال خالد اسير الى لقاء جبلة وبطريق

رجل
بي

عمورية وامنعهم من الوصول الى نجدة بطريق قنسرين فقال ابو عبيدة انت لهم والله
يا ابا سليمان ونكل كريهة فخذ من احببت من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد
انا اسير بعشرة رجال من اصحاب رسول الله عليه السلام مقام العشرة الآف ثم قال اين
عياض بن غنيم الاشعري وعمير بن سعيد النخعي وابن سهيل العامري ورافع بن عميرة
الطائي وقيس بن هبيرة وسعيد بن عامر الانصاري وعمرو بن معديكرب الزبيدي
وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وضرار بن الازور والمسيب بن نجبة الفزاري فاجابوا
بالتلبية وقال خذوا على انفسكم واجتمعوا الى بارك الله فيكم قال فتدرع القوم واخذوا
اهبتهم واتوا الى خالد فوجدوه وقد تهيأ وركب جواده ثم قال لغلامه سر امامي حتى
ترى مني عجبا فاسرع همام وسار خالد والقشيري وابو عبيدة رضي الله عنهم يدعون لهم

ذكر مسير خالد مع العشر رضي الله عنهم الى صوب جبلة وبطريق عمورية

فلما سار خالد اقبل على سعيد بن عامر الانصاري فقال سر بنا حتى نكمن في طريق
القوم فاذا اتى البطريق اكدناه ودمرناه ومن معه فسار سعيدا امامهم فجذبهم
السير الى عسكر جبلة وكان سيرهم ليلا فلما قربوا وصلوا الى قرب النيران وسمعوا
الاصوات عدلوا بهم سعيد الى صوب طريق البطريق وكمن خالد هناك بمن معه
الى الصباح فلم يأتهم احد فصلى خالد بهم صلاة الفجر وهم مكمنون فبينما هم كذلك
اذ اشرف جيش جبلة وصاحب عمورية وهم يقصدون ارض العواصم فقال المسلمون
لخالد اما ترى هذا الجيش الذي اشرف علينا في عدد الرمل والمدر فقال خالد وما يكون
من كثرتهم اذا كان النصر لنا اختلطوا بهم وكونوا في جملتهم كانكم من جيشهم الى
ان نلقى البطريق فيفعل الله ما يشاء فاختلطوا بهم وصاروا في جملتهم وهم لا
ينكرون وهم سكوت لا يتطقون يغدون ولا يفترقون قال رافع بن عميرة فلما اشرفنا
ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين واذا ببطريقه قد استقبلنا وقد رفع امامه الصلبان
والقسيسون يقرأون الانجيل بين يديه ودنى بعضهم من بعض وخرج البطريق امام
اصحابه ليأتي الى جبلة وصاحب عمورية ليسلم عليهما فاستقبله خالد مواجها له
واصحاب رسول الله عليه السلام حوله فلما قرب منه قال لهم البطريق سلمكم المسيح وابقاكم
الصليب قال له خالد يا ويلك ما نحن من عباد الصليب وانما نحن من اصحاب محمد عليه السلام
الحبيب الشفيع وكشف خالد لثامه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله انا خالد بن الوليد وضرب بيده عليه وانتزعه من سرجه وابتدر
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا سيوفهم وارتفعت الصيحة واعلن اعداء
الله بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية
اصوات المسلمين بالتهليل والتكبير فانزعجا لذلك ونظروا الى السيوف قد جردت

والصلاة على البشير النذير

والرماح قد اشرعت فابتدروا نحو اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحاطوا بهم من كل
مكان فلما نظر خالد الى ما دهمهم ونزل به وباصحابه والبطريق في يده لا يفارقه وقد ملك
قياده وهو خايف ان يفلت من يديه فهم خالد بقتله ورفع السيف فتبسم البطريق من
فعاله وعجب خالد من ضحكه وقال يا ويلك ما اضحكك قال لانك مقتول انت ومن معك وانت
تريد قتلي فان انت تركتني ابقيت عليك فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح باصحاب رسول الله
كونوا حولي واحموا عني واحموا عني واصبروا على مانزل بنا ولا يكثر كم من احد فوق بكم
فان اشد ما يخافون الموت والقتل وهو امنيتي خالد في سبيل الله واني قد اهديت
نفسي للقتل لعلي ارزق الشهادة واعلموا رحمكم الله كانكم وصلتم الى رب كريم قال الواقدي
فدار واحوله وصار عبد الرحمن بن ابي بكر عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده
همام من ورائه والقوم محدقون حوله قال فسل خالد البطريق الى همام وقال له اوثقه
الى جانبك ولا تبرح من مكانك قال واقبلت نحوهم العرب المستقرة من غسان تقدمهم
جبلة وفي عنقه طوق من ذهب فيه صليب من الجوهر وعليه ثياب الديباج المثقل
من فوقها درع مذهب وصاحب عمورية الى جانبه كانه برج من حديد مشيد
ومن حوله المدججة من الاعلاج وقد احدق بهم الجيش فلما عاين البطريق خالدا
وقد ملك صاحب قنسرين وهو في يده اسير خاف ان يعجل عليه خالد بالقتل فاقبل على
جبلة وقال ما هؤلاء العرب الا شياطين اما تنظر الى هذا العربي ومن معه وهم
عشر نفر وقد احدق بهم هذا الجيش العظيم وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم
اسير ما خلونه من ايديهم واني خايف عليه ان يقتلوه فاخرج الى هذا العربي
وقل له يبقي على صاحبنا ويرسله الينا حتى يجود عليه بنفسه ومن معه فاذا
اطلقوا صاحبنا ملنا عليهم وقتلناهم عن اخرهم قال رافع بن عميرة ونحن في
وسطهم كخلفة في وسط فلاة واذا بجبلة ينادي من انتم من اصحاب محمد المعدنان
ام من العرب التابعين فقال خالد نحن اصحاب محمد اصحاب القبلة والاسلام المحتوم
على كلمة واحدة وهي لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع جبلة ذلك غضب غضبا
شديدا وقال يا فتى انت امير هؤلاء القوم قال خالد انا المعروف بكبش بني مخزوم
انا خالد بن الوليد وهذا الذي عن يميني عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وهذا الذي عن
يساري رافع بن عميرة الطائي وانما اخذت من قبيلة شجعانها المعروفة وابطالها
الموصوفة وما انت عندنا في القتال الا طير وقع عليها صايدها فالقى القانص
شبكته عليها فما افلت منها الا النجيب فزاد غضبا من كلامه وقال ستعلم يا بن بنين
مخزوم ان كلامك علينا مشوم اذا ادارت بكما الاسنة ودارت عليكما الاعنة وبقاك

وبالرماح

وبقا اصحابك بسبب هذا الامير الذي بيني يديك فانه معظم عند الملك وقريب منه
في النسب فاطلقه من يدك فقال خالد رضي الله عنه اما اسيري فما اتركه من يدي
او اقتله وما ابالي ما يصنع بي بعد فانتم جمعكم كثير ونحن اثنى عشر رجلا وقد
احدقت بنا اعنة خيلكم فان اردتم النصفة فابرزوا الي واحدا بعد واحد وهذا
اسيركم رهن معنا فان قتلتمونا فاليكم يصير وان ظفرنا بكم فان النصر من عند الله
يؤتيه من يشاء فنكس جبلة رأسه واقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد
فطمطم البطريق واظهر الغضب وسل سيفه من غمده ونظر اليه خالد فعلم انه
غضب وانه يريد القتال فنكس جبلة ووافقه وقال هؤلاء بنو الاصفر قد
رضوا منكم بالمبارزة فمن احب منكم البراز فاليبرز فهم خالد بالبراز فمنعه عبد
الرحمن وقال يا ابا سليمان وحق رسول الله لا تبرز وانا هو لاء عني وابذل
المجهود فيهم فلعلي الحق بابي فتركه خالد وما يريد فخرج عبد الرحمن الى بكر رضي الله عنهما
على جواد كان لعمر بن الخطاب فجال بين القوم والعرب ودعى بالبراز فقال دونكم
يا بني الاصفر فاني ابن الصديق فانتدب وهو يقول ابو عتيقة ذو المعالي
والشرف الفاضل والكمالي وابي عتيق الصادق المقال
قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمس فوارس من شجعان الروم فما كان بحول عبد الرحمن
على احد منهم حولة حتى يصرعه قتيلا فقتل الخمسة وهم بالحملة في قلب عسكر
الروم واذا بجبلة بن الايهم قد خرج اليه وقد اشتد به الغضب فالتقيا وتحاربا
وجعلا يتقارعان حتى كل عبد الرحمن عن حمل قناته فدحى بها عن يده وجرد
سيفه وتقاربا فزعق عبد الرحمن بجبلة وضربه وحمل جبلة بسيفه على
عبد الرحمن والتقيا بضربتين فسابقه عبد الرحمن بالضربة اخذها جبلة
بسيفه على عبد الرحمن والتقى بجفنته فقطع الدرقة ووصل السيف الى البيضة
وعاطف جبلة بضربة فقطع ما كان عليه من الدرع ووصل الضربة الى منكبه
فجرحت فلما احس عبد الرحمن بالضربة تبت نفسه واورث ان الضربة
لم تصل اليه وتهقر جواده حتى لحق بخالد والمسلمين فلما راى المسلمون ما لحقه
اخذوه عن فرسه وشدوا جراحه ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا
العلج فقدمه اليه فارمى برأسه ونظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد
فاجمعوا وعزموا على الحملة فقال خالد يا همام قف بازاء عبد الرحمن وامنع
عنه من اراده ثم قال يا اصحاب رسول الله لا يخرج احد منكم عن صاحبه
وكونوا من حولي فما اشرع النصر من الله فوقفوا من حول خالد وما فيهم

الا من ايس من نفسه وحملت الروم على المسلمين وعظم بينهم القتال قال رافع بن
عميرة فلما رايت ما صاروا فيه من القتال قلت يا ابا سليمان نزل النصار بنا ما قال صدقت والله ما انى عمر لاني نسيت التلفس
المباركة التي ولم اصبحها معي حال فعظم عليهم الامر واطنبهم الانبهار والقوم من اشد العمال
او ناداهم منادي يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمان قال الواقدي عن الخضر عن ابيه قال
سمعنا من عمال شيوخنا ابو عبيدة من معشر به بعض اللمالي اذا به قد خرج من المعترك وهو يصيح
يا معشر المسلمين النصر النصر فتداعط بنو سان المسلمين قال فاسرعنا اليه من كل جانب وقلنا
يا ابا الامير قال كنت الى جنبك اذ طرقني رسول الله عليه السلام وزجرني وقال لي يا ابن
الجراح اقتام عن نصر القوم الكرام قم والحق خالدا فقد احاط به اللئام قال الراوي فلما سمع
المسلمون مقالة عبيدة تبادروا الى السلاح وركبوا عراتهم وبقيت عشر يريدون خالدا وهم
معه صيحا ابو عبيدة في المقدمة اذ نظر الى فارس يسير امام القوم فامر رجالا يتبعونه
فكلموا عن ادراكه فناداه ابو عبيدة على رسلك ايها الفارس المجد رحمك الله فوقف فلما قرب
منه ابو عبيدة فاذا هي امهم زوجة خالد فقال لها ما الذي حملك على السير قبلنا ايام تهم
يا ابنة العم الامير اني سمعتك تصيح ان خالدا قد احاط به الاعداء فعلمت في نفسي ان
خالدا لا يذل ابدا ومعه ذوابة المصطفى فنطرت بجاه التلفسوه فيها خالد فاخذها
واسرعت بها اليه فقال ابو عبيدة فقد اتيت بامر تهم سيري على بركة الله قالت ام تهم
فلما كنت في جماعة من نسوة منزوح حتى اشرفنا على الغبرة والقتال والاسنة تلوح
في القتام قال رافع بن عميرة فسمعت من قدامنا من فارسا او سمعت الهلهلة والتكبير
فعلمت قد اتانا الفرج من السماء فلم البث الا هنيهة حتى اذا بجيش المسلمين
بعسكر الكافرين ووضعوا فيهم السيوف من كل جانب وعلت الاصوات وقال مصعب
بن مارب فرأيت عبدة الصليب كانهم فارس ورايت خالدا قد اتانا منشرقا الى الاصوات
من بين هن فاذا بفارس قد خرج من القتام وهو يهتز الروم تهتزا هي ازاح من كان
هول فاسرع خالد اليه فقال من انت قالت انا امهم زوجتك اتيتك بالبلسم المبارك
هذا اليك فاخذها وجعلها على راسه وحمل المسلمون فما كان عمر بعد الا ولوا الادبار
وكان جبلة اول منهزم والمشركون في اثره فما اجتمعت راية ابي عبيدة وسلم بعضهم
على بعض ثم قال ابو عبيدة ايها الناس قد رأيت من الراي ان نسير من فورنا هذا الى
قيسرية وحاصر مال المسلمون نعم الراي فما انتهى بالمال المسلمين وعلمهم في المقدمة
مع عدد من معهم الى ان اشرفوا على قيسرية وحاصروها وشنوا الغارة وسبوا الذراري
والاموال فلما نظر اهل قيسرية الى حسن اعتقاد العرب ومدينتهم واذعنوا بالطاعة واداء
الجزية فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح واودع السور ما ارادوا طلب

اهل قنسرين الصلح اجابهم ابو عبيدة على ان يخرجوا المدينة فخرجت وكانت قنسرين كرسي الملك المنسوب الى اليوم الى حلب وكان حلب مرجع اهل قنسرين فتح بعلبك قال الواقدي لما بعث ابو عبيدة
رضي الله عنه
بالخمس الى عمر بن الخطاب بعد الصلح باهل قنسرين قال للمسلمين اشيروا علي برايكم هل نسير الى حلب وانطاكية او نرجع الى ورائنا فقال المسلمون وكيف نسير الى حلب وانطاكية ونشتغل بقتال هرقل وجيوشه وهذه ايام الصلح الذي بيننا وبين شيزر وحماه والرستن وحمص قد انقضت ولا شك انهم قد اخذوا الة الحصار وقووا حالهم ولا سيما بعلبك فرجعوا فوجدوا البلاد محصنة كما قالوا فلما نظر ابو عبيدة الى ذلك ندب خالدا على حماه وتوجه الى بعلبك فلما قرب منها نظر الى قافلة عظيمة تريد بعلبك فاخذها عن اخرها وقد كان هرب قوم من القافلة فاخبروا اهل بعلبك باخبارهم وكان على بعلبك بطريق عظيم اسمه هربيس فقال له بعض البطارقة ما انت صانع قال اقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فاشاروا عليه بالطريق ان لا يفعل فان اهل البلاد الكبار اذا غنوا اليهم بالصلح فلما راهم ابو عبيدة معولين على الحرب رتب الحاله مواكبا وكتائب ثم كتب كتابا الى اهل بعلبك بانكم ان دخلتم فيما دخل فيه غيركم من الصلح والامان صالحناكم والا الحرب والقتال بيننا وبينكم فبعثه على يد معاهدي فبلغه الى هربيس فلما قراه قال لقومه اشيروا علي برايكم قال له البطريق الراي ان لا تقاتلهم ومتى صالحناهم كنا في امن وخصب قال هربيس لا رحم المسيح فما رايت من الروم اجبن منكم وافترق اهل بعلبك فرقتين فاتى المعاهدي واخبر ابا عبيدة بما وقع وان اكبر القوم قد عزموا على القتال فقال ابو عبيدة شدوا عليهم وانصب لهربيس سرير على برج وقد لبس لامته واصيب من المسلمين اثنى عشر رجلا ومن الروم خلق كثير وانصرف المسلمون الى رحالهم ومالهم هم في طعام ولا شراب سوى الاصطلاء بالنار من شدة القر وباتوا ليلتهم الى الصباح فاذا منادي ابي عبيدة عزيمة من الامير ان لا يخرج احد من رحله حتى يطعم الامير طعاما حارا قال وصاح هربيس بالروم اخرجوا اليهم فلم يشعر المسلمون بشيء الا والابواب قد فتحت والرجال قد خرجت كالجراد المنتشر وان بعض المسلمين قد مد يده الى الطعام واذا منادي ينادي يا خيل الله اركبوا النفير النفير وان ابا عبيدة نصب رايته والناس يهرعون اليها وهو ينادي الي الي يا فتيان العرب اليوم اليوم فنظر ابو عبيدة الى شدة صبر الروم على المسلمين فحمل على الخيل حملة واختلط بالروم وكان في جملة خيله عمرو بن مصعب كرب وعبد الرحمن بن ابي بكر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور وذو الكلاع الحميري ولقد ابلوا بلاء حسنا فلما نظر المسلمون الى ذلك من فعالهم رجعوا الى معسكرهم واضرموا نيرانهم ورقدوا من استشهد منهم فلما اقبل الليل اجتمع رؤساء المسلمين

اي متقاتلين

اي ذمتي

رضي الله عنهم

الى

الى ابي عبيدة وقالوا له ما الذي عزمت عليه قال ترى ان نبعد ونخيا عليكم عن المدينة مقدار شوط فرس ويكون ذلك مجالا لخيولكم والنصر من عند الله ثم دعى ابو عبيدة بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه وعقد له راية وامده على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وامرهم ان يهبطوا الى الوادي ويقاتلوا على الاثباج ويشغلوهم عن المسلمين ثم دعى بضرار بن الازور وعقد له راية وامده على ثلثمائة فارس ومائة راجل وسرحه الى باب الشرقي واصبح المسلمون وقت الاياب الاكبر الذي نحو ابي عبيدة بن الجراح وخرج منه خلق كثير ودخلهم الطمع لغيرة المسلمين في امتعتهم فبينما هم في سلة الحرب اذ هتف بهم هاتف خذوا الكافرين ونصرتم يا حملة القرآن جاركم الفرج من الرحمن فالتفتوا ينظرون ما الخبر واذا هم بالمسلمين حالوا بينهم وبين المدينة وظنوا ان المسلمين قد اتاهم مدد فلما نظر صاحبهم الى تبلبلهم زعق بهم وقال يا ويلكم لا ترجعون الى المدينة فقد حيل بينكم وبينها وان هذا من مكايد العرب وكان سعيد وضرار قد اقبلا بثمانمائة فارس من يمين الحصن فجعل المسلمون يتبعون اثارهم حتى ظفروا الى الجبل والتجأ الروم الى ضيعة في الجبل حصينة وكان الذي تبعهم وصعد الجبل خلفهم سعيد بن زيد في خمسمائة فارس فلما تخصن البطريق بها قال لسعيد هذه طائفة قد اراد الله هلاكها حاصروهم ولا تدعوا احدا يطلع برأسه الى ان يلحق بكم المسلمون واخذ معه عشرين فارسا الى ان لحق بعسكر المسلمين فلما نظر ابو عبيدة اليه ومعه عشرون فارسا قال انا لله وانا اليه راجعون ذهب المسلمون فاقبل عليه وقال يا سعيد اين رجالك قال ابشر ايها الامير فانهم بخير وسلامة قد الجاوا اعداء الله الى ضيعة واخبره بالحديث فبينما هو يحدثه فاذا برجل من المسلمين ينحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير ادركوا اخوانكم المسلمين فقد احاط بهم الروم فلما سمع ابو عبيدة ذلك صاح بالرماة فاجابوه فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له الحق اصحابك ثم دعى بضرار وقال له اسعد اخاك فذهبوا حتى علوا قمة الجبل واشرفوا على الروم وهم قد احدقوا بالمسلمين وقد صرع من المسلمين سبعون رجلا بين قتيل وجريح فلما اشرف هؤلاء على الروم تراجعوا على اعقابهم منهزمين وكثر القتل فيهم وبلغ الخبر ابا عبيدة وفرح بذلك وعند ذلك رجع المسلمون الى مواضعهم التي كانوا نزلوا بها اول مرة وضربوا خيامهم واقام ابو عبيدة الى سعيد بن زيد لا تفسح لاهل الضيعة فيكون لكن حصل في يديه شيء فاضاعه فلما نظر البطريق الى ذلك من شدة الحصار قال لاصحابه قد اسانا تدبيرنا في حبسنا انفسنا في جيش ليس له طعام ولا شراب وان طال بنا الامر

سل

سلّمنا انفسنا كارهين فقال بطارقته فما الرأى الذى ترى قال رايت ان اخدع
العرب واحتال عليهم واسالهم الصلح لنا ولاهل المدينة واضمن لهم ان افتح
لهم المدينة ويكونون فى ذمامهم فاذا دخلوا المدينة حاربناهم ولعلنا ان نرسل
الى صاحب عين الجن يساعدنا على ما نريد فلما سمعوا
كلامه اجابوه الى ما اراد فلما اصبح علا على جدار الضيعة وقال يا معاشر
العرب هل فيكم من يعرف كلامى فان هرقيس البطريق صاحب بعلبك قد لى
منه الترجمان فقال هل لنا امان فبلغ ذلك ابا عبيدة فامنه ثم حضر بين
يدى ابى عبيدة فقال اصالح عن اهل المدينة على الف اوقية من الذهب والف
اوقية من الفضة والف ثوب من الديباج وقال ابو عبيدة نصالحكم على ضعفى
ما ذكرت وزيادة خمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح اصحابكم الذين
فى الضيعة وانكم بعد خلك لا تحملون سلاحا ولا تحدثون كنيسة ولا ديرا فقال
البطريق كل ذلك علينا الا انى اشترط عليك وعلى اصحابك شرطا قال ابو عبيدة
وما هو قال لا يدخل الينا من قبلكم احد وتترك صاحبك الذى تخلفه علينا خارج
المدينة واصحابه فيكون لهم الحمى وتدعنى انا داخل المدينة من قبلك للاصلاح
بين الناس والنظر فى امورهم قال ابو عبيدة لكم ذلك وتم الصلح على ذلك قال
سهل بن صالح فجاء المال بعد اثنى عشر يوما فلما تمت الاموال والثياب والسلاح
قال البطريق انظر من تخلف علينا من اصحابك واشرط عليه ان لا يجور علينا
ولا يطالبنا بما لا نطيق قال فدعى ابو عبيدة برافع بن عهد الله السهمى فقال له
انى استعملتك على هذه المدينة وضم اليه خمسمائة فارس من بنى عمه وعشيرته
واربعمائة فارس من المسلمين واوصاه بتقوى الله فلما هم بالرحيل فاذا اتاه عين
الجن قد اتاه يطلب الصلح على بلده فصالحه على نصف ما صالح عليه اهل بعلبك
وولى عليهم سالم بن دويب السلمى ورحل يطلب حمصا ذكر صلح اهل
حمص ثانيا قال الواقدى رحمه الله وسار ابو عبيدة حتى نزل حمصا
وقال اللهم علم علينا بفتحها واخذل من فيها من المشركين ونزل ابو عبيدة على
النهر فلما استقر به الجلوس كتب الى اهل حمص كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من ابى عبيدة عامر بن الجراح عامل امير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام وقايد
جيشه اما بعد فان الله عز وجل قد فتح اكثر بلادكم على ايدينا فلا تغرنكم عظم
مدينتكم وكثرة زادكم فما هى عندنا عند الا كنصيب تجارة فى وسط معسكرنا
وانا ادعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا وشريعة جاء بها نبينا محمد عليه السلام فان

اجبتم كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وارتحلنا عنكم وخلفنا عليكم رجالا يعلمونكم امر ديننا وان ابيتم
الاسلام اقررناكم على اداء الجزية او الحرب بيننا وبينكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ثم طوى
الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وقال له انطلق بهذا الكتاب الى اهل حمص وائتنى بالجواب
فاخذه وسار حتى انتهى اليهم فكتب البطريق يا معاشر العرب لا بد لنا من الحرب والقتال فجاء المفا هدي
بذلك الى ابى عبيدة فغراه على المسلمين وعولوا على الحرب فقسم ابو عبيدة عسكر المسلمين على اربع
فرق فبعث جرأمع المسيب برجية فنزل على باب الجابر وبعث اخر مع شرحبيل بن حسنة وبعث اخر مع الزبير
وبعث اخر مع يزيد بن ابى سفيان واقام ابو عبيدة وخالد على باب الرستن وزحف المسلمون اليهم من كل
مكان واقاموا يومهم فى القتال فلما كان من غد جمع خالد الوليد كل عبد كان فى العسكر وامرهم
بالزحف الى السور وكانوا زهاء على اربعة آلاف عبد قال واشرف عليهم البطريق الملعون وقد
دار به عظماء بطارقته فصلبوا على وجوههم وقالوا ما ظننا ان العرب بهذه الصفة واذا هم
سودان كلهم فقال بعض من لقيهم بأجنادين بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب
فبعث البطريق كتابا الى ابى عبيدة مكتوب فيه يا معاشر العرب انا قد تبينا سفه رايكم
اذ وجهتم علينا العبيد للقتال فنحن صبيحة هذه الليلة نخرج اليكم والله ننصر من يأتى فلما قرأ
ابو عبيدة الكتاب استشار المسلمين فى ذلك فقالوا الرأى عندنا ان تكتب اليهم ولا تسألهم
ان يميزونا بالزاد الكثير وتضمن لهم انكم ترحل عنهم الى ان يفتح الله عليكم غير مدينتهم
ثم ترجع اليهم وقد نفد زادهم وتفرقوا فى نواديهم فتشنها غارة عليهم قال ابو عبيدة اصبتم
الرأى فكتب بذلك اليهم فلما قراه البطريق فرح بذلك واحضر الاقسة وفتح لهم باب البلد فخرجوا
واقبلوا الى ابى عبيدة واخذوا منه العهد انه يرحل عنهم وتم الصلح على ذلك وسار ابو عبيدة بنفى الله ء
حتى نزل على الرستن فتح الرستن قال الواقدى فلما نزل ابو عبيدة على الرستن ابى كثير
فراه حصنا منيعا وماؤه غزير وهو مشحون بالرجال فبعث اليهم رسولا يأمرهم بالصلح فابوا صابون
عليه وقالوا لا نفعل ذلك حتى نرى ما يؤول اليه امركم مع الملك فقال لهم ابو عبيدة فانا متوجهون الى
الملك ومعنا رجال قد اثقلتنا نريد ان نودعها عندكم الى وقت رجوعنا فقالوا الى بطريق يقع
وكان اسمه لقيطا فاخبروه بذلك وقالوا ما زالت الملوك يودع بعضها بعضا وان ملك العرب وما
يودع عندك وديعة يضرك ذلك فبعث الى ابى عبيدة يقول ما هما كانت لك حاجة فحن الى قضائها
اسرع قال الواقدى روى عن ثابت علقمة قال كنت فيمن حضر عند ابى عبيدة وذلك انه
دعى باهل الرأى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اعلموا ان هذا حصن منيع
ليس لنا فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة فاريد ان اجعل منكم عشرون رجلا فى عشرين
صندوق ويكون الاقفال من عندكم فاذا صرتم فى المدينة فثوروا على اسم الله فانكم تنصرون
على ذلك فيكون الاقفال ظاهرة واسفل الصناديق اثنى عشر ذكر فاذا دخل القوم فى البلد

فليخرجوا بدًا واحدًا وكبروا فان النصر مع التكبير مقرون فاستحسن ابو عبيدة رأي
خالد واخذ صناديق الطعام ونقص اسفلها وجعلها ذكرا في اثنى فاول من دخلها
ضرار بن الازور والمسيب بن نجبة وذو الكلاع الحميري والاصبغ سلمة وعمرو بن معدي
كرب والمرقال بن هاشم وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن ابي بكر ومالك الاشتر وعون
بن سالم وحابر بن كلكل الفزاري ومازن بن عامر وربيعة بن عامر وعكرمة بن ابي جهل
وعتبة بن العاص وعبد الله بن جعفر الطيار رضي الله عنهم جعلهُ ابو عبيدة اميرًا
عليهم فلما حصلت الصناديق في الرستن القاها لقيط في قصر امارته وارتحل
ابو عبيدة حتى نزل بقرية يقال لها السويدة فلما اظلم الليل بعث خالدًا الجيش الزحف
يشرف على الرستن واذا بالصياح قد علا داخل الرستن وذلك ان الصحابة لما
تركهم لقيط في دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته ليصلوا صلاة الشكر وارتفعت اصواتهم بقراءة الانجيل وسمع اصواتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرجوا من الصناديق وشدوا على انفسهم واسلحتهم وقبضوا على امراة
لقيط وقالوا نريد مفاتيح البلد فلما حصلت في ايديهم ثاروا بالتهليل والتكبير والصلاة
وكبسوا على باب بيعتهم فلم يخرج منهم احد لانهم دون عدة وبعث عبد الله بن
جعفر ربيعة بن عامر وثلاثة اخرى وسلم اليهم المفاتيح وقال لهم افتحوا الباب
وارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم حول البلد مكمنون وعلى مقدمتهم
خالد بن الوليد رضي الله عنه فتعلوا ذكر فلما فتحوا الباب كبروا واجابوهم بالتكبير
ودخلوا المدينة وسمع اهل الرستن اصوات اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعلموا انهم قد قبضتهم فاستسلموا وقالوا الامان تلكم ونحن الآن اسراؤكم فاعدلوا
فينا فانتم احب الينا من قومنا فعرض خالد عليهم الاسلام فاسلم منهم قوم وبقي
الاكثر على دينهم يؤدون الجزية واما لقيط فانه قال لا اريد بديني بدلا فقال له
خالد اخرج باهلك عنا فاخرجه وتوجه الى حمص باهله واعلم اهل حمص بفتح الرستن
وصعب عليهم ذلك وعلموا ان العرب تصبحهم بالغارة ووصل الخبر الى ابي عبيدة
بفتح الرستن فسجد شكرا لله وبعث اليهم الف رجل وامرهم بحفظ الرستن
واوصاهم عليه وامر عليهم هلال بن عامر اليشكري فلما استقروا في الرستن
لحق خالد وعبد الله واصحابه بالعسكر الى ابي عبيدة ثم توجهوا الى حماه وهي في
صلح المسلمين كما ذكرنا ولذلك اهل شيزر

صلح اهل شيزر ثانيا

كان اهل شيزر في صلح المسلمين كما ذكرنا الا ان بطريقهم مات وبعث اليهم
هرقل بطريقا جبارا اسمه نكس فنسخ الصلح واذاق اهل شيزر شرا فلما

على البشير النذير

بلغ ابا عبيدة خبرهم بعث خيلا امامه الى شيزر فغارت الخيل على بلدهم ووقعت الصيحة
فسمع البطريق نكس صيحتهم فنزل اليهم من قلعته وقال لهم يا اهل شيزر تعلمون ان
الملك الرحيم استعلى عليكم لحفظ مدينتكم ثم فتح خزانه سلاحه وفرقها عليهم وامرهم بالحرب والقتال
فسما القوم كراكي اذا اشرف عليهم طلائع الوليد في وجوه الصحابة فنزلوا بازائهم فعاينهم العسكر
وكتب ابو عبيدة الى اهل شيزر بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد يا اهل شيزر فان حصنكم ليس هو
احصن ولا امنع من حصن حلب ولا من الرستن ولا رجالكم اشجع من رجال حمص فادوا قراتم كاي ما دخلوا
في طاعتي والا فانتم تعلمون ما بيني وبينكم والا بعثت برجل من المجاهدين فلما قرأه نكس قال ما تقولون
يا اهل شيزر قالوا صدقت العرب قال حصننا ليس بامنع من البلاد التي اخذوها فستبعهم
نكس وامر عليهم بطرسهم ثم قال في نفسه اني اخاف ان يغدروا باهل شيزر ويفتحوا الابواب
للعرب ويسلموا البلد فعالجهم بمال ابو عبيدة فدمع الله على ايديكم هذه المدينة ايسر
منح ومدخرج اهل حمص الا ان من ذخيلهم فارجعوا اليهم فاستوثق العرب على من في حيزهم
وقالوا بالمسير ذكر نزول المسلمين على شيزر والوقعة الثالثة قال الواقدي ولما هموا
بالمسير اذ لاحت لهم عير من طريق انطاكية فاشرعت الخيل نحوها واخذوا بقيتهم
عظيم ومعه مائة يردون ومن حولها مائة على حفظونها ولم يكن للقس علم بنزول المسلمين
على شيزر قال فزعق بهم خالد وكبر المسلمون واحدقوا بهم واستاقوا البراذين واخذوا
القس والعلوج اسرى وساقوا الجميع الى ابي عبيدة فوجدوه على نهر المقلوب واوقفوا
القس بين يديه واستخبروه عن الملك فاخبرهم ان جميع الروم والروسية و
الصقالبة والافرنج والارمن قد اجابوا الملك وهم عازمون عليه فعظم على ابي عبيدة رضي الله عنه
ذلك ثم عرض على القس الاسلام فقال القس للترجمان قل للامير البارحة رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد السلمت على يديه ثم عرض الاسلام على العلوج فابوا فضرب
اعناقهم وسار متوجها نحو حمص فما شعر اهل حمص الا والخيل قد اغارت عليهم
فارتجع القوم الى المدينة وغلقوا ابوابها وقالوا اغدرت العرب ونزل المسلمون
حول حمص ودارابها وصعب ذلك على صاحب حمص وكتب كتابا الى ابي عبيدة يقول
فيه اما بعد يا معشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر وانتم صالحتمونا على المبرة فقال
ابو عبيدة انا لم نغدر ولم ننكث الم تعلموا اني عاهدتكم على اني ننصرف عنكم حتى افتح
مدينة من مدائن الشام ثم يكون الراي لي ان احببت رجعت لكم او صرت الى غيركم
قالوا بلى قال قد فتح الله لنا شيزر والرستن فاهون شيء والآن فلا عهد لكم
عندنا الان تشتتم فغوا وتصالحوا قال الفيسيون صدقتم ليس عليكم لوم
والخطا كان منا اذ لم نستوثق ودعى ابو عبيدة بالرجال وقال خذوا اهبة الحرب

الى يوم

فان القوم بلا زاد ولا مدد يأتيهم من طاعتهم فاستعينوا بالله وتوكلوا عليه
قال فدنوا من الابواب واجتمع اهل حمص الى بطريقهم فقالوا ما عندكم من الرأى
قال الرائى عندى ان نقاتلهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا فما ترى قال لهم البطريق
عندى جب طعام يقوتكم مدة طويلة ثم فتح خزانة كانت عنده فيها طعام كثير وقسمها
عليهم وفرق عليهم الدروع وجميع الآلة والعدد وباتوا بقية ليلتهم يتهللون بكلام
قال فلما اصبح فتحت ابواب حمص وخرج القوم فى عديدهم والتقى الجمعان واختلط
الفريقان الا ان المسلمين تراجعوا القهقرى وقد فشا فيهم القتل والجراح فلما نظر
امين الامة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وصاح يا بنى العرب ليات الرجعة
بارك الله فيكم فهذا يوم لم ما بعده قال فتراجع المسلمون وحملوا على اهل حمص حملة
منكرة ووضعوا السيوف فيهم وتبادرت الروم حتى فشا فيهم القتل فجثت
العلوج على الركب واستتروا بالطوارق وافزعوا جعبات النشاب فلما نظر
خالد الى ذلك برز باللواء وهو كان صاحبه يوم حمص وهو ينادى فى اصحابه شدوا
بارك الله فيكم فانها غنيمة الدنيا والاخرة قال ابو عبيدة لله در ك يا ابا سليمان فلقد
جاهدت فى الله حق جهاده فلما نظر المدقار بن هاشم الى ذلك صاح ببنى زهرة
وحمل على الروم فى ميمنتهم وحمل فى ميسرتهم بنو مسروق العبسى وحمل من
بعدهم عكرمة بن ابى جهل وجعل يجز الروم جزا ويهدهم هبرا وقد غاص فى
المشركين فقصده بطريق حمص فرماه بحربة فى صدره فاخذ صريعا فلما نظر
خالد الى ذلك اقبل حتى وقف عليه وبكى ولم يزل المسلمين فى اهوال الحرب حتى
هجم الليل فانصرف المسلمون الى رحالهم وباتوا ليلتهم فلما اجتمعوا استشار
ابو عبيدة خالدا فقال انى رأيت ان نتكشف عن القوم ونطاردهم ونذلهم سوادنا
وابلغنا فاذا تناءوا عن البلد كمنا منهم واسرعنا الكرة عليهم فقال نعم الرأى ما رأيت
وتواعد المسلمون على هذا الرأى فلما اصبح صباح تلك الليلة والتقى الجمعان انهزم
المسلمون امامهم ما كان بينهم فتبعهم بطريق حمص فى خيله وهم الف فارس وكان
بحمص قس عظيم قد احكمه التجارب فاشرف على السور ونظر الى العرب وقد تركوا
سوادهم فجعل يصيح وينادى وحق المسيح انها لخديعة ومكيدة من العرب وان العرب
لا تسلم اولادها واهلها ولو قتلت عن بكرة ابيها فنادى ابو عبيدة الرجعة يا معشر
العرب بارك الله فيكم فلما سمعوا صوته عطفوا على الروم كالسهام الراشقة حتى
احاطوا بالبطريق من كل جانب وابتدر خالد ونادى يا على صوته رحم الله عبدا
جرد سيفه وقوى عزمه وقال اعدائه وكان معاذ بن جبل قد انفرد فى خمسمائة

فارس

فارس الى السواد فانقض على الروم فما شعر العلوج الا والطعن قد اخذهم فقتل من
قتل من الروم وانفلت من انفلت فلما نظرت الروم الى ذلك عظم عليهم الامر ولما وضعت
الحرب اوزارها اخذ المسلمين الاسلاب والدروع ووقع الصياح بحمص واجتمع
الرجال والمشائخ الى بيعتهم وعزموا ان يسلموا حمص الى المسلمين فخرج اهل دينهم
وصالحوهم على تسليم المدينة اليهم وان يكونوا تحت ذمتهم فقال ابو عبيدة انتم تحت ذمتنا
ولكن لست ادخل مدينتكم حتى تكون بيننا وبين ملك الروم قالوا وافتقدوا من استشهد
من الصحابة فوجدوا قد استشهد ماية وخمسة وثلثون رجلا قال الواقدى رحمه الله
واتصلت الاخبار بهرقل ان المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد اخذوا
الهدية التى بعثها لبطريق حمص فجمع الجموع وحبش الجيوش حتى كان اولهم
عنده واخرهم باليرموك وقعة اليرموك اعلم ان سيف بن عمر ذكر وقعة
اليرموك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة قبل فتح دمشق وتبعه على ذلك ابو جعفر
بن جرير وقال محمد اسحق كانت فى رجب سنة خمس عشرة ونقل ابن عساكر عن ابى
عبيد والوليد وابن لهيعة والليث وابى معشر انها كانت فى سنة خمس عشرة
بعد فتح دمشق وقال ابن الكلبى كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين
من رجب سنة خمس عشرة وقال ابن عساكر وهذا هو المحفوظ وما قاله سيف من انها
قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه وقصته على ما ذكره الواقدى رحمه الله
ان ابا عبيدة بلغه ان جيوش الروم قد وصلت الى اليرموك فجمع المسلمون فقال
ابن عساكر ان عساكر الروم قد وصلت الى اليرموك فما تشيرون رحمكم الله فقال
خالد بن الوليد نسير اليهم بجمعنا ونلقاهم وانتصر من عند الله قال فتوجهوا
نحو اليرموك فوافوا جيشا عظيما قد ملأ الارض طولا وعرضا وكان كبيرهم
ماهان الارمنى فى تسعمائة الف غير العرب المتنصرة فى ستين الفا فنزل المسلمون
بازائهم وكانوا خمسة واربعين الفا وقيل ستة وثلاثين الفا وقيل قريب من
اربعين الفا قال وان ماهان قال لجبلة بن الايهم ان هؤلاء عرب وانتم عرب
ولا يقطع الحديد الا الحديد فاخرج بجيشك وكن اول من يبارز قال فخرج
جبلة فى ستين الفا من غسان وغيرهم وطلبوا البراز فقال ابو عبيدة
لخالد يا ابا سليمان ان جبلة قد برز بقومه فقال خالد ايها الامير نلقاهم
فى عشرين من ابطال المسلمين فقال ابو عبيدة اذا كان ولا بد ان تكون
لكل الف واحد فقال والله ايها الامير لو تركتنى لبرزت اليهم وحدى
فقال ابو عبيدة والله يا ابا سليمان انك لكفؤ كريم ثم قال خالد ابن رافع

ابن بعيد

اليرموك بلد فى ارض الشام وهى اليوم خراب

بن عُميرة الطائي ابن المنذر بن نجبة الفزاري ابن ذو الكلاع الحميري ابن عبد الرحمن
بن ابي بكر ابن ضرار بن الازور فما زالوا يدعو واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا اليهم وكان
فيهم خولة اخت ضرار فكملوا ستون رجلا مستعدين وسلّموا على اولادهم وكان
اول من خرج من القوم الى القتال خالد بن الوليد ونادى يا عبدة الاصنام هلمّوا الى
الحرب والطعان فصاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة الحملة فحملت الستون الفا
على الستين رجلا من الصحابة واشتعلت الحرب بينهم نارا فكبّر المسلمون والروم
يقول ان اهلك جبلة هؤلاء فهلاك العرب حاصل فلما حمي القتال نزل خالد
عن جواده والفضل بن عباس ولم يزالوا بومهم في الحرب اجمع الى ان جنحت الشمس
للغروب واذا بالجيش المنتصرة منهزم واصوات المسلمين قد ارتفعت يقول
لا آله الا الله محمد رسول الله وافتقد خالد المسلمين فلم ير منهم الا عشرين رجلا
فجعل يقول لنفسه اهلكت المسلمين ما يكون عذرك عند رب العالمين قال له
ابو عبيدة ما بالك يا ابا سليمان فقال فقدت اربعين رجلا منهم الفضل بن العباس
فاسترجع ابو عبيدة وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال لسلامة
بن الاحوص دونك والمعركة فان رايتهم والا فالقوم في الاسر فافتقدوا المعركة
واذا قد قتل من المنتصرة خمسة آلاف فقال ابو عبيدة يوشك ان بقية الصحابة
يتتبعون المشركين فقام خالد واتبع اثار القوم وتبعه اناس من المسلمين
فسار وا غير بعيد اذ سمع التهليل والتكبير فاجابهم خالد بمثله فاقبل القوم
اليه فلما اجتمع بهم خالد واذا هم بخمسة وعشرين رجلا فقال لهم ما كان من
امركم فقالوا هزم الله المشركين وكانوا اسروا منا رجالا فرجونا ان نخلصهم
فلم ندرهم ولا شك انهم قتلوا قال خالد ان القوم في الاسر لا محالة قال له الزبير من
اين علمت ذلك قال لانا لم نجد في الموضع الذي كانت فيه الوقعة الا عشرين رجلا
وهم عشرون وانتم خمسة وعشرون وقد اسر خمسة لا محالة فمن كان قتل
كان اجره على الله ومن اسر كان خلاصه على يد الله تعالى قال ورجع
جبلة الى ماهان وقال ايها الملك انا لم نزل منصورين عليهم حتى اقبل الظلام
وكان صارخا يصرخ بنا فتبددنا فقال ماهان فوحق الصليب لاحملن
عليهم غدا بخيلي ورجلي واجعلهم رميما وبات ابو عبيدة وقد اجمع على ملاقاة
الروم وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعرفه بما جرى وان الله هزم المشركين
المشركين وقتل من اصحابنا عشرة واسر منهم خمسة وهم رافع بن عميرة و
ربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمير ويزيد بن ابي سفيان وحسن علي

نية اللقاء لنصر الله تعالى فبعثه بعبد الله بن قرط فلما قراه عمر رضي الله عنه قال انا لله
وانا اليه راجعون فبكوا على رضي الله عنه هذه الوقعة التي ذكرها رسول الله صلى
وهي التي يبقى ذكرها الى الابد ثم قال علي لعمر اكتب لعامل ابي عبيدة واعلمه ان
نصرة الله خير له من معونتنا فكتب عمر جوابه فقال وكانكم بالامداد وقد نخصت
نحوكم وان كان مدد الله خيرا لكم فالعدو بمن معكم وناس بمن صرع بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجزوا عن عدوهم في موطن من المواطن حتى قتلوا
في سبيل الله وجاهدوا في الله حق جهاده فبلغ به عبد الله بن قرط الى ابي عبيدة على اليد
فلما قراوه طابت قلوبهم وقالوا امامنا الامير يطلب الشهادة والله يبلغنا اياها

ذكر خلاص ضرار واصحابه من الاسر

قال الواقدي رحمه الله لما اسر
الخمسة المذكورة اعتم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكرهم وكثر هم غما خالد بن
الوليد رضي الله عنه ثم انهم احضروا بين يدي ماهان لعنه الله فازدراهم واستحقرهم
فقال جبلة هؤلاء قوم الجيوش وما بقي في عسكرهم من يخاف منه الا رجل واحد وهو
الذي فتح البلاد اسمه خالد بن الوليد فقال ماهان لا بد لي ان احتال عليه حتى اجعله
عندي واقتله مع هؤلاء الخمسة ثم دعى برجل من الروم اسمه جرجر وكان حكيما
فصيحا بلسان العرب فقال له تمضي الى هؤلاء العرب وقل لهم يبعثون الينا رسولا
وليكن هذا خال ابن الوليد فسار نحو المسلمين فقال الملك ماهان يطلب رجلا منكم
لعل الله يحقن دمائنا ودمائكم فقال خالد ان اسيرين اسيران انا اسير بنفسي فقال
ابو عبيدة امض سلمك الله قال خالد المستعان بالله فلبس خفين حجازيين و
واعتم بعمامة سوداء واصحبه ابو عبيدة مائة فارس من المهاجرين والانصار
كل واحد منهم يلقى جيشا وسار واحتى اشرفوا على عسكر الروم فاستقبلهم
جبلة فقال من انتم فقيل له خالد بن الوليد يريد ماهان فقال قفوا حتى اشافه
لكم على الملك فدخل عليه وقال له قد اقبل صاحب العرب ومعه مائة فارس من
اصحابه فقال ماهان انما اردنا خالدا وحده فرجع جبلة واخبر خالدا بقول
ماهان فقال خالد قل له ان خالدا لا يدخل الا بهم فاني لا استغني عن مشورتهم
فرجع جبلة واخبر ماهان بقول خالد فقال ائذن لهم فاذا قربوا
من مضربي انزلهم واخلع سيوفهم فمضى جبلة وامرهم بالمسير فدخل
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه الترجمان قد وصلتم الى سرادق
الملك فانزلوا حيث لكم وضعوا سيوفكم فقال خالد لا نترل ولكن سيوفنا عزنا

وما كان كنا بالذي نخلع عزنا فقال ماهان دعوهم يدخلون كيف شاءوا فدخلوا الحروب
حمايل سيوفهم وطرحت لهم كراسي فلم يجلسوا عليها وجلسوا على الارض فقال ماهان تأبون
الكرامة فقال خالد ان الارض بساط الله وهي اطهر من فرشكم فقال ماهان اني اكره ان ابدأكم
بالكلام فقال خالد تكلم بما تريد ولكل كلام جواب فقال ماهان الحمد لله الذي جعل سيدنا
المسيح افضل الانبياء قال فقطع خالد كلامه وقال الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم
وبجميع الانبياء فاصفد وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذي ابتلانا واحسن
البلاء وعافانا من الفقر وقد كان طائفة منكم يا معاشر العرب تغشونا تلمسون نائلنا
وكنا نظن ان العرب تعرف لذا ذكرنا فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجال فظننا انكم
جئتمونا تطلبوننا بما طلب اخوانكم فاذا انتم بخلاف اخوانكم جئتم تقتلون الرجال وتسبون
النسوان وتغنمون الاموال فاخرجوا من بلادنا فان ابيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم
عزمة واحدة فردد ناكم كالامس الدابر وان جنحتم الى الطلح امرنا لكل رجل منكم بماية
دينار ولاميركم ابي عبيدة بالف دينار ولخليفتكم بعشرة الاف دينار على انكم تخلفون لنا
ان لا تعودوا والحرب بيننا قال الراوي ثم قال ماهان لقد اعجبني عقلك وبصيرتك ولقد احببت
ان اواخيك فقال خالد وافرحاه ان تم الله مقالتك فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاذا فعلت ذلك كنت اخي قال
ماهان اما ما دعوتني اليه من التوكل ديني والدخول في دينك فما اليه سبيل قال خالد ولذلك ايضا
لا سبيل لي الى اموالك وانت مقيم على دينك ثم قال له اني ادعوك الى عبادة رب العالمين
ولا تعبد من دونه صنما ولا تتخذ من دونه وليا ولا تجعل له صاحبة ولا ولدا ولا شريك
له ولا ضد له ولا ند له ولا تاخذه سنة ولا نوم فمن اقر بذلك واتبعنا كان اخانا وصار
له مالنا وعليه ما علينا ومن ابى الاسلام فالجزية يؤديها عن يد فحقن بها دمه
وماله وولده ومن ابى الاسلام والجزية فالسيف حكم بيننا وبينكم حتى يحكم الله بحكمه
وهو خير الحاكمين وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
قال ماهان افعل ما تشاء فان لا نرجع عن ديننا ولا نؤدي الجزية واما ما ذكرت ان
الارض لله يورثها من يشاء فقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم فقد
قتلناهم عليها حتى ملكناها والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله فقال خالد
والله ما انتم باشد منا في الحرب وكاني بجيوشكم قد انهزمت وتساقت في
حفيرا ذليلا والحبل في عنقك وتقدم بين يدي عمر فيضرب عنقك فلما سمع ماهان
ذلك غضب غضبا شديدا ولما نظرت الحجاب والبطارقة والهرقلية والقياصرة
الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا انهم ينتظرون امر الملك ثم قال ماهان

لقد كنت

لقد كنت اكلمك وفي قلبي لك رحمة وقد صار بمكان ذلك غضبت فوحق المسيح لاحضرن
اصحابك الخمسة الاسرى واضرب اعناقهم فقال خالد ان هؤلاء منا هم القتل ونحن
مثلهم فوحق صاحب الدعوة المجابة لين قتلتهم لاقتلنك بسيفي هذا ويقتل كل
رجل من اصحابي هؤلاء اعدادا من قومك ثم وثب خالد من موضعه وامتشق
سيفه من غمده وفعل اصحابه كذلك وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله فنادى
ماهان مهلا يا خالد ولا تعجل فتهلك وانا اعلم انك رسول والرسول لا يجب عليه
القتل فما اوآخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال حتى يعطي الله النصر
لمن يشاء فلما سمع خالد ذلك اغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع في امر هؤلاء
الاسرى قال اطلقهم كرامة لك فامر بتخليتهم فاطلقوهم ففرح خالد بذلك ثم انثنى
خالد راجعا من عند ماهان واصحابه من حوله وامر ماهان حجابه ان يسيروا معهم
الى مأمنهم ووصل خالد واصحابه الى ابي عبيدة فاخبره خالد بكل ما جرى ثم قال
خالد وحق صاحب المنبر والروضة ان كان اطلق لنا ماهان اصحابنا الا خوفا
من سيوفنا قال ابو عبيدة هذا رجل حليم الا ان الشيطان غلبت عليه فعلى ما افترت
خالد على ان نلتقي معهم ويعطي الله النصر لمن يشاء

ذكر الواقعة الثانية

قال الواقدي لما سمع ابو عبيدة ذلك امرهم بالاهبة واخذ العدة
فلما اصبحوا وصلوا اركبوا خيولهم لقتال عدوهم وعبوا صفوفهم فجعل في الميمنة
معاذ بن جبل وفي الميسرة قتادة بن الاشيم الكناني وجعل خالدا على الخيل والرجالة
فلم تطلع الشمس الا وقد فرغ من ترتيب العساكر واما ماهان الارمني
فانه امد الروم بالزينة والاهبة للحرب فتعلموا ذلك الا ان المسلمين كانوا اسرع
في التعبية فلما اصطفت الصفوف واذا بطريق من بطارقة الروم قد برز
عظيم الخلقة عليه درع مذهب ولامة مليحة وفي عنقه صليب من الذهب مرصع
بالجوهر وتحته فرس اشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير
الملك فلما برز جعل يطمطم بكلامه بصوت كانه الرعد ينعى المسلمون انه يطلب
البراز فوقف المسلمون كلهم عن الخروج اليه فصاح خالد فقال مالكم متاخرون عن هذا
الغلام الاعلف فان لم تخرجوا والا خرج خالد وهز بالخروج واذا بفارس قد خرج على
برذون اشهب وقصد نحو البطريق فلم يعرفوه من هو فقال خالد لعبده
همام انظر الى هذا من هو ومن اين العرب هو فنضى همام يهتف به وقد قرب
من البطريق من انت يا هذا قال انا رومانوس صاحب بصرى فلما علم به خالد رضي
الله عنه

أي ارزه

عباءه

ابي براق

اي انصرف

قتم

قال اللهم بارك فيه وزد في ايمانه فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال له البطريق وقد عرفه
يا رماس كيف تركت دينك وصرت الى هولاء قال رماس هذا الدين الذي دخلت فيه حق
ثم حمل عليه وحمل البطريق عليه وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان منهما
فوجد العلج من رماس غفلة فضربه ضربة صعبة اسال بها دمه فلما احس رماس
بالضربة اتى براجاز المسلمين واتبعه العلج لا يقصر عن طلبه حتى دنى رماس من المسلمين
والدم على وجهه فاخذ حماة المسلمين وسنحوا واجرحوا وشكروه على فعله قال ولما رجع
رماس منهزما اعجب العلج بنفسه وطمطم بكلامه وطلب البراز فقام اليه مسيرة
بن مسروق فقال له خالد انته شيخ كبير وهذا العلج شديد بأس فاتاخرتم هم عامر
بن الطفيل فقال له خالد انت غلام حدث لا تقوى عليه فوق مكانه قال والعلج في ذلك
يدعو الى البراز فاقبل الى خالد الحارث بن عبد الله الازدي فقال انا اخرج اليه فقال خالد
لعمري ان فيك لجسارة وقوة شديدة فاخرج فاخذ الازر اهبته وهم ان يخرج وبرز فقال
له خالد على رسلك يا عبد الله حتى اسالك قال سل قال هل بارزت احدا قبله قال لا
قال فارجع فانك غر بالحرب وهذا فارس قد جرب الحرب وعرف مصادرها وما احب
ان تخرج اليه الا برجل مثله فخرج قيس بن هبيرة فقال له خالد اكفك له فلما قرب
من البطريق ونظر اليه البطريق علم انه فارس شديد فحاكما فتحاملا فاذا دنه
قيس وضربه على هامته فاتقاها البطريق بالجفة وضرب العلج قيس هبيرة على حبل عاتقه
فقبت الضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج عليه نفسه يريد اسره وهو جبار من
الجبابرة وكان قيس قد عود نفسه الصيام وقيام الليل وكان جسمه نحيلا فلما نظر
قيس الى العلج قد ظهر عليه انجذب عن يده وتبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمر له
مكرا الا ان سيف قيس قد خرج من يده فثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ
سيفا ويعود الى القتال وصاح العلج في اثره وسعى في طلبه فقصر قيس عن مسيره
وقال في نفسه يا قيس لا فرار من الموت وعطف عليه وليس في يده سيف بل اخذ خنجرا كان
في وسطه فقال خالد من يأخذ هذا السيف ويدفعه الى قيس فقال عبد الرحمن الى بكر
آل له يا ابا سليمان فاخذ السيف ولحق بقيس واراد ان يناوله فلما نظرت الروم الى ذلك
ظنوا انه يعاونه على صاحبهم فحمل اليه بطريق ووقف باز آيه ودفع عبد الرحمن
السيف الى قيس ووقف معه ولم يرجع حيث راى ذلك وجعل العلج الخارج يتكلم
بكلام عظيم لم يفهم فقال ترجمان الروم يا معاشر العرب ما راينا من النصفة ان
تخرج اثنان منكم الى واحد منا فقال عبد الرحمن انما خرجت اعطي صاحبي سيفي

وارجع ولكن لو خرج منكم مائة لواحد منا كبر علينا وها انتم ثلاثة وان واحدا وانا لكم كفوء
فاخبر الترجمان صاحباه بذلك ثم ذهب حمل عبد الرحمن على العلج الذي كان يكلمه فطعنه
في نحره اخرج سنان رمحه من قفاه فوقع فنجدلا فنظر العلج الى صاحبهما منجدلا
فحمل على عبد الرحمن وقصد اليه فحمل عبد الرحمن على احدهما فطعنه برمحي فاشتبك سنان
الرمح في درعه فرمى رمحه وضربه بسيفه فطرحه نصفين ونظر الثالث الى عبد الرحمن
بقي حائرا متعجبا من فعله فلما نظر قيس الى البطريق وهو متحير تبين له فيه الغفلة
فحمل عليه وضربه ضربة هيثم هامته وسقط الى الارض صريعا والخبر ما هان
بفعالهم فقال لقومه ان الملك هرقل كان ابصر بهولاء منا ووحق المسيح لقد اعلم ان
لكم امرا قد نصر هولاء عليكم به فان لم تطحنوهم بكسركم والا فما تقوم لكم قايمة ثم اتاه
بطريق فساره في اذنه فقال ايها الملك القوم لاشك منصورون لاني رايت البارحة في منامي
كان رجلا انزل من السماء الى الارض وهو على دواب شهب وبلق وعليهم كامل السلاح
واحدقوا بهولاء العرب ونحن قيام بازايهم لا نخرج من عسكرنا احد الا قتلوه حتى
اتوا على اكثرنا قال فكسر بهذا الكلام قلب ماهان فلم يرد جوابا ثم ان ماهان امر عشرة
من الصفوف ان يحملوا على المسلمين وحمل المسلمون عليهم والتفت الرجال بالرجال ولم يزل
الحرب بينهم من ارتفاع الشمس في كبد السماء حتى همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان
حتى فرق الليل بين الفريقين فقتل من الروم من قتل ومن المسلمين عشرة رجال
رجلان من حضرموت حازن وقاجم وثلاثة من غسان رافع ومحلي وخازم وواحد
من الانصار وهو عبد الرحمن وثلاثة من بجيلة واحد من مراد يقال انه كان ابن اخا
قيس هبيرة فحزن عليه قيس حين فقده ولم يره فعلم انه مقتول

قيس بالنار

قال فعند ذلك خرج قيس ومعه قبس من نار ومعه رجال من قومه حتى
اتوا موضع المعركة واقبلوا يفتشونه فلم يروه فلما هم قيس بالرجوع اذ نظر الى نار قد
اقبلت من جانب الروم يريد مكان الوقعة يطلبون بطريقا لهم وكان معظما عندهم
فقال قيس هبيرة اخمدوا ناركم فوالله لآخذن بثار ابن اخي من هولاء القوم قال
فاخمدوا نيرانهم وانبطحوا بالارض بين القتلى وتاهبوا للروم واذا هم نحو المائة على خيولهم
في آلة وعدة وكان مع قيس من قومه سبعة نفر قالوا يا قيس القوم مائة ونحن سبعة
وقد مسنا التعب قال قيس ارجعوا انتم على اعقابكم فاني اطلب الموت لا اريد غيره
او آخذ بالثار فوقفوا معه وقفة الكرام وانقلب الاعلاج يريدون القتلى الى ان وقعوا
بالعلج البطريق وهو الذي كان قد قتل قيس هبيرة فلما رآه ولى ابر يدون عسكرهم
صاح بهم قيس من ورائهم وتابعه اصحابه فرموا البطريق عن اكتافهم ودخلوا من

من الصحيح واتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس
اذا ضرب فيهم سيفه يقول هذا عن ابن اخي هذا عن ثاره فقتل بيده من القوم ستة عشر
رجلا وقتل اصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد يطلب ابن
اخيه نحو عسكر الروم فسمع انينا فاقبل نحوه فاذا هو ابن اخيه سويد بن بهرام بن هبيرة
فلما نظر اليه عرفه فبكى وقال ما بالك يا ابن اخي قال يا عماه اني تبعت الروم فطعن الي واخذ مني
فطعنني طعنة في صدري اخرج السنان من ظهري وانا اعالج امراعظيما وهو لا حور
العين ينتظرون خروج روحي فحملني الى عسكر المسلمين واتى اليه ابو عبيدة فقال كيف
تجدك فابخير وغفران جزى الله محمدا عنا خيرا فلقد صدقنا في قوله قال والغلام
يخاطب ابا عبيدة اذ مات رحمه الله

ذكر الوقعة الثالثة

قال الواقدي
واما ماهان الارمني فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه بطارقة الروم والرهبان والقسيسون
وقدم له طعام ومد سماطه فلم ياكل منه شيئا ما وقع في نفسه من الرؤيا التي راها البطريق
واخبره بها فكان ماهان يود لو ادى الجزية وصالح المسلمين ولكنه كان مغلوبا عليه
وعلى رايه قال واجتمع الملوك الاربعة اليه وهم قفاطر وجرجير والدرجان وقورين
وهم اصحاب الجيش يستشيرونه في الحرب ولكن يكون الحرب بيننا وبينهم في الاسبوع
خمسة ايام ونستريح يومين ونرجو ان الامر بيننا وبينهم في يوم واحد او يومين
فاستصوب ماهان هذا الراي ثم ان المسلمين لما اصبحوا عبوا صفوفهم ونظروا
واذا ليس للروم انزعاج في عسكرهم فعلموا ان لهم امرا فقال ابو عبيدة دعوهم ولا
تبغوا فان الباغي مخذول قال الراوي واقام ماهان سبعة ايام اخرى بعد الوقعة
الاولى لم يقاتلوا المسلمين فبعث ابو عبيدة برجل من عيونه ينظرون ما الذي اخر القوم
عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد فاخبره ان ماهان قد كاتب
الملك وهو منتظر للجواب فقال خالد ايها الامير والله ما تاخر ماهان عن القتال
الا وقد حصل فزع ما في قلبه فازحف بنا عليهم فقال ابو عبيدة لا تعجل فالعجلة
من الشيطان ثم ان ماهان جمع الملوك والبطارقة اليه وجعل يعقد لهم الرايات
والصلبان حتى عقد مائة وستين صليبا تحت كل صليب عشرة الاف فارس فكان
اول صليب عقده للقفاطر وكان نظيره في المرتبة وامره ان يكون في ميمنته
ثم عقد للدرجان وضم اليه السكسكية والالان وجعله على ميسرته ثم عقد لجرجير
وضم اليه الارمن والدرشية والصقالبة والنجدة ثم عقد لقورين ابن اخت الملك
عقدا على الافرنج والبرقلية والقياصرة والبرغلر والدوقس ثم عقد لجبلة بن
ايهم الغساني عقدا وضم اليه العرب المتنصرة من عاملة ولخم وجذام وغسان

وامره ان يكون في المقدمة وقال انتم عرب واعداؤنا عرب والحديد لا يقطع الا بالحديد
ثم فرق الاعلام في جنبات عسكره وكانوا ثلاثين صفا لا يرى اولها من اخرها ثم امر
بمضربه فضرب له على كثيب عال على جانب اليرموك يشرف منه على عسكر الروم
وعسكر المسلمين واوقف عن يمينه الف فارس سابغ السلاح والف عن يساره عليهم
الديباج الاحمر المنسوج بالذهب لا يرى منهم الا الحدق وهم الملكية اصحاب السرير
وقال اني اكد على العرب بهذه الافعال لانكم على تعبية وهم غافلون فاذا طلعت
الشمس ورايتم المسلمين على غير اهبة فاحملوا عليهم من كل مكان ومن كل جانب فهم
في عسكرنا الا كالشامة البيضاء في جنب البعير الاسود وكذلك المسلمون عنهم غافلون
وكان ذلك بالليل فلما انشق الصبح اذن المؤذنون وقام ابو عبيدة فصلى بالناس وهو العلم
بمكيد العرب فقرا في اول ركعة والفجر وليال عشر حتى اذا قرا ان ربك لبالمرصاد هتف
بهم هاتف وهم في الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة وما بقي لكيدهم شيء
وما اجرى الله هذه الاية على لسان احد منكم الا بشارة لكم فعجب المسلمون من الهاتف وقراء
ابو عبيدة في الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله فالهمها فجورها وتقواها
واذا الهاتف يقول مثل المقدار الاول فلما فرغوا قال ابو عبيدة هل سمعتم الهاتف قالوا نعم
سمعنا قائلا لا يقول كذا وكذا قال ابو عبيدة رضي الله عنه هذا والله هاتف النصر ابشروا
بنصر الله فبينما هم في ذلك اذ اتاهم اصوات وزعاق قد ارتفعت من كل جانب فظن ابو عبيدة
ان المسلمين قد كبسوا في وجه السحر فقام وكان على حرس المسلمين في تلك الليلة سعيد بن زيد
اذا اقبل وهو ينادي النفير النفير ومعه رجل من المتنصرة فقال ايها الامين ان ماهان
اكاد المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبى عسكره وصف جيوشه وزحف الينا يريد
الكبسة علينا ونحن غير اهبة ونظر المسلمون الى رايات الروم تقدمهم والصلبان
تدنو قال ابو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم نادى ايها ابو سليمان فاجابه
بالتلبية فقال ابرز انت في ابطال المسلمين وصد عن الحريم الى ان ياخذ الرجال صفوفها
فصاح خالد بن هشام بن المغيرة ابن الزبير بن العوام ابن عبد الرحمن بن ابي بكر ابن الفضل
ابن عباس ابن يزيد بن ابي سفيان ابن ربيعة بن عامر ابن ميسرة بن مشروق ابن ميسرة
بن قيس ابن صخر بن حرب الامور ابن عمارة الدوسي ابن المقداد بن الاسود الكندي ابن
ابو ذر الغفاري ابن عمرو بن معدي كرب الزبيدي ابن ضرار بن الازور ابن عامر بن الطفيل
ابن ابان بن عثمان بن عفان وجعل خالد رضي الله عنهم يدعو برجل بعد رجل من اصحاب
النبي عليه السلام ممن شهد معه المواطن المضيعة حتى دعى بخمسمائة رجل كل واحد منهم
حبس نفسه في سبيل الله واستقبلوا جيوش الروم باسنة رماحهم واشتعل الحرب نارا

واشتغل ابو عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية العسكر فاقبل ابو سفيان الى ابى عبيدة وقال
ايها الامير مر النساء ان يعلون هذا التل قال نعم الراى فامرهن على التل وحضن انفسهن
ومعهن الاطفال والبناث فقال لهن ابو عبيدة خذن بايديكن اعمدة البيوت
والفسطاط واجعلن الحجارة بايديكن وحرضن المومنين على القتال فان رايتن احدا من المسلمين
منهزما فاضربن وجهه بالاعمدة واحصبنه بالحجارة وارفعن اليه اولاده وقلن له فارجع
عنهم لاوعن بيضة الاسلام فقلن حبنا وكرامة ايها الامير ثم جعل ابو عبيدة عسكره ثلاثة
صفوف صف فيه النبالة من اهل اليمن وصف فيه اصحاب السيوف والحجف وصف فيه
الرماحة اصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق فجعلها فى الثلاثة صفوف
واستعمل عليهم ثلاثة من فرسان المسلمين احدهم عتاب بن حرملة العامرى والاخر سيف
ابن سلمة بن سيف اليربوعى والثالث النعمان بن عمرو التميمى تحت رايتهم ووقف
ابو عبيدة تحت الراية التى عقدها له ابو بكر الصديق رضى الله عنه يوم سيره الى الشام
وهى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التى سار بها لخيبر ومع خالد رايه
العقاب وكانت سوداء وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى جناح اليمنة يزيد
بن ابى سفيان وعلى الجناح الميسرة بن قيس بن هبيرة وقدم اصحاب الرايات
وجعل المهاجرين والانصار فى القلب فلما تبينت الصفوف سار ابو عبيدة بينهم وجعل
يحرضهم ويذكرهم ويضربهم ووقفت النساء مستعدات وهن مرتجلات باشعارهن
ولم تغن مكيدة ما مان شيا ورجعت الروم الى ورايها حين راوا خالدا رحف اليهم فى
الخمسمايه فارس فحاروا لذلك ورجعوا هرج ما مان وقال ما يوقفكم عن قتالكم
ارجعوا اليهم فزحفوا على المسلمين ونظر خالد الى جيش عظيم عرمرم وسيوف تلمع وكان
قد انفرد منهم ثلاثون الفا من عظمائهم وحفروا الهم فى اليمنة حفايرو نزلوا فيها
وشدوا ارجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة فى سلسلة انما سالحفيظة وان
لا يفروا وحلفوا بعيسى بن مريم والصليب الاعظم والقسيسين والرهبان
والكنايس الاربع ان لا يرجعوا او يقتلوا فلما راى خالد ذلك قال لابى عبيدة
هذا يوم عظيم وقدم ما مان امام الروم حين عرفت براعته واشتهرت شجاعته
مايه الف فلما نظر خالد اليهم شهد لهم انهم من اهل الشدة ثم قال لابى عبيدة
الراى ان تقف انت وراء المسلمين لانهم اذا علموا انك من ورايهم استحيوا من
الله ومنك فلا ينهزمون فاستصوب رايه ثم ان ابا عبيدة اشتغل بالدعاء فبينما
هو فى الدعاء اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين حملة واحدة فصبر لهم المسلمون وقاتلوهم
قتالا شديدا وتبلوا ابتلاء حسنا فحملت عليهم كتيبة ما بين فصبر لهم صبرا جميلا

تحلت

فحملت عليهم كتيبة ما بين فنزل المسلمون عن اليمنة وانكشفت طايفة من الناس الى
العسكر فسبت الطايفة ثباتا حسنا وقاتلوهم بحسن رايهم وانكشفت زبيد
وميذ ومن فى اليمنة فابتدرهم عمرو بن معدى كرب وهو المقدم على زبيد ومن
يعطف لمافيه من الشجاعة وكان يوم اليرموك ابن مايه وعشرين سنة فصاح
يا ال زبيد تفرون من الاعداء فما هذا الانخداع فركلاب الاعلاج فلما سمعوا كلامه
سيدهم اجتمعوا حوله ومعهم زهاء على خمسمايه رجل وشدوا على الروم شدة واحدة
وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا على الروم حملة صعبة فازالوا الروم
عن موضعهم وحملت دوس على المشركين مع ابى هريرة وهزراينه وجعل يحرض
قومه على القتال فحملوا على الروم وداروا الحرب كما تدور الرحا وتكافت جميع الروم
على ميمنة المسلمين فالجاؤهم الى القلب وصبرلهم المسلمون صبرا جميلا ودفعت اليهم كتيبة
اخرى فانهزمت المسلمون راجعة على اعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين ذرى الاسد
وتطرت النسوان خيول المسلمين منهزمة فنادين يا بنات العربيات دونكن الرجال
فردينهم عن الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب واقبل النسوة يرتجزن وجوه الدواب بالمجان ويقلن
لبعولتهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعونا عن الاعلاج وخونة امامهن يترجزن ويقلن

نحن بنات طارق ... نمشى على النمارق
والمسك فى المفارق ... مشى القطا الموافق
ان تقبلوا نعانق ... او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

فرجعت المنهزمون رجعة واحدة عظيمة عند ما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند بنت
عتبة وبيدها مزهر وخلفها نساء من المهاجرات وهى تقول الشعر الذى قالته يوم احد وهو

نحن بنات طارق ... نمشى على النمارق
والمسك فى المفارق ... مشى القطا الموافق
ان تقبلوا نعانق ... او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

كان مزكوم عاشق يحمى عن العواتق ... وكل عاشق واتق يمت على المعاشق

قال الزبير من العوام فلما سمعت كلام هند لابى سفين ذكرت يوم احد وبحسن
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف ابو سفين عند ما سمع كلامها وعطف المسلمون
معه ونظرت الى النساء قد حملن معهم ولقد رايتهن بسايقن الرجال وهن بين الرجل
الخيل ولقد رايت امراة منهن تقبل الى العلج العظيم وهو على فرسه فتتعلق به فلا تفارقه
حتى تنكسه عن جواده ثم تقتله وسوقهن بيان نصر الله للمسلمين قال الزبير فحمل
المسلمون حملة صعبة ودوس قاتلت مع ابى هريرة قتالا شديدا حتى مشى بهم العلل فاصيب
منهم طوق كبير لانهم لقوا الصدمة الاولى بانفسهم فاستشهد منهم فالم يستشهد من غيرهم

من القبايل قال فنظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من
الخيل ومال عليهم في زماء على ستة الاف فارس وحمل على الروم وكبر فانكفاء فيهم فكانت عليهم
حتى كشف اعداء الله عن الميمنة والقلب ورد هم على اعقابهم فزحف حتى رد الميمنة
والقلب الى مواضعهما ووقف خالد بطارقة فمن كان من الروم قريبا من المسلمين فانكسرت
الروم امام خالد كسرة عظيمة واما المتسلسلة فانهزموا من مكانهم وكانوا يرمون
بالشباب ومن حماة القوم قال عبد الله وكان خالد امامنا في حملته وكنت مردافه
وكان شعارنا يومئذ محمدنا منصور امت امت فلم يزل خالد في حملته الى ان وصل
الى الدربجان وكان قاعا مي موضعه الذي اقام فيه قاما ن ومعه صليب من الجوهر واصحابه
منتظرون ان يحملوا معه فلما وصل المسلمون الى موضعه قالت له البطارقة ايها الملك اما
تحمل فتحمل معك او تولي فعند ذلك لطشا خيول العرب فقال لاصحابه اعلموا ان الشر لا
احبه ولا احب ان اراه ولا احضره ولا احضر ني لملك هذا الموقف الا وانا كاره ولكن
لغوا راسي ووجهي في توجه الدباج ففعلوا ذلك والناس يقتتلون حتى انهزمت
الروم بين يدي المسلمين ووصلوا الى الدربجان وهو ملفوف الراس فحمل عليه
ضرار بن الازور فطعنه طعنة نافذة فقتله قال الواقدي وكان رجلا حسن صبيح
الله للمسلمين ان جرجير وقفاطير اختلفا وتنازعا وكان جرجير في الميمنة في
الارمن وقفاطير في الميسرة فغضب قفاطير فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت
حملته على كنانة وقيس وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وتميم لوحيد فيما بين
ميسرة المسلمين الى القلب وكشفت الروم المسلمين حتى زالت ميسرة المسلمين عن
مصافها ولم يثبت لهم الا اصحاب الرايات فقاتلوهم قتالا شديدا وركب الروم اكتاف
المسلمين الى ان دخلوا معهم في معسكرهم فاستقبلهم النساء كما ذكرنا بالعمد يضربن
وجوه الخيل ورمين بالحجارة فتراجع المسلمون عن الهزيمة وعطفوا على الروم عطفة
عظيمة وقتامة بن الاثيم الكناني امام المسلمين يضرب في اعنان الروم من بالسيف
ومرة بالرمح حتى كسر ثلاثة رماح بتر جز ويقول

ساحمل في جمع الكلاب النوابح ... واضربهم ضربا بحد الصفايح

وارضي رسول الله خير مؤمل ... نبي الهدى المبعوث للدين الناصح

ثم حمل حتى كسر سيفين وقال ما راث مسلم حملة قفاطير وقومه ولقد اختلطوا بعضنا
في بعض قال وتبع خالد بن حملة مع الفين ووضعوا السيوف في الروم فقتلوهم
قتلا ذريعا قال الراوي وكان المسلمون قد انهزموا في هذا اليوم ثلاث
كرات كل كرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحن بالاطفال فيرجعون الى القتال

فار

قال واقتل الليل لسواده والناس تحت الحرب والقتل في الروم كثير وفي
المسلمين قليل الا ان الجراح بهم فاشية من الشباب فلما ادلهم لسواده رجعت
الروم الى مواضعها وباتوا تحت السلاح وكذلك المسلمون ذكر الوقعة الرابعة
قال الواقدي رحمه الله فلما اصبح صلى بهم عبده المسلمين صلاة الفجر واذا بالطلبان قد برزت
وراءات الروم قد طلعت في عدد النمل والنمل كانهم لما لقوا عدوا ولا قتالا فقتل
الى مصافهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذي كان يجلس عليه يشرف منه على العساكر
وامرهم ان يعبوا مصافهم ولا يقاتلوا الا ان يقاتلوهم فاخذوا مصافهم فلما رآهم المسلمون
اسرعوا ورجع كل امير الى موضعه وصعد ابو عبيدة بن الصعوف يصف لهم فضل
الجهاد وحثهم على الدرارهم والاموال والانفال فمر بن سعد بن عبد الانصاري وصعد
على الرجالة سعد بن زيد بن ثقيل وقدم الرماة من مزينة والانصار وصعد معهم عمامة
في الميمنة وحسايه بن البسر وحسامه بن الكلب قال الراوي ثم رجع بطريق وجيشه وبدره
ريح عليه طيب من دهن وصوله زفاق على عشرة الاف من الروم فعطفوا على الميمنة وكان
فيها عمرو بن العاص فيكرون عليهم تارة ويرجعون تارة ويكاثرت الروم عليهم فكسنوهم
حتى الجاؤهم الى الكثيب الذي عليه الخيام واحاطت الروم بالتل وكان الزبرس العوام جالسا
مع رجاله امتاء بسلاح اذ سمع رضي الله عنهم نداء ابي عبيدة وكان رجلا اذا سمع الصياح وطرح
الرقة من عينيه وركب جواده واخذ قناته وانتمى باسمه وقال في حملته انا الزبير بن العوام
انا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى رد هم على اعقابهم
وتراجعت خيل عمرو بن العاص ومن معه بعد انهزامهم قال الواقدي وهذا اضطراب
الارمني في بلاد الشام على سرجيل حسبة كانت رسول الله عليه السلام فانكشف اهل
سرجيل ولم يثبت غير ه لقتال الروم من غضبة مرقوه فحمل سرجيل يحمل على الروم
وينادي بالعرب الكرام اخيرا لهم من الموت الصبر الصبر فتراجع اصحابه اليه فردهم على
على اعقابهم وصولوا يقتلون اعناقهم ووجوههم بالسيوف حتى اصابوا الارض مالا تقصد
الارض منهم عند هزيمتهم وتطرقيس رهيبة الى خيل سرجيل فارتفع غبار عليهم
وهو ينادي بشعار قيس فسمع خالد شعار قيس فصاح في وجه جميع الروم
ينادي هو واصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا ناصرنا يا صاحبنا بنصر الله انزل يا منصور امتنا
امت وكان بعد اشعار المدينة يوم بدر وحنين وهو خالد في غزوات النبي وحمل
قيس رهيبة في ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا وهالت الروم جولة منكرة فلله
در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة شديدة هي حربوا
فيها سراوق ماهان وتوالعت الروم على سرادق ماهان وخيامه فلما نظر ماهان

ای اقتل

الى ذلك ولّى عن سريره هاربًا وصاح بالروم وعنقهم فرجعوا يطلبون القتال وصاح ابو عبيدة
بسعيد بن زيد فحمل عن معه وهويُنادي لا اله الا الله محمد رسول الله يا منصور امت امت
يا نصر الله وصكوهم صكة واحدة وقد انزل الله نصره على المسلمين واقبلوا يقتلون الروم
قتالا ذريعًا قال ولم يكن في الروم اثبت من اصحاب السكاسك فانهم ثبتوا في اماكنهم
يمنعون من اتاهم واما الرماة من الارمن فانهم كانوا في القلب من عسكر الروم وهم مائة الف
رام كانوا اذا رشقوا السهام نحو العرب يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله
لكان المسلمون يهلكون وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والروم قد هلك اكثرهم
قال وطلع على منهم كانه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وبيضة مذهبة وصليب من ذهب
مرصع بالجواهر وهو راكب على بغل مهري وبيده رمح قناة واشهر سيفه فطلب البراز فخرج
اليه ذو الكلاع الحميري فالتقيا وتطاعنا شديدا حتى كلا من الطعان والنضال ثم
التقيا بالسيوف فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضربه العلج ضربة فقطع بها درقة
ذي الكلاع ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحه جرحًا
ابلغ فيه فعطف ذو الكلاع براس جواده نحو المسلمين فطمع فيه العلج فصاح ببقية قومه فسبقه ذو الكلاع
حتى لحق بالمسلمين والدم يقور من الضربة كالانبوب فبرز اليه فارس من فرسان حمير بابغ
الغلة كانه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما فطعنه طعنة اثبتها في صدره وارداه قتيلا
وعجل الله بروحه الى النار وهم الحميري ان ينزل عن فرسه لياخذ سلبه فحمل عليه كردوس
من الروم فكشفوه عنه فردهم الحميري صاغرين ثم رجع الى العلج فاخذ سلبه واقبل به الى
ابي عبيدة فاعطاه اياه ورجع الى مقامه من القتال فخرج اليه علج اخر فقتله وخرج اخوه
فقتله ثم خرج اليه علج رابع فقتل الحميري وهم العلج ان ياخذ سلبه فرماه رجل من رماة
الانصار بنبلة فوضعها في لبته وجدله صريعا وعجل الله بروحه الى النار وكان عظيما من
عظمائهم وقيل انه كان منقطع نابلس قال ثم خرج الى القتال ملك اللان ويقال له مرنوس
وعليه لامة الملوك وقد اظهر دياجه وجوهره وفي وسطه منطقة مرصعة في اربعين
الصفين وقال انا ملك اللان فلا يبرز الي الا اميركم فخرج اليه شرحبيل حسنة ويليه
الراية وعليه درع من فوقه كبر منطقة بمنطقة من ادم على فرس اشهب ثم استخرج
العلج صليبا من عنقه فقبله وامره بين عينيه واقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من
ذلك فحمل عليه واخذ في القتال وجالا طويلا ونظر شرحبيل الى شدقه وباسه فانطرد
امامه كالمنهزم فظن العلج انه منهزم فتبعه وقصر شرحبيل في سعي جواده حتى علم
شرحبيل انه قد قاربه عطف عليه بالقناة يريد ان يطعنه في نحره فزاغ الملعون عن
الطعنة ونجى سالما ثم رجعا الى الحملة وتضاربا حتى انقطع سيوفهما واعتنقا معانقة

شديدة وكان الملوك اعظم جثة واشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام
فضغطه المشرك ضغطة اوهنه بها وهم ان يقتله من سرجه والفريقان ينظران اليهما
قال ضرار بن الازور فلما خذني والله الغيظ وقلت ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت تنظر فما يمنعك من نصرته قال الراوي فحمل ضرار نحوهما
راجلا يسعى على قدميه كالطنبة الخمصاء حتى قرب منهما وهما لا يعلمان به جميعا
وكان بيده خنجر فضرب به العلج من ورائه فاطلع الخنجر من قبله فسقط العلج قتيلا
وخلص شرحبيل من الضغطة فاخذ سلبه وركب ضرار جواده وانتنيا نحو المسلمين
ثم تنازعا في السلب فقال ضرار انا قتلته وقال شرحبيل انا قتلته فاختصما الى ابي عبيدة
فخاف ابو عبيدة ان لا يرضيا بحكمه فكتب الى امير المؤمنين عمر رضي الله عنه وبين ماجرى
من امرهما ولم يسم شرحبيل ولا ضرارا في الجواب من عمر ان السلب للقاتل فاخذه
ابو عبيدة من شرحبيل واعطاه لضرار فقال رجل لشرحبيل كيف فاز ضرار بالسلب
دونك قال ذاك فضل الله يؤتيه من يشاء قال ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم
وخرج منهم ثلاثة فوارس من شجعانهم فخرج اليهم الزبير بن العوام فقتلهم جميعا
واخذ سلبهم وخرج رابع من الروم فخرج خالد اليه فقتله وكان ملك الروسية وهو
زوج بنت الملك فقوم سلبه بخمسة عشر الفا فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذان
ملكان منا قد قتلا واني اظن ان المسيح لا ينصرنا ثم امر الرماة ان يرموا عن يد واحدة
فرموا بسهامهم واطلقوا نحو المسلمين مائة الف سهم عن يد واحدة وكثر القتل
والجدع في المسلمين وعور من المسلمين سبع مائة عين فسمي ذلك اليوم يوم التعوير
وكان فيمن اصيبت عينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد وبكير بن عبد الله التهمي
وابو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد واضطرب المسلمون اضطرابا شديدا
وجذبت العرب اعنة خيولها راجعة على اعقابها ونظر المغيرة ماهان الى اضطراب
المسلمين فحمل نحو الروم والرماة فصاح برجله وزحف نحو المسلمين وحمل جيوشه وقاطيته
وفوريين وزحف المسلمون بحديدها واخذ المسلمون على انفسهم مما وصل اليهم
من الكدة والالم وانقلبوا نحو تلك النساء ولم يثبت غير اصحاب الرايات وقاتلت
الامراء بانفسها والرايات بايديهم حتى ان ابا عبيدة ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن
العاص كانوا يقاتلون قتال الموت قال عبد الله ابن قرط فقلت في نفسي وكم مقدار
ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى استعذنا الله بحمامة النساء اللاتي كن يحدثن
المواطن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيداوين الجراحة ويسقين الماء ويحرزن
الى القتال فما رايت امراة قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في اليمامة

مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم
المسلمين فضربن بالسيوف ضربا عظيما وضربن وجوه الخيل بالعمد ولو حين
بالاطفال وجعل بعضهن يقاتلن المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين الفارين
حتى رجعوا الى القتال وبعضهن يسقين الماء وبعضهن يشددن الجراح فبينما هن
يقاتلن انهزمت نساء لخم وجذام وخذلن المسلمين فخرجت خولة بنت الازور وام
حكيم بنت الحارث ولبنى بنت سالم وسلمى بنت نوي من عامر وجلعن يضربن فى
وجوههن ورؤسهن بالعمد ويقلن اخرجن من بيننا فانكن توهن جمعنا
فرجعت نساء لخم وجذام وقاتلن قتال الموت وقال واقد بن عون نظرت الى هند
بنت عتبة وبيدها سيف من سيوف الهند وهي تضرب فى الروم وتقول يا معشر
العرب اضربوا الغلفان بالسيوف واما اسماء بنت ابى بكر الصديق فانها قاتلت
عنانها بعنان زوجها الزبير من العوام فكان يضرب ضربة الاوهى تضرب مثلها
وتراجع المسلمون الى القتال حين نظروا الى النساء يقاتلن فقال الموت فلله در
النساء يوم اليرموك ولم يزل الحرب من اول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل
ضرامها وقد قتل من الروم يوم التعويرار بعين الفا او يزيدون ولقد قيل عن
خالد بن الوليد انه انقطع فى يده فى ذلك اليوم تسعة اسياف ولقد حمل خالد رضى الله عنه
وهو معمم بعمامة حمراء وهو يفرع الروم باسمه ويقول انا خالد بن الوليد فبرز
اليه بطريق يقال له القسطور وعليه الديباج وخالد فى القتال لا يتعرف به فعند ما سمع
صوته عطف عليه فالتقيا واقتتلا قتالا شديدا فبينما فى القتال اذ كبى بخالد رضى الله عنه
فرسه فوقع العدس على يديه وهو خالد لا يراه فقال المسلمون لا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم وخالد يقول هي هي وعلاه البطريق بسيفه فوقع السيف
على ظهر خالد فاوهن ظهره ولم يصنع فيه شيئا ونهض فرس خالد عن عشوته
وقد سقطت قلنسوته عن رأسه فصاح قلنسوتي فاخذها رجل من بني مخزوم
فاعادها خالد على رأسه فقال يا ابا سليمان انت فى هذا الحال تقول قلنسوتي
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فى حجة الوداع اخذت شعرات من
ناصيته فقال ما تصنع يا خالد بهذه الشعرات فقلت اتبرك بها يا رسول الله
واستعين بها على قتال اعدائي فقال لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها فى مقدمة
قلنسوتي فلم الحق جماعة قط وهي على رأسي الا هزمتها كذا ذكر بن كثير رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثم ان خالدا حمل على بسطور وعلاه بضربة على عاتقه فقطع
الى عاتقه الاخر وهم ان ينثني عليه فحمل اصحابه وحازوه اليهم فهلك بينهم وانكسر

من بقي من ملوكهم وكرهوا التقدم بعد ذلك ولقد كان خالد يدعوهم الى البراز بعد ذلك
فلا يخرج اليه احد منهم ثم حمل خالد على الروم فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وعاد
المسلمون راجعين الى القتال من بعد هزيمتهم والنساء امام الرجال ولم يزل الحرب
بين الفريقين حتى انقلبت الروم على اعقابها وقد قتل منهم الوف عدة واما
اصحاب ماهان فانحط اكثرهم طعنتهم الخيل بحوافرها ولم تزل الحرب حتى مالت
الشمس للغروب وانفصل بعض من بعض وقد جرت الدماء بينهم وانفدت نشاب الارض
بالقتلى والجراح فاشية فى العسكرين جميعا الا انه فى الروم اكثر واخذ كل قوم
من اصحاب شانهم وتولى ابو عبيدة الحرس بنفسه تلك الليلة فبينما هو يطوف
وجماعة من المسلمين المهاجرين حول عسكر المسلمين اذ جاء رجل يقال له ابو الجعد
فقال ان هذا الجيش جيش عظيم ولو سلموا انفسهم اليكم للقتل ما فرغتم من قتلهم
فى مدة كثيرة فان دللتكم على شئ تكيدون به عليهم فى هذه الليلة بهم
ماذا تفعلون معي وتعطوني قالوا نعطيك كذا وكذا ولن تؤدي جزية ابدا الا انت
ولا عقبك ونكتب لك بذلك عهدا وكان هذا ايسا من رؤساء حمص وكان بعض
الروم لعبوا بامراته وقتلوا ولده وكان اشتكى فلم يسمع كلامه فعمل هذه المكيدة
طلبا للثار قال الواقدي ولما استوثق من المسلمين قال لهم اكثروا من النيران
فمضى الى الروم فقال لهم اني ساكيدكم العرب بمكيدة يهلكون بها قالوا كيف
قال انزلوا الى جنب الباقوضة وهي وادي عظيم قال فجعل الباقوضة فيما بينهم
وبين العرب وكان لا يعلم احد ما عورها الا هو ثم رجع الى المسلمين فقال
ازيد خمسمائة فارس من ابطالكم حتى اشير اليهم ما يصنعون قال فانحاز من المسلمين
خمسمائة رجل من جملتهم عياض بن غنم ورافع بن عميرة وضرار بن الازور وعبد الله
بن ياسر وعبد الله بن قرط وعبد الله بن اوس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق رضى الله عنهم اجمعين فسار بهم ابو الجعد على غير الجادة وقصد
عسكر الروم فلما كادوا ان يختلطوا بهم اخذ ابو الجعد منهم رجلا اعنى من المسلمين
ودلهم على المخاضة ولم يكن يعلم بها سواه او من يسكن الير موك وقال لهم شدوهم
الحرب وانهزموا ودعوني واياهم فقال ففعلوا ذلك وصاحوا وحملوا منا وشتة
بينهم وبين الروم ثم انهزمت الخمسمائة فارس وطلبوا المخاضة فعند ذلك صاح
ابو الجعد برفيع صوته يا معشر الروم دونكم من انهزم فهولاء العرب قد اراني
قد وابير اهم للمكيدة وعولوا على الهروب قال فاقبلت الروم على العجلة يظنون ذلك حقا

بهم

الليلة

بهم

بعضهم ركب جواده عريا وبعضهم راجلا وسار وا في اثر طلب المسلمين وابو الجعد بين ايديهم
الى ان وقفهم على ايا قوضه وقال هذه الخاضة دونكم وايا فاقبلوا اينها فتوزع الماء وبينما
قطون تساقط الجراد حتى ما من القوم في الماء ما لا يحصيه لسان ولا يدركه جنان
ولا يعلم الاخر ما جرى للاول حتى سمعوا ان العرب في عسكرهم فعلموا انهم قد دهموا في ليلتهم
وقد قل عددهم فقال بعضهم لبعض من كان الصايح في ليلتنا فقالوا الرجل الذي غبتم بزوجته
وقتلتم ولده وقد اخذ ثاره منكم قال واصبح ماهان وقد علم حقيقة ما نزل باصحابه فعلم
انه هالك وان العرب ظافرون به فبعث الى فورس وقال له ما ترى ان اصنع فقد تظاهرت
العرب علينا فان حملوا علينا حملة واحدة لم يبق منا احد فهل لك ان تسالهم ان يؤخروا
القتال حتى نعمل الحيلة في خلاص انفسنا فقال فورس افعل ذلك فقال فدعى ماهان برجل
من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم ان الحرب سجال والدنيا دول وقد مكرتم بنا فاخروا
الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان غد كان الفصل بيننا قال فاقبل اللخمي الى ابي عبيدة و
بلغ الرسالة فهم ان يجيبهم فمنعه خالد عن ذلك وقال لا تفعل ايها الامير فما عند القوم
خير بعد هذا فقال ابو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له ما نؤخر عنك ذلك فرجع الى الرسول
واخبر ماهان بذلك فعظم عليه ذلك وكفد ونحر وقال لقد كنت اتربص بنفسي عن
العرب ارجو بذلك الصلح فوق حق المسيح لا يبرز اليهم غيري ثم صرخ بالروم واصحابه
سير الملك ومن كان يتكل عليه في الشدايد وامرهم ان ياخذوا الاهبة للقتال والحرب

ذكر الوقعة الخامسة

قال فاستعدوا وخرج ماهان في مقدمة
الجيش والصليب امامه واذا المسلمون قد اخذوا مصافهم وصف ابو عبيدة اصحاب
الرايات وخالد في الخيل المعروفة بخيل الزحف وذلك كله قبل طلوع الشمس فلما طلعت
الشمس خرج جرجير وطلب البراز وقال لا يبرز الا امير الجيش فسمعه ابو عبيدة
فسلم الراية الى خالد وقال انت لها فان انا عدت من قتال هذا العلج فالراية لي وان
هو قتلني فامسك امرنا حتى يدبر عمر برايه فلما قرب ابو عبيدة من جرجير قال
انت امير هذا الجيش قال ابو عبيدة نعم اناذا لك فقد اجبتك فدونك والميدان فما
بقي من هذه بهمتك الا انا اقتلك واقتل ماهان بعدك ان شاء الله فقال جرجير امه
الصليب لتقتلك ثم حمل على ابي عبيدة وحمل ابو عبيدة عليه وطال بينهما القتال
وانطرد جرجير امام ابي عبيدة واخذ في اعراض الجيش وطلب ميمنة الروم وتبعه
ابو عبيدة وهو مع ذلك واثق بالنصر والسلامة وسار ابو عبيدة على اثره فعند
ذلك عطف جرجير كالبرق والتقيا بضربتين وكان ابو عبيدة اسبق بضربته
فوقعت على عاتق جرجير الايمن وخرجت من عاتقه الايسر فكبر عند ذلك ابو

عبيدة وكبر المسلمون ووقف ابو عبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم
خلقته ولم ياخذ من سلبه شيئا فرجع واخذ الراية بيده ونظر ماهان الى جرجير وقد
قتل فعظم ذلك عليه لانه كان ركنا من اركانه فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه لا ابدي
عذرا عند الملك وابرز الى الحرب فان قتلت استرحت من العار وان سلمت كان لي عذر
عند الملك قال فاعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه ثم اخذ عدته ولبس زينته وخرج
كانه ذهب يلعب وجمع البطارقة والقسيسين والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان
اعلم منكم بهذا الامر فاراد صلح القوم فخالفتموه وها ان ابرز بنفسي فتقدم اليه بطريق
من بطارقة السرير وقد كان فيه نسك ودين وكان يقرب من جرجير في النسب
فقال وحق الصليب لابرزن لهم ولاخذن الثار فاما الحق به او اقتل قاتله فاذن له
ماهان وكان اسمه سرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد وسواعد حديد
واقبل اليه راهب عمورية واعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من ايام
المسيح توارثه الرهبان فخذه فانه ينصرك فاخذه سرجيس فمزج فطلب البراز
فخرج اليهم ضرار بن الازور كانه شعلة نار فلما قاربه ونظر الى جثته وعظم خلقته
هاله وندم على الخروج اليه ثم قال وما عسى ان يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع
مولیا فظن المسلمون انه رجع من فزع وهو لا يكلم احدا حتى صار الى خيمته ونزع ثيابه
وبقي في سراويله واخذ معه قوسه وتقلد سيفه ثم عاد الى الحرب فوجد مالكا النخعي
قد سبقه اليه وكان مالك من الخطاط اذا ركب اسحب جلاه على الارض فنظر ضرار واذا
مالك ينادي تقدم يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج
من جزعه في حال مالك عليه وهو ان يطعنه فلم يجد مكانا للطعنة من اللبس فقصد جواده
وطعنه في خاصرته واطلع من الجانب الاخر فهم مالك باخراج الرمح فلم يقدر لاشتباكه
باضلاعه وسقط الجواد بالبطرق وهو على ظهره ولم يقدر ان ينفصل لانه موثوق
بزنانير الى سرجه فاشرع اليه ضرار مثل الظبية فضربه بسيفه على قمته فشطره
نصفين فاخذ سلبه فقال مالك يا ضرار تشاركني في صيدي فقال ما انا بشريكك وانما انا قتلت
قال مالك انا قتلت جواده قال ضرار رب ساع لقاعد ولكل خير حامد فتبسم مالك وقال
خذ صيدك هنيا لك الله به فقال ضرار انما انا امزح خذه اليك ثم انتزع سلب العلج وحمله على
عاتقه وما يكاد ان يحمله وهو يتصبب عرقا فقال ابن عايذ فلقد رايته وهو يسير به
وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه في رحل مالك قال ولما قتل البطرق انفض جناح
ماهان وصاح بقومه وقال لهم اسمعوا يا قوم ما اصاب الملك وبلغوه الى ما
قد كنت جهدا في نصرة هذا الدين وقد حاميت عن الملك وما اقدر ان اغالب رب السموات

لانه ادل العرب علينا وملكهم بلادنا والآن ما لي وجه ارجع به الى الملك حتى اخرج
الى الحرب وقد عزمت ان اسلم الصليب الى احدهم واقاتل فان قتلت استرحت
من العار ومن توبيخ الملك وان سلمت ونصرت علم الملك اني لم اقصر وقالوا
ايها الملك لا تعجل انت حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فان قتلنا اصنع بعدنا
ما شئت قال فحلف ماهان بالكنايس الاربع انه ما يبرز احد قبله فلما حلف مسكوا
عن مراجعته ثم دعى بابن كاز له فدفع اليه الصليب وقال له قف مكاني وقدم لماهان
عدته فافرغها على نفسه قال الواقدي رحمه الله بلغنا ان عدة ماهان التي خرج بها الى
الحرب قومت بستين الفا فعزم على الخروج فتقدم اليه راهب فقال ايها الملك
لا تبرز فاني رايت رؤيا فارجع ودع غيرك فلم يسمع ماهان فخرج كانه جبل ذهب
يشرق واقبل حتى وقف بين الصفوف ودعا الى البراز وخرج ياسمه وكان اول
من عرفه خالد الوليد فخرج اليه غلام من دوس يحمل ماهان فرد ماهان يده الى
عمود من ذهب كان تحته فحقق به الدوسي خفقة قتله بها وعجل الله بروحه
الى الجنة فقوي قلب ماهان بذلك وطلب البراز فسارع المسلمين اليه كلهم يقول
اللهم اجعل قتله على يدي فكان اول من ادركه مالك النخعي وقال يا بغل الجلف
لا تغتر بمن قتلته فقال ماهان انت صاحبي خالد فقال لا انا مالك النخعي صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم حمل على مالك وكان اللعين من اهل الشجاعة واعتمد على عموده
وصب على البيضة التي كانت على راس مالك فعاصت البيضة في جبهته فشترت عنه
فمن ذلك الوقت سمي الاشتر وهم مالك من شدة ما نزل به حتى رجع ثم صبر نفسه
وعلم ان الله ناصره فقال والدم ثائر من ضربته وعدو الله يظن انه قتله
وينتظر متى يقع عن جواده واذا مالك قد حمل عليه واخذته اصوات المسلمين
يا مالك استعن بالله فانه يعينك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن
فلما احس ماهان بالضربة ولى على وجهه ودخل في معسكره قال الواقدي رحمه الله عنه
فلما ولى ماهان بين يدي مالك صفق خالد يا اهل الصبر والباس احملوا
على القوم ما دام موالي ذهبهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه وحمل الامراء
ومن معهم من قومهم وتبعهم جماعة المسلمين بالتهليل والتكبير فصبرت لهم
الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق وانكشف الروم منهزمين
وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة زهاء
على مائة الف واسروا اربعين الفا وغرق منهم في البحيرة امم لا تحصى

وتفرق جمعهم في الجبال والاودية وخيول المسلمين يأتون بهم من الجبال اسرى ولم
يزل المسلمون يقتلون ويأسرون حتى مضى من النهار ربع فبعث ابو عبيدة الى الناس
وقال اتركوهم الى الصباح فجعل المسلمون يتراجعون وقد امتلئت ايديهم من الغنائم
والسراويات واواني الذهب والفضة والرزاي والنارق والطنافس ووكل ابو عبيدة رجالا من
المسلمين يجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله لهم فاصبحوا والبيس الروم خبر وقد وقع الرعب
في قلوبهم وكان اراد ابو عبيدة ان يمضي على القتلى من الروم فلم يتمكن ولكن لما
اصبح الصباح امر بتتبع القصص من الوادي وكان يحمل على كل الف قتيل قصبة فعدوا القصب
فاذا العدة ماية الف وخمسة الاف والاسرى اربعون الفا وقتل من المسلمين اربعة الاف
ونيف وجد ابو عبيدة رؤسا بالبرسول فلم يعرف انهم من المشركين ام من الاسلام فامر بها
فغسلت ثم صلى عليها وعلى القتلى وامر بدفنهم واقترعت خيول المسلمين في طلب النهر من
الخيل والاودية واواهم براع فلما استقبلهم قال له مرتك لعدو الروم قال نعم مر بي
بطريق معه زهاء اربعين الف فارس قال الواقدي وكان ذلك ماهان قال واتبعه خالد وهم يقتلون
ويأسرون ومعه عسكر الزحف فاوقعهم على من بقي فلما اشرف عليهم كبر وكبر المسلمون
وحمل خالد ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان قد انزعج جواده
وقال انه ارجل نفسه ليسلم فاقبل اليه رجل من المسلمين فقتله فقيل هذا كان السبب
في هلاكه الاول وسلم ماهان حتى جاء اليه بوعي مال الواقدي وجمع اهل بدر الى خالد
والوا من على عهد ما كان خالد تهم مضى في طلب الروم فقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى
الى ثنية العقاب فاقام بها وبعث طريده الى قيصر فنزل بها ولحق ذلك الجيش فسار
حتى لحق به من كان معه من المسلمين مال والامراء في طلب الروم في كل وجه فلما
رأى ما صنعوا في دوما الى دمشق وفكروا في هلاك وجمع ابو عبيدة الغنائم واخرج منها الخمس
وكتب الى عمر رضي الله عنه وعرفه بجمع ما جرى وبعث بذلك الى مع عمر بن الخطاب
والانصار وقال الواقدي وكان عمر رضي الله عنه رأى ليلة الجمعة الروم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الروضة ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وسلم عليهما وقال يا رسول الله ان علي مشتغل
بالمسلمين وما ادري ما صنع الله بهم مع اعدائهم وهم جلوس اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عمر ابشر فقد فتح الله على المسلمين وانهزم عدوهم وقد قتل منهم كذا وكذا الفا فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فصلى الغداة والمسلمون على عمر رضي الله عنه الغداة والمسلمون عليهم
بشارات في منامه ففرح المسلمون لذلك ثم ورد حذيفة والعلم مع كتاب ابي عبيدة فقرأ عمر
الكتاب على الناس واستعبرت الاصوات بالبكاء والتكبير ثم قال عمر يا حذيفة على قسم ابو عبيدة
الغنائم قال لا يا امير المؤمنين حتى اخرج الخمس وهو منتظر امرك قال لهم كتب عمر رضي الله عنه جواب الكتاب

والصليب الاعظم ؟

يبرز ؟

رضي الله عنه

الصلاة على البشير النذير ؟

وتفرق ؟

وفي عبوره ؟ المالكي ؟

وقال لهم هو صعك حتى تأتك أمرى واقسم الغنيمة والسلام فاقرأ حذيفة الكتاب وسار حتى ورد
على ابى عبيدة وهو على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب فلما قرأه أمر بالطعام
فقسمت فاصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر والرجل ثمانية الاف
وكذلك من الفضة وكتب ابو عبيدة الى عمر يخبره الخبر ويعلمه بقسمة الغنائم
لما انهزم المشركون يوم اليرموك وقتل منهم ما قتل كان اقام المسلمين على دمشق شهرا
جمع ابو عبيدة رضى الله عنه الامراء فقال ان رأى المسلمون على السير الى
قيسارية وان يريد السير الى بيت المقدس فما ترون قالوا الرأى رأيك فقال معاذ
بن جبل اكتب الى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فحيث امرك فاستعن بالله وسر اليه
فقال فكتب بذلك وبعثه مع عرفجة بن ناصح النخعى فلما قرأ عمر الكتاب على المسلمين
استشارهم فقال على رضى الله عنه يا امير المؤمنين مر ابا عبيدة ان
ينزل بجيوش المسلمين على بيت المقدس فاذا فتح الله صرف جيشه الى قيسارية
فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عمر
بذلك ودفعه الى عمر فجة فسار حتى قدم على ابى عبيدة وهو على باب الجابية فلما قرأه
دعى يزيد بن ابى سفيان وعقد له راية حمراء وضم اليه خمسة الاف فارس وسرحه
الى بيت المقدس ثم دعى شرحبيل حسنة وعقد له راية سوداء وضم اليه خمسة
الاف فارس وقال سر امامك بمن معك الى القدس وانزل بعسكر ولا تخلط اصحابك
باصحاب يزيد ثم دعى بمرقال بن هاشم وعقد له راية بيضاء وضم اليه خمسة الاف فارس
وسيره فى اثر شرحبيل ثم دعى بالمسيب بن نجبة الفزارى وعقد له راية رابعة وضم
اليه خمسة الاف فارس وسيره ثم دعى بقيس بن هبيرة وعقد له راية خامسة وضم
اليه خمسة الاف فارس ثم دعى بعروة بن مهلهل وعقد له راية سادسة وضم
اليه خمسة الاف فارس قال الواقدى وسار الامراء فى ستة ايام كل امير يوما
ليرهبوا اعداء الله كل يوم ينزل امير بجيشه وكانوا ثلاثين الفا واول من
طلع عليهم يزيد بن ابى سفيان فلما اشرف عليهم كبر وكبر اصحابه وصعدا هل
بيت المقدس سور بلدهم ورعبت قلوبهم ولما نظروا الى قلة اصحاب يزيد استحقروهم
وظنوا ان ذلك جميع جيوش المسلمين فنزل يزيد بمن معه مما يلى باب اريحا و
اقبل فى اليوم الثانى شرحبيل حسنة ونزل مما يلى باب الحطة واقبل فى اليوم
الثالث المرقال بن هاشم ونزل بالباب الغربى واقبل فى اليوم الرابع المسيب بن نجبة
ونزل مما يلى الشمال واقبل فى اليوم الخامس قيس بن هبيرة فنزل فى قبلتها
واقبل فى اليوم السادس عروة بن المغلهل ونزل مما يلى طريق رملة واقاموا

ثلاثة ايام ينزلون على بيت المقدس بعد تكاملهم ثم يناوشونهم حربا وينتظرون منهم
رسولا فلم يكلمهم من اهلها احد الا انهم خصصوا اسوارهم بالمجانيق والعراد ات
والدرق فلما كان اليوم الخامس كان اول من ركب الى حربهم يزيد بن ابى سفيان
واخذ ترجمانا يبلغهم عنه ما يقول فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون كلامه
وهم صموت فقال لترجمانه قل لهم ان امير العرب يقول لكم ما تقولون فى الاجابة
الى دعوة الحق وقول لا اله الا الله محمد رسول الله فان ابيتم فالصلح عن بلدكم كما
صالح غيركم ممن هو اعظم منكم عدة واكثر عددا فان ابيتم حل بكم البوار وكان
مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليهم وقال من المخاطب عنكم فكلمه قس من
الاقسة عليه مدارع الشعر وقال ما الذى تريدون فقال الترجمان ان الامير يقول
لكم كذا وكذا قال فبلغ القس اهل بيت المقدس ما قال الترجمان قال فضجوا بكلمة الكفر
وقالوا لا نرجع عن دين المسيح ابدا ما بقى منا احد يقاتل ثم انصرفوا
ليلة يزيد ومشى الى الامراء واخبرهم بجواب القوم ثم قالوا ان ابا عبيدة ما امرنا الا بالنزول
عليهم وما امرنا بالقتال والرأى الى ان يكاتب اليه فان امرنا بالزحف فعلنا فكتب
يزيد كما جرى فكتب اليه ابو عبيدة يامرهم بالزحف الى القوم ونفذ الكتاب مع ميسرة
بن ناصح ففرح المسلمون بذلك وباتوا يتشاورون الصباح فلما اضاء الفجر اذن المؤذنون
وصلى المسلمون صلاة الفجر قال فقرا يزيد بن ابى سفيان يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
الاية ويقال ان جميع الامراء الستة قراءة كل منهم باصحابه هذه الاية وكانهم كانوا على
ميعاد فلما فرغوا من الصلاة قالوا التكبير التكبير فزحفوا ولم يزل القتال بينهم من الغداة
الى الغروب وقاتلوا قتالا اشد بدا ولم يظهروا للمسلمين فزعا ولا جزعا فلما غربت
الشمس تراجف المسلمون الى معسكرهم قال الواقدى ولم يزالوا فى القتال عشرة ايام واهل
بيت المقدس يغورون الفرح فلما كان فى اليوم الحادى عشر اشرفت عليهم راية ابى
عبيدة ذكر قدوم ابى عبيدة رضى الله عنه بقية الخبر
اشرفت عليهم راية ابى عبيدة فى اليوم الحادى عشر يحملها غلام شاب ومن ورائه فرسان
المسلمين وابطال الموحدين وقد احدقوا بابى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن
ابى بكر عن يساره وجاءت النساء والاموال فضجوا بالتهليل والتكبير ووقع الرعب فى قلوب
اهل بيت المقدس وانقلب كبراؤهم وبطارقتهم الى البيعة المعظمة عندهم وهى القمامة
فوقفوا بين يديه بطريقهم فقال ما هذه الضجة التى اسمع قالوا ايها ان قد قدم امير القوم
الينا بقية المسلمين فهذه الضجة بسببه فلما سمع البطريق الكبير ذكر قال وحق الانجيل

ان كان هو اميرهم فقدني هلا كلم والسلام فقالوا كيف ذاك قال لانا نجده في العلم
رويناه عن المتقدمين الذين يفتتح البلاد في الطول والعرض هو الرجل الاحمد صاحب
نبيهم محمد فان كان قدم فلا سبيل لكم الى قتاله ولا بد لي ان اشرف عليه وانظر الى
صفته فان كان هو عملت في مصالحته واجبته الى ما يريدون وان كان غيره لم اسلم
اليه ابدا الا ان مدينتنا لا تفتح الا على يد من ذكرت ثم وثب قايما والقسيسون
والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على راسه وفتحوا الانجيل
بين يديه ودارت البطارقة من حوله وصعد واعلى السور الى ان راوا اتجاه الطريق
الذي قدم منه ابو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يعظمونه ثم يرجعون الى القتال كانهم
الاسود الضارية فنادا هم رجل ممن كان يمشي بين يدي البطريق باذنه وقال
يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسالكم ونستخبركم قال فامسكوا عن القتال فنادا هم
الرجل بلسان عربي اعلموا ان صفة الرجل الذي يفتح هذا وجميع البلاد والارض عندنا
فان كان هو لم نقاتلكم بل نسلم لكم وان لم يكن فلسنا نكف عنكم ولا نسلم لكم ابدا فحدثوا بذلك
ابا عبيدة فخرج ابو عبيدة الى ان حاذاهم وحققوا صورته فقال البطريق ابشروا ليس
هو الرجل فاثبتوا عن دينكم وحربكم فلما سمعوا قوله رصعوا اصواتهم بكفرهم واقبلوا
يقاتلون القتال الشديد وعاد البطريق الى مقامه ولم يخطر لابي عبيدة بال امر قومه بالحرب
والقتال فقال خالد ما كان منكا يا ابا الامين قال لا علم لي خرجت اليهم كما رايت واشرف على
شيطان من شياطينهم فما هو الا نظرة حتى صاحوا صيحة واحدة ثم ولى عني ولم يكلمني
فقال خالد يوشك ان يكون لهم في ذلك راي نقف عليه بعد هذا وستعلم نباءه بعد حين
قال الواقدي وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في ايام الشتاء والبرد وظنت الروم
ان المسلمين لا يقدرون على القعود عليهم ولم يزل ابو عبيدة منازلا لاهل بيت المقدس
اربعة اشهر كملا وما من يوم الا وتلهم القتال الشديد والمسلمون صابرون على
البرد والثلج فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة الحصار اتوا بطريقهم وقالوا يا سيدنا
قد دام علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا ان ياتينا مدد من الملك وقد اشتغل عنا
لاشكر بنفسه وما من يوم يمر علينا الا ويقتل منا خلق كثير ومنهم ايضا الا انهم
اشهى في الموت منا في الحيوة فانظر في امرنا فان كان الامر صعبا فتحنا الابواب وخرجنا
اليهم فاما ان نقتل عن اخرنا او نهزمهم عنا فاجابهم البطريق الى ذلك وصعد على
السور والصليب بين يديه والقسيسون والرهبان حوله واشرف على موضع ابي
عبيدة ونادى رجل منهم بالعربي وقال يا معاشر العرب ان عمدة دين النصرانية
وصاحب شريعتهم قد اقبل يخاطبكم فليبدن منا اميركم فقام ابو عبيدة يمشي اليه

مع جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما تريدون هذا امير العرب قد اقبل
اليكم قال البطريق للترجمان قل لهم ما الذي تريدون من هذه البلدة هي ارض المقدس من
قصدها بسوء يوشك ان الله يغضب عليه ويهلكه فاخبر الترجمان ابا عبيدة بذلك فقال
قل لهم نحن نعلم ذلك انها بلدة شريفة ومنها اسري نبينا محمد عليه السلام ودفني من ربه وكان
قاب قوسين او ادنى وانها معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن احق منكم ولا ندان نازلين
عليها او نملكها كما ملكتن الله غيرها قال البطريق فما الذي تريدون قال ابو عبيدة الى
خصلة من ثلاث اولها ان تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
فان اجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا قال البطريق انها كلمة عظيمة ونحن
قايلون بها الا ان نبيكم محمدا ما نعرفه انه رسول الله قال ابو عبيدة كذبت يا عدو الله وانك
لم توحد الله قط وقال البطريق هذه خصلة لا نجيبكم اليها ابدا فما الخصلة الثانية قال
ابو عبيدة تصالحونا عن بلدكم وتؤدون الجزية الينا عن يد وانتم صاغرون كما ادا ها
غيركم من اهل الشام جميعا قال البطريق هذا اعظم علينا من الاولى قال ابو عبيدة فما
تبرح نقاتلكم او يظفرنا الله بكم فنستعبد نساءكم واولادكم قال البطريق فانا
لا نسلم مدينتنا او نهلك عن اخرنا وكيف نسلم وقد استعدنا فيها الة الحصار
وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا ممن لقيتم من اهل المدن الذين ادعنوا
للجزية فانهم قوم غضب المسيح عليهم فادخلهم تحت طاعتكم ونحن في بلدنا من اذا
سال المسيح ودعاه اجابه في عوته قال ابو عبيدة كذبت يا عدو الله ما المسيح بن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل الاية انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قال
البطريق اقسم بالمسيح انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة لا تفتحونها ابدا وانما يفتح
بلدنا رجل نجد نعته في كتبنا وليست الصفة معلومة قال ابو عبيدة وما صفة من
يفتح بلدكم قال البطريق لا اخبركم بصفته ولكنا نجده في كتبنا انه يفتح هذه البلدة
صاحب محمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق ولا يا خذه في الله لومة لايم
ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع ابو عبيدة ذلك من كلام البطريق تبسم ضاحكا وقال
فتحنا البلد ورب الكعبة ثم اقبل عليه وقال له ارايت ان رايت الرجل تعرفه قال نعم
وكيف لا اعرفه وصفته عندنا وعند حسبه وابايه فقال ابو عبيدة هو والله خليفتنا
وصاحب نبينا قال البطريق فان كان الامر على ما ذكرت وعلمت صدق قولنا فاحقن
الدماء وابعث الى صاحبك ياتي فاذا راياه وتبينا معرفته ونعته فخاله المدينة
قال ابو عبيدة سابعث اليه ان شاء الله ثم انصرف الى ابو عبيدة وامر الناس بالكف عن الحرب
وكتب بما جرى الى عمر رضي الله عنه وبعثه مع ميسرة بن مسروق العبسي فلما قراه عمر

بهامش
الله عنه

المدينة ؟

رضي الله عنه

على المسلمين استبشروا به وقال ما تزوون ما كتب به الينا امين الامة فكان اول من تكلم
عثمان رضي الله عنه فاشار بان لا يبشر استخفافا لهم واشار علي بن ابي طالب رضي الله عنه
بالمسير اليهم لاجل الفتح فاستصوب عمر رأي علي رضي الله عنهما وامر الناس باخذ الاهبة للمسير
معه والاستعداد فاسرع المسلمون واستعدوا ذكر خروج عمر رضي الله عنه
من المدينة وقدومه بيت المقدس قال الواقدي امر عمر رضي الله عنه ان
يعسكروا خارج المدينة ففعلوا واتى عمر المسجد فصلى فيه اربع ركعات ثم قام الى قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى ابي بكر ودعا بما شاء الله واستخلف على المدينة علي بن
ابي طالب فخرج من المدينة وهو على بعير احمر عليه عزار نان احدهما سوق والاخر تمرة
بين يديه قربة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة الذين كانوا شهدوا
اليرموك ثم عادوا الى المدينة منهم الزبير بن العوام وعبادة بن صامت وسار عمر نحو بيت المقدس
وكان اذا نزل منزلا يأخذ الجفنة ويملأها سويقا ويصب التمر حولها ويقول للمسلمين كلوا
هنيئا رحمكم الله فيأكل ويأكل المسلمين معه ثم يرتحلون فلما اشرفوا على الشام اذ نظروا
الى مقنب عظيم من الخيل المسلمين فقال عمر للزبير يا ابا عبد الله اسرع فانظر ما هذه الخيل فاسرع
الزبير اليها فنظر فاذا هم خيل من اليمن بعثهم ابو عبيدة ياخذون له خبر عمر رضي الله عنه
واقبل من بعدهم آخر فاقبلوا الى عمر وقالوا لقد ارتحت العيون وطالت الاعناق بالتطاول
الى قدومك ثم رجعوا على اعقابهم حتى اشرفوا على عسكر ابي عبيدة ونادوا بارفع اصواتهم
ابشروا يا معاشر المسلمين بقدوم امير المؤمنين فاستبشروا وهموا ان يركبوا لاستقباله
باجمعهم فلحقهم ابو عبيدة ثم سار ابو عبيدة في ناس من المهاجرين والانصار حتى اشرف
هو ومن معه على عمر بن الخطاب قال ونظر عمر الى ابي عبيدة فاذا هو على قلوص مشوطا
بعباءة فطوانية وخطامه من شعر وابو عبيدة لابس سلاحه فلما نظر ابو عبيدة الى عمر
اناخ قلوصه واناخ عمر بعيره وترجلا كلاهما فتعانقا وتعانقا وسلم بعضهما
على بعض ثم اقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركب جميعا وجعلا يتساويان
امام الناس ويتحدثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا وصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم
خطبة بليغة فلما فرغ جلس وجعل ابو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر ناصب له
قتادة يبكي وتارة يكف الى ان حضر وقت الظهر فقال الناس يا امير المؤمنين اسأل
بلالا يؤذن لنا وكان بلال مقيما هناك فلما بلغه ان الناس قد نزلوا على بيت المقدس
اتى اليهم وشهد قتالهم فلما بلغه ان عمر سار الى ابي عبيدة قدم حتى سلم عليه قال
فدعي به عمر وقال يا بلال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونك ان تاذن
لهم قال بلال نعم قال فلما قال الله اكبر الله اكبر خشعت جوار خضم واقشعرت
ابدانهم فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا حتى كادت

قلوبهم

قلوبهم ان تتصدع وكاد بلال ان لا الاذان فلما فرغ صلى عمر رضي الله عنه بالناس وامرهم بالرحيل
فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من الصوف فيها اربع عشرة رقعة بعضها من اديم
قال له بعض الناس يا امير المؤمنين لو لبست ثيابا وركبت جوادا كان ذلك اعظم لهيبتك
في قلوب اعدائك واقبل ابتسالونه وينعطفون عليه الى ان اجابهم الى ذلك وازال مرقعته ولبس ثيابا
بيضا قال الزهري احسب انها كانت ثياب حرير التي اهدى له صاحب ملك الكفار
ليس هو بابرد ولا اما لك فدفعه الى ابو عبيدة وقدم له برذون اشهب من براذين الروم فلما حاذا
عمر عاظمه جعل البرذون يتمايل بدلا نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال اقبلوني عثمان
اقالكم الله عثاركم يوم القيامة لقد كاد امير كم ان يهلك لما دخل في قلبه من الكبر وان سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل
النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد كاد يهلكني ثوبكم البياض وبرذونكم
الهملج ثم نزع ما كان لبسه ولبس مرقعته ثم سار يريد العقبة وصعودها الى بيت المقدس
فلقيه وجوه من المسلمين عليهم ثياب ديباج فامرهم ان يرجعوا فرجعوا فلما رأى عمر ان بعض الثياب
وجوههم وان عرق عليهم ثيابهم ولما اشرف على بيت المقدس قال الله اكبر الله اكبر اللهم
اجعلها فتحا يسيرا واجعل لنا منك سلطانا نصيرا ثم اشار فاشتغلت النبائل
والعشائر وراحي العقود وسار عمر رضي الله عنه حتى نزل برضم كان فيه ابو عبيدة
فاز لا فضربت له خيمة من شعر فجلس فيها على التراب ثم قام وصلى اربع ركعات قال وعلمت
للمسلمين ضجة عظيمة وصياح بالتهليل والتكبير فسمع اهل بيت المقدس ذلك فقالوا انظروا
ما بال العرب قد ارتفعت اصواتهم بالتكبير فنظر فقال قاشرف رجل من منتصر العرب وقال
يا معشر العرب ما قصتكم اخبروني فقالوا ان امير المؤمنين عمر قد اتى رضي الله عنه فقدم علينا
من مدينة رسول الله عليه السلام قال فرجع المنتصر واخبر البطريق بذلك فاطرق ولم يتكلم
فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فلما كان من الغد وقد صلى
عمر رضي الله عنه بالمسلمين صلاة الفجر قال لابي عبيدة يا عامر تقدم الى القوم واعلمهم
اني قد اتيت قال فخرج ابو عبيدة واعلمهم فاعلموا البطريق فخرج من كنيسته
وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسيسون والاساقفة وقد حمل بين
يديه صليب عظيم لا يخرجونه الا يوم عيدهم وسار معه الباطليق وهو الوالي
عليهم وهو يقول للبطريق ان كنت تعرف صفته والا فلا تفتح له قال نعم
وعلا على السور ووقف الباطليق الى جانبه والصليب امامه واشرف على
ابي عبيدة وقال ما شأنك ايها الشيخ البهي قال ابو عبيدة هذا امير المؤمنين
الذي علينا امير فداتي فاخرجوا اليه واعمدوا منه الامان والذمة واقروا له

والصلاة على البشير النذير

٢

بالجزية قال البطريق نادِه يدنو منا فانا نعرفه فان كان هذا صاحبكم فلا بأس
عليه فرجع ابو عبيدة واعلم عمر بما قال البطريق فهم عمر بالقيام فقال له اصحاب
رسول الله صلى الله عليه لا تخرج اليهم منفردا وليس عندك عدة للحرب فتخشى عليك
الغدر منهم قال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الاية ثم امر ببعير فقدم
اليه واستوى على كوره وعليه مرقعته وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية
قد عصب بها راسه وليس معه غير ابي عبيدة سايرين بين يديه حتى قرب من
الحصن ووقف بازاء البطريق والباطليق فنظر ابو عبيدة وقال ما هو الا هذا
امير المؤمنين قد اتى فمشى البطريق عيتنيه فنظر اليه وزعق وقال بعلو صوته
هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه
لا محالة في ذلك ثم قال يا اهل بيت المقدس يا ويلكم انزلوا اليه واعقدوا منه الامان
والذمة فهذا والله صاحب محمد عبد الله قال فلما سمع الروم كلام البطريق نزلوا
مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الم الحصار ففتحوا الباب وخرجوا
الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر عمر رض
اليهم على تلك الحالة تواضع لله وخر ساجدا على قتب بعيره ثم قال ارجعوا
الى بلادكم ولكم العهد والذمة قال فرجع القوم الى حصنهم ولم يغلقوا الباب
ورجع عمر الى معسكره فبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل فيها وكان
دخوله يوم الاثنين واقام فيها الى يوم الجمعة وخط فيها محرابا وهو موضع مسجد
وتقدم فصلى باصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بالغدر فمنعهم ابو الجعد الذي
غدر بالروم يوم اليرموك وكان عندهم لاجل اهله وماله وقال يدخل عليكم غدرا
ولكن ادلكم على شيء اظهروا للعرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان طلبوها
واخذوها وهموا بقدر فشانكم وما تريدون فان الدنيا لا يصبر عنها صاحبها
قال واقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال والمتاع الحسن فاظهروه
وصفوفه في طرق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك في
دخولهم وخروجهم ويتعجبون منه ويقولون الحمد لله الذي اعزنا الله جاء بعوضة
قومهم لهم مثل هذا في الدنيا ولو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة
ما سقى الكافر منها شربة ماء قال عون بن سالم فوالله ما من المسلمين من قد بدده
الى شيء ولا جعل يده على شيء من متاعهم قال ابو الجعد هؤلاء القوم الذين
وصفهم الله في التوراة والانجيل وانهم لا يزالون على الحق ولا يقوم بحدهم
احد ما داموا على ما هم عليه قال الواقدي واقام عمر في بيت المقدس عشرة
ايام وقال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما فتح
بيت المقدس ودخلها اقام فيها عشرة ايام واقبلت نحوه وكنت في قرية

من قرى فلسطين فقدمت عليه واسلمت على يديه لما وجدت نعت النبي عليه السلام
ونعت امته في الكتب المتقدمة ولما وصاني به ابي قال الواقدي ثم ارتحل عمر بعد ان
كتب لاهل بيت المقدس عهدا واقرهم من بلدهم على اداء الجزية وسار بعسكره الى
الجابية فاقام بها ودون الدواوين واخذ الخمس ثم قسم الشام نصفين فاعطى ابا
عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وامره بالمسير الى حلب وان يقاتل اهلها واعطى
ارض فلسطين وارض المقدس والساحل ليزيد بن ابي سفيان وجعل ابا عبيدة و
اليا عليه وامر يزيد ان يحارب اهل قيسارية الى ان يفتحها الله على يديه وكان
قد اعطى اكثر الاجناد لابي عبيدة مع خالد الوليد وسير عمرو بن العاص الى مصر
واستعمل على قضاء حمص عمير بن سعيد الانصاري ثم سار يريد مدينة الرسول
واخذ كعبا معه قلت هذا ما ذكره الواقدي رضي الله عنه وذكره ابن جرير ايضا
في هذه السنة اعني سنة خمس عشرة عن رواية سيف عن عمرو ملخصا ما ذكره ان عمر
ركب من المدينة على فرس يسرع السير بعدما استخلف عليها علي بن ابي طالب فسار
حتى قدم الجابية وقد كتب الى امراء الاجناد ان يوافوه في اليوم الفلاني الى
الجابية فتوافوا اجمعون في ذلك اليوم الى الجابية فكان اول من تلقاه يزيد ابن ابي
سفيان ثم ابو عبيدة ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج
فثار اليهم عمر رضي الله عنه ليحصبهم فاعتذروا اليه بان عليهم السلاح وانهم محتاجون
اليه في حروبهم فسكت عنهم واجتمع الامراء كلهم بعد ما استخلفوا على اعمالهم سوى
عمرو بن العاص وشرحبيل حسنة فانهما توافقا الارطبون بالجانين فبينما
عمر بالجابية اذ ابكردوس من الروم بايديهم السيوف مسلولة فثار اليهم المسلمون
بالسلاح فقال عمر رضي الله عنه ان هؤلاء قوم يستامنون فاروهم فاذا هم جند من
بيت المقدس يطلبون الامان والصلح من امير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فاجابهم
عمر رضي الله عنه الى ما سالوا وكتب لهم كتاب امان ومصالحة وضرب عليهم الجزية واشترط
عليهم شروطا ذكرها ابن جرير وسنعيد في الكتاب خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن
بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمس عشرة ثم كتب
لاهل لد ومن هنالك من الناس كتابا آخر وضرب عليهم الجزية ودخلوا فيما صالح
عليه اهل ايلياء وفر الارطبون الى بلاد مصر فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص
ثم نفر الى البحر فكان يلي بعض السلايا الذي يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من
قيس فقطع يد القيسي وقتله القيسي وقال في ذلك فان يكن ارطبون الروم افسدها
فان فيها بحمد الله منتفعا وان يكن ارطبون الروم قطعها فقد تركت بها او صاله قطعا
وصالح اهل الرملة وتلك البلاد اقبل عمرو بن العاص وشرحبيل حسنة حتى قدما الجابية
فوجدا امير المؤمنين عمر بن الخطاب راكبا فلما اقتربا منه اكبا على ركبتيه فقبلاها

واعتنقهما عمر رضي الله عنه وقال سيف ثم سار عمر الى بيت المقدس من الجابية
فاتوه ببرذون فركبه فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله
من علمك هذا من الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده ففتحت ايلياء وارضها
على يديه ما خلا اجنادين فعلى يدي عمرو بن العاص وقيسارية فعلى يدي معاوية
قال ابن كثير هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيره من ائمة السير فذهبوا الى
ان فتح بيت المقدس كان سنة عشرة وقال محمد بن عايذ عن يزيد بن عبيلة فتحت
بيت المقدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر الجابية وقال ابو زرعة الدمشقي
عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال ثم عاد في سنة سبع عشرة فوجع من سرغ ثم قدم سنة
ثمان عشرة فاجتمع اليه الامراء وسلموا اليه ما اجتمع عندهم من الاموال فقسمها وجند
الاجناد ومصر الامصار ثم عاد الى المدينة وقال ابو مخنف لما قدم عمر الشام فرأى
غوطة دمشق ونظر الى المدينة والقصر والبساتين تلا قوله تعالى كم تركوا من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها
قوما آخرين ثم انشد قول النابغة

هما فينا دهرا يكر عليهما ... نهار وليل يلحقان التواليا

اذا ما هما مرا بحي بغيظه ... اناخا بهم حتى تلافوا دواهيا

وهذا يقتضي بادي الرأي انه دخل دمشق وليس كذلك فانه لم يقل احد انه دخلها
في شيء من قدماته الشام اما الاولى وهي هذه فانه سار من الجابية الى بيت المقدس
كما ذكر سيف وغيره وقال الواقدي اما رواية اهل الشام ان عمر دخل الشام
مرتين ورجع الثالثة من سرغ فليس بمعروف وانما قدم مرة واحدة عام
الجابية حين صالح اهل بيت المقدس سنة ست عشرة ورجع من سرغ سنة
سبع عشرة وهم يقولون دخل في الثالثة دمشق وحمص وانكر الواقدي
ذلك وقال ابن كثير رضي الله عنه ولا يعرف انه دخل دمشق الا في الجاهلية
قبل اسلامه وقال ايضا ان عمر رضي الله عنه حين دخل بيت المقدس سأل كعب
الاحبار عن مكان الصخرة فقال يا امير المؤمنين اذرع من وادي جهنم
كذا وكذا ذراعا فهي ثم فذرعوا فوجدوها وقد اتخذها النصارى مزبلة
كما فعلت اليهود بمكان القمامة فامر عمر رضي الله عنه بازالة ما عليها
من الكناسة حتى قيل انه كنسها بردائه ثم استشار كعبا اين يضع
المسجد فاشار عليه بان يجعله من وراء الصخرة فضرب في صدره وقال

عمر رضي الله عنه السين المهملة والراء وفي آخره
عين مهملة وقيل بسكون الراء قرية
بواحي تبوك من طريق الشام وقيل على ليلة من المدينة

يا كعب ضارعت اليهودية وامر ببنائه في مقدم بيت المقدس وقد روى احمد بن
مروان الدينوري عن محمد بن عبد العزيز عن ابيه عن الهيثم بن عدي عن اسامة بن زيد بن
اسلم عن ابيه عن جده اسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم انه قدم دمشق في تجار
من قريش فلما خرجوا تخلف عمر لبعض حاجته فبينما هو بالبلد اذا بطريق اخذ بعقبه
فذهب ينازعه فلم يقدر فادخله دارا فيها تراب وفاس ومجرفة وزنبيل فقال له
حول هذا من ههنا الى ههنا وغلق عليه الباب وانصرف فلم يجئ الى نصف النهار
قال وجلست مفكرا ولم افعل منذ قال لي شيئا فلما جاء قال مالك لم تفعل وكلمني في رأسي
بيده قال فاخذت الفاس فضربته بها فقتلته وخرجت على وجهي فجئت دير الراهب
فجلست عنده من العشي فاشرف علي فنزل وادخلني الدير واطعمني وسقاني
واتحفني وجعل يحقق النظر في وسألني عن امري فقلت اني اضللت اصحابي فقال
انك لتنتظر بعين خابية وجعل يتوسمني ثم قال لقد علم اهل دين النصرانية اني
اعلمهم بكتابهم واني لارى الذي خرجت من بلادنا هذه فهل لك ان تكتب الي كتاب
امان على سوتر هذا فقلت ما هذا لقد ذهبت غير مذهب فلم يزل بي حتى كتبت
له في صحيفة ما طلب مني فلما كان وقت الانصراف اعطاني اتانا فقال
اركبها فاذا وصلت الى اصحابك فابعث بها الي وخذها فانها لا تمر بدير الا
اكرموها ففعلت ما امرني به فلما قدم عمر رضي الله عنه لفتح بيت المقدس اتاه ذلك
الراهب وهو بالجابية بتلك الصحيفة فامضاها له عمر رضي الله عنه واشترط عليه ضيافة
من يمر به من المسلمين وان يرشدهم الى الطريق رواه ابن عساكر وغيره
وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني الربيع بن ثعلبة ثنا ابو اسماعيل المؤدب عن
عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي عن ابي العالية الشامي قال قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الجابية على جمل اورق تلوح صلعته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة تصطفق
رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب ووطاؤه كساء ابجي ذو صوف هو وطاؤه اذا
ركب وفراشه اذا نزل حقيبته نمرة او شملة محشوة ليفا هي حقيبته اذا
ركب ووسادته اذا نزل وعليه قميص مزكرابيس قد دسم وتخرق جيبه
فقال ادعوا الي رأس القوم فدعوا له الجلوس فقال اغسلوا قميصي وخيطوه واعيدوا
قميصا او ثوبا فاتي بقميص كتان فقال ما هذا فقالوا كتان قال وما الكتان فاخبروه
فنزع قميصه فغسل ورفع واتي به فنزع قميصه ولبس قميصه فقال له
الجلوس انت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الا البرذون فاتي ببرذون مطرح
عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه فقال احبسوا ما كنت اظن الناس

يركبون الشيطان قبل هذا فاتى بجمله فركبه القمراء الشهباء وكذلك الاقمر والاورق
البعير الذى يكون لونه لون الرماد والاصلع الذى ليس على رأسه شعر وبرق
من بعيد والانجانى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر التاء وبالجيم نسبة الى نجران
وهى قرية بلاد الشام والحقيبة بفتح الحاء المهملة وكسر القاف معروفة والنمرة
كساء ملون مخطط وقوله حنيطوه اى طيبوه ويخبروه ومنه الحنوط وهو عطر مركب
من انواع الطيب **ذكر وقعة قيسارية الشام** وهى من اعمال
فلسطين منها الى عكة ستة وثلاثون ميلا وكانت مدينة عظيمة واليوم خراب
وقد ذكرناها فى البلاد قال ابن جرير وفى هذه السنة امر عمر رضى الله عنه معاوية بن ابى
سفيان على قيسارية وكتب اليه اما بعد فقد وليتك قيسارية فسر اليها واستنصر الله
عليهم واكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسار اليها فحاصرها وزاحفه اهلها مرات عديدة وكان اخرها وقعة ان قاتلوا قتالا عظيما وصمم عليهم
معاوية واجتهد فى القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحوا
من ثمانين الفا وكملت المائة الالف من الذين انهزموا عن المعركة وبعث بالفتح
والاخماس الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وذكر الواقدى ان عمر رضى الله عنه
لما بعث ابا عبيدة الى حلب وانطاكية بعث يزيد بن ابى سفيان الى قيسارية
فنازلها وكانت قيسارية اهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين
بن الملكهر قل ومعه ثمانون الفا من الروم ومن العرب المتنصرة والروسية
فلما نظر قسطنطين الى المسلمين بعث الى ابيه يخبره بذلك فبعث اليه هرقل بصاحب
مرعش وهو اوبن بن مجاويل في عشرين الفا من ابطال الروسية ونفذ اليه
المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد الى ذلك ولا قدرة له عليها كتب الى عمر رضى الله عنه
يطلب النجدة وبعثه مع سالم بن حميد النخعى فكتب عمر رضى الله عنه الى ابى عبيدة
يأمره بنجدة يزيد فانجده ابو عبيدة وفتحه بعد قتال شديد وذكر الواقدى
فى فتوح الشام انها فتحت فى سنة سبع عشرة وان الذى فتحه عمرو بن العاص رضى الله عنه
وكان معه خمسة الاف نفر وكان قسطنطين فى ثمانين الفا من عسكره وممن
انهزم من عسكر ابيه ومن سائر القوم فبعث اولا عشرة الاف مقدمهم
بطريق اسمه مكلاوك وهو صاحب جيشه ثم بعث عشرة الاف اخرى مع مستق
العسكر اسمه جرسلوا فلما كان من اليوم الثانى خرج قسطنطين فى بقية الجيش
وترك على حفظ قيسارية ابن عمه نسطاويل وترك عنده عشرين الفا ثم ان العسكر
ان لما التقيا ارسل قسطنطين يطلب الصلح فلم يرض عمرو بن العاص الا باحد

ثلاث الاسلام او اداء الجزية او القتال فاتفقوا على القتال وتصافوا ووقعت مبارزات
كثيرة بين الابطال من الفريقين ثم خرج خالد الملكهر اسمه قيدمون وكان شجاعا بطالا
عظيما فخرج اليه غلام من اليمن فقتله قيدمون ثم خرج اليه اخر فقتله ثم خرج اليه
شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشجه قيدمون بعد ان اوى
للفريقين ابوابا من الحرب ثم تواخذا على الجواد ثم فبينما هما فى المعركة اذ نزل
المطر العظيم فسقطا الى الارض وجعلا يتصارعان فى الطين والوحل فصرعه
قيدمون واستوى على شرحبيل رضى الله عنه وهم ان يذبحه فنادى شرحبيل
بقلب خاشع يا غياث المستغيثين فما استتم كلامه حتى خرج فارس من عسكر الروم
فظن قيدمون انه خرج ليعطى جواده فلما قرب ضرب البطريق ضربة قطع راسه
فراحت روحه الى الهاوية وقال شرحبيل حسنة من انت قال انا الشقى طليحة بن
خويلد الازدى الذى ادعيت النبوة ولحقت بالروم والان قد هدانى الله الى الاسلام
فتبت الى الله تعالى وقتلت هذا الملعون لعل الله ان يعفو عنى بذلك فلما قتل قيدمون
وقع الرعب والخوف فى قلب قسطنطين وعسكره لانه كان ركن جيشه فلما كان
الليل ارتحل بجيشه فاصبح المسلمون وليس لهم اثر فكتب بذلك عمرو بن العاص
الى ابى عبيدة فكتب اليه ان انزل ممن معك على قيسارية وانا فى اثر الكتاب اسير الى صور
وعكه وطرابلس ثم عول ابو عبيدة رضى الله عنه على الرجوع الساحل فقام اليه يوقنا
صاحب حلب وقال انى اريد ان اسير قبلك الى الساحل فلعلى افوز بالقوم فاذن
له فخرج فى اربعين الاف من اصحابه ممن اسلموا معه الذين اراد الله توفيقهم وهداهم
واصحب معه قليطانوس باصحابه صاحب الرومية وكانوا معولين على زيارة القدس
الشريف والمقام بها وكان قسطنطين لما انهزم الى قيسارية بعث اليه اهل طرابلس
الشام يطلب النجدة فبعث اليهم ثلاثة الاف من البطارقة مقدمهم بطريق اسمه
جرفاس فلما كانوا بالقرب منهم نزلوا فى مرج اذا اشرف عليهم يوقنا واصحابه
وهم بزيهم وملابسهم فلما راهم جرفاس ركب اليهم فقال من انتم فقال يوقنا نحن
الذين جاءنا الى هؤلاء العرب وظننا انهم على شئ فاذا هم ليسوا على شئ فها نحن هربنا
منهم قاصدين قسطنطين فلما سمع جرفاس بذلك صدقهم وانزلهم واحسن اليهم فاموا
واركبوا فودعهم جرفاس وساروا فلما كان بالليل كمن يوقنا باصحابه فى طريق القوم
فلما جاء جرفاس بعسكره وتوسطوا الكمين اطبق عليهم يوقنا باصحابه فاخذوهم
اخذا بالكف ثم لبسوا زى اهل قيسارية وساروا نحو طرابلس فلما وصلوا اليها خرج
كل من كان فى البلد الى لقائهم وكان كتاب قسطنطين قد وصل اليهم انى قد بعثت

اليكم ثلاثة الآف فارس مع جرفاس بن صليبا ودخل يوقنا باصحابه حتى استقر في البلاد دار
الامارة فدخل عليه شيوخ طرابلس والبطارقة فلما تمكن منهم قبض على الجميع فعند ذلك
علموا ان يوقنا احتال عليهم فمنهم من أسلم ومنهم من رضي بالجزية فكتب يوقنا بذلك الى
ابي عبيدة ففرح ابو عبيدة والمسلمون فرحا شديدا ثم وصل اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه
في الف فارس وسلم يوقنا المدينة اليه فخرج وسار الى صور في مراكب وكان على صور دمستق
اسمه ارمويل بن قسطه فلما وصلوا اليها استخبرهم الدمستق فقالوا نحن من قبرص
اقبلنا بالميرة لابن الملك وصدقوهم وانزلوهم في المدينة وكان في اصحاب يوقنا رجل تحكمت
الضلالة على قلبه اخبرهم بانهم يوقنا واصحابه وكانوا تسع مائة رجل فلما سمع بذلك
ارمويل قبض على الجميع وقال الواقدي رحمه الله ولما نزل عمرو بن العاص على القيسارية
بعث يزيد بن ابي سفيان في الفي فارس الى صور فلما جاءوا استخبر بهم ارمويل
وخرج اليهم بعسكره وترك على حفظ يوقنا ابن عمه فاسيل وكان فاسيل هذا قد
قرأ الكتب وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم عند بحيرا الراهب حين خرج الى الشام
فاقبل الى يوقنا وحله من قيده وحل اصحابه ايضا فقاموا واجتمعوا وثاروا في
المدينة ووصل الخبر الى يزيد بن ابي سفيان فبقي يوقنا من داخل المدينة ويزيد
من خارجها حتى قتلوا الروم وفتحوا المدينة فهرب من هرب ومن بقي طلب
الامان فدخل يزيد المدينة وملكها وضرب عليهم الجزية وبعثوا بالخبر الى ابي
عبيدة فشكر الله تعالى وحمده على ما فتح للمسلمين وبلغ الخبر الى قسطنطين
ان صورا قد اخذت وانه جرى كيت وكيت فعند ذلك انقطع امله وعلم وتحقق
انه لا يقاوم العرب فانتهز الفرصة واخذ خزانته وامواله وحرمه واهله
وركب بهم في جوف الليل ولحق بابيه الى القسطنطينية فلما نظر اهل قيسارية
انه هرب وركب البحر وسار خرجوا الى عمرو بن العاص فصالحوه وقال الواقدي
ودخلها عمرو بن العاص يوم الاربعاء في العشر الاوسط من شهر رجب من سنة سبع
عشرة من الهجرة وبلغ الخبر الى اهل رملة وعكة وعسقلان وغزة وبابليس
فعقدوا كلهم صلحا مع المسلمين وكذلك اهل بيروت واهل السواحل كلها
وبقي ان كلها ملكا للاسلام واهله والحمد لله على ذلك **ذكر ما جرى**
في ارض العراق في هذه المدة قال ابن جرير ولما فرغ سعد ابن
ابي وقاص من امر القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حنونة ثم اتبعه
بالامراء واحدا بعد واحد ثم سار في الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن
ابي وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة وجعل خالدا هذا على الساقة

فساروا في خيول جحافل عظيمة وسلاح كثيرة وذلك لاربع بقين من شوال من هذه
السنة اعني سنة خمس عشرة من الهجرة فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين ايديهم
نحو المدائن فلقيه بصبهرا في جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس
في هزيمتهم الى بابل وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم
الفرزان فبعث زهرة الى سعد فاعلمه باجتماع المنهزمين ببابل فسار سعد
بالجيوش الى بابل فتقاتلوا هو والفرزان عند بابل فهزمهم باذن الله تعالى
كاسرع من لفة الرداء وانهزموا بين يديه ففرقتين فرقة ذهبت الى المدائن
وفرقة اخرى صارت الى نهاوند واقام سعد ببابل اياما ثم سار منها نحو
المدائن فلقوا جمعا آخر من الفرس فاقتتلوا قتالا شديدا وبارز امير الفرس
وهو شهريار فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له نايل الانفر جي ابو نبانة
من شجعان بني تميم فتجاولا ساعة بالرماح ثم القيا ها فانتضيا سيفهما
وتصاولا بها ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما الى الارض فوقع شهريار على
صدر ابي نبانة واخرج خنجرا ليذبحه بها فوقعت اصبعه في فم ابي نبانة
فقضمها حتى شغله عن نفسه واخذ الخنجر فذبح شهريار بها واخذ فرسه
وسواريه وسلبه وانكشف اصحابه فهزموا فاقتسم سعد على نايل ليلبسن
سواري شهريار وسلاحه وليركبن فرسه اذا كان حرب فكان يفعل
ذلك قالوا فكان اول من سور بالعراق وذلك بمكان يقال له كوثى وزار
المكان الذي حبس فيه ابرهيم الخليل عليه السلام وقراه وتلك الايام تداولها بين
الناس الاية اقول كوثى بضم الكاف وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة
كانت ارض نمروذ عليه اللعنة عدو ابرهيم عليه السلام ويقال لها كوثى ربا
بفتح الراء وفتح الباء الموحدة المشددة **ذكر وقعة نهر سير** قالوا ثم قدم
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه زهرة بين يديه من كوثى الى نهر سير فمضى في
المقدمة وقد تلقاه شير زاذ في رساتيق باط بالصلح والجزية فبعثه الى سعد
وامضاه ووصل سعد بالجنود الى مكان يقال له مظلم ساباط فوجدوا هناك
كتائب كثيرة للفرس يسمونها بوارين وهم يقسمون كل يوم لايزدل
ملك فارس ما عشنا ومعهم اسد عظيم للكسرى يقال له المفدر قد اعدوه
في طريق المسلمين فتقدم اليه ابن اخي سعد وهو هاشم بن عتبة فقتل الاسد
والناس ينظرون وسمي سيفه يومئذ المثنى وقبل سعد راس هاشم
وقبلها هاشم "قدم سعد وحملها هاشم" على الفرس فاراهم عزائمهم وهزمهم

وهو يتلو قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من ما لكم من زوال فلما كان الليل ارتحل المسلمون فنزلوا بنهر سير فجعلوا كلما وقفوا كثروا وكذلك كان اخوهم مع سعد فاقاموا بها
شهرين ودخلوا في الثالث وفرغت السنة وقال ابن جرير وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عامله على مكة عتاب وعلى الشام ابو عبيدة وعلى الكوفة والعراق سعد وعلى الطايف يعلى بن امية وعلى البحرين واليمامة عثمان بن ابي العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وفي تاريخ النويري وفي هذه السنة وضع عمر الدواوين وفرض العطا للمسلمين ولم يكن قبل ذلك وقيل كان ذلك سنة عشرين فقيل له لو بدأت بنفسك فامتنع وبدأ العباس عم النبي عليه السلام ففرض له خمسة وعشرين الفا ثم بداء بالاقرب الاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لاهل بدر خمسة الاف خمسة الاف ولمن بعدهم الى الحديبية وبيعة الرضوان اربعة الاف اربعة الاف ثم لمن بعدهم ثلاثة الاف ثلاثة الاف وفرض لاهل القادسية واهل الشام الفين الفين وفرض لمن بعد القادسية واليرموك الفا الفا وفرض لاولادهم خمسماية خمسماية ثم ثلثماية ثلثماية ثم مايتين وخمسين مايتين وخمسين

ذكر من توفي فيها

من الاعيان سعد بن عبادة في قول سعد بن عبيد بن النعمان ابو زيد الانصاري الاوسي قتل بالقادسية ويقال انه ابو زيد القاري احد الاربعة الذين جمعوا القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكر اخرون ذلك وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال كانت في سنة ست عشرة سهل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي ابو يزيد العامري احد خطباء قريش واشرافهم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه حضر اليرموك وكان اميرا على بعض الكراديس ويقال انه استشهد يومئذ وقال الواقدي وابن ابي حفص توفي بطاعون عمواس عامر بن مالك بن اهيب الزهري اخو سعد بن ابي وقاص استشهد يوم اليرموك عبد الله بن سنان بن عبد الاسد المخزومي صحابي هاجر الى الحبشة روى عنه عمرو بن دينار منقطع لانه قتل يوم اليرموك عبد الرحمن العوام اخو الزبير بن العوام حضر بدرا مشركا ثم اسلم استشهد يوم اليرموك عتبة بن غزوان توفي فيها في قول عكرمة بن ابي جهل استشهد باليرموك في قول عمرو بن ام مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم ويقال بل رجع الى المدينة فراس بن النضر الحارث يقال انه استشهد يوم اليرموك فراس بكسر الفاء وتخفيف الراء وبالسين المهملة قيس بن عدي بن سعد بن سهم من مهاجرة

الحبشة قتل باليرموك قيس بن ابي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف الانصاري المازني شهد العقبة وبدرا وكان احد امراء الكراديس يوم اليرموك وقيل يومئذ وله حديث قال قلت يا رسول الله في كم اقراء القران قال في خمس عشرة الحديث قال الذهبي هذا دليل على انه ممن جمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نضيد ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري اسلم عام الفتح استشهد يوم اليرموك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن اسر يوم بدر ففداه العباس ويقال انه هاجر ايام الخندق وشهد الحديبية والفتح واعان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بثلاثة الاف رمح وثبت يومئذ توفي سنة خمس عشرة وقيل سنة عشرين

ثم مما وقع من الحوادث في السنة السادسة عشرة

اعلم ان فتح حلب وانطاكية ومنبج واعزاز ودلوك وعنتاب وزاوندان وقورص واللاذقية وانطرطوس ونحوها كان في هذه السنة على قول بعض المورخين وقيل كان في سنة خمس عشرة وقيل كان فتح انطاكية في سنة سبع عشرة على ما نذكره في موضعه لنشاء الله تعالى

ذكر وقايع حلب

قد ذكرنا ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس وقسم بلاد الشام بين امراء ابي عبيدة رضي الله عنه بالمسير الى حلب فسار حتى اتى قنسرين واقام عليها وكان هي في صلح فسمع بذلك صاحب حلب وهو يوقنا وعرف ان ابا عبيدة فتح الحاضر وقنسرين وانه نازل عليها وخيله تضرب الى المعرات والعواصم والبقاع الى مدة الفرات واقبل على اخيه بوحنا واستشاره في ذلك وكانا الخوين لاب وام وكانا يسكنان في القلعة ولم يكن المدينة يومئذ محيطة بالقلعة وانما كانت منفردة بذاتها وكان ابوهما ملك البلد واعماله الى حدود الدروب وحدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها احد وكان هرقل قد اقطعه اياها خوفا من شره ومكره ليلا يجلس في المملكة فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها وانبسط في البلاد فلما هلك ملك الامر من بعده ولده يوقنا وكان اكبر اولاده وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب وكان اخوه بوحنا قد نزع يده من الملك وترهب وكان اعلم اهل زمانه ولما استشاره يوقنا قال يا اخي انا انصحك ولا اغشك ان قبلت مني النصيحة وان كنت اصغر منك سنا ليعلون امرك ويتسلم لك ما لك ونفسك فقال يوقنا ماذا ترى قال الراي عندي ان ترسل رسولا الى العرب وان شئت انا رسولك اليهم فتبذل

شيئاً من المال فتسألهم الصلح وتتفق معهم على مال معلوم في كل سنة مادامت
الغلبة لهم فلما سمع يوقنا من اخيه ذلك غضب وقال فبحكم المسيح فما اعجز
رايك وانما ولدتك امك رباها وقسا ولم تلدك ملكا والرهبان لا قلوب لهم
لان اكلهم القدس والزيتون والبقل وليس لهم بصيرة بالقتال والملاقاة الرجال
واما انا فملك بن ملك وليس بيني وبينهم الا الحرب فلما سمع يوحنا ذلك تبسم
متعجبا وقال وحق المسيح اني اظن ان اجلك قد قرب لانك صاحب بغي
تحب سفك الدماء وما اظن جموعك اكثر من جموع هرقل الذين جمعهم
في اليرموك مع ماهان ويوم اجنادين فلما سمع يوقنا ذلك ازداد غضبه
قال الواقدي رحمه الله واحتوى الشيطان على قلبه ثم قال يوحنا كلامك علي حرام
حتى ترجع الى رأيي فتفرقا ولما كان من الغد جمع يوقنا اليه كل من جاء اليه
من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم واعطاهم السلاح وفرق
عليهم الاموال وجعل يهون امر العرب عليهم ويقول انهم قليل ان جموعهم
قد افترقت منهم على قيسارية الشام ومنهم من توجه الى مصر قال الواقدي
وعزم على قتال ابي عبيدة قبل ان يصل اليه والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته
اسمه كراكلس وضم اليه الفلابسر وكلهم بحفظ بلده واتخذ من الفارات
وسار يوقنا بمن معه يريد ان يلقى جيش ابي عبيدة وهو يومئذ في اثني
عشر الف مدرع غير من كان بغير لبس ونشر امامه الاعلام والصليب
الذي يعظمه وكان من حوله الف اعلام وكان ابو عبيدة رضي الله عنه
سرح كعب بن ضمرة بالف فارس ليختبر امر يوقنا ووصاه ان لا يقاتل
الا ان يطيقه وعرفه انه راحل وراءه وكان يوقنا قد قدم امام عسكره عيونا
يأتونه بالاخبار فوردت عليه جواسيسه تخبره ان خيول المسلمين قد
اتت تريد بلده فقال لهم في كم كانوا قالوا في الف فارس وهم على ستة
اميال من بلاكر وال فكمن لهم يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيشه حتى اشرف
على المسلمين وهم نزول على نهر ماء يسقون خيولهم ويتوضؤون
فلما اشرف عليهم يوقنا والصليب امامه نادى المسلمون بعضهم بعضا
واستووا على خيولهم وركب كعب وسبق في اوايل قومه واشرف على
جيش يوقنا فحزرهم في ستة الاف وكان يوقنا قد قسم جيشه
نصفا معه ونصفا في الكمين فانقلب كعب الى اصحابه وقال يا انصار الله
القوم ستة الاف وهم لكم مغنم اما يقاتل احدكم ستة نفر قالوا بلى والله

فاقبل

فاقبل يشجع بعضهم بعضا وقربت الفيئة من الفيئة وصاح يوقنا برجاله وامرهم
بالحملة على المسلمين حملة صعبة والتقى الجمعان واشتد الحرب وقاتل القوم
قتال الموت وقد ايقنوا بالغنيمة والظفر اذ طلع عليهم الكمين من ورايهم في
ستة الاف فارس وكبر اصحاب الكمين بالحملة على المسلمين وعمل الكمين عملا عظيما
فلله در رجال كنيدة يومئذ فلقد قاتلوا قتالا شديدا ووهبوا انفسهم لله
حتى قتل منهم في ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وافترق المسلمون ثلاث
فرق فرقة منهزمة وفرقة قصدت لقتال الكمين وفرقة مع كعب وكعب قلق
على المسلمين وهو يجول بالراية وينادي يا محمد يا محمد يا نصر الله اتى لمعاشر
المسلمين اثبتوا لهم فانها هي ساعة ويأتي النصر من الله فجعل المسلمون يقبلون
اليه حتى اجتمعوا حوله فنظر اليهم والجراح فاشية فيهم وقد قتل من المسلمين
مائة وسبعون رجلا فاما الاعيان منهم عبادة بن عاصم التجيبي وزيد بن عامر البياضي
وحازم بن شهاب وعنان بن سيف وسهيل بن اشيم البجلي ورفاعة بن محصن
الضمري وملجم بن ماجد العسكري وسنان بن عروة وسعد بن مفلح وكان ممن
شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتال اليمامة
مع خالد بن الوليد قال ابن مسعود لقد اسفنا على قتله ووجدنا فيه اربعين
ضربة كلها في صدره ولم يخد احدة في ظهره وكانت الاعيان اربعة عشر
رجلا الا ان الرجل ما قتل حتى قتل اعدادا من الروم وظهر الفشل في الروم حين
نظروا الى ثبات المسلمون على قلة عددهم فهموا بالهزيمة فثبتهم يوقنا
وقال لهم ياويلكم ما العرب الا كمثل الذباب ان صدقت ولت وان تركت
طمعت ولما نظر كعب رضي الله عنه الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا
فنزل عن فرسه ولبس درعا فوق درعه ومسح وجه فرسه ومناخره وكان
شهد معه المواطن وجاهد عليم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه
الهطال ثم استوى على متنه ووقف امام المسلمين ينتظر جيشا من ابي عبيدة
يصل اليه او طليعة تقدم عليه فلم ير لذلك اثرا وذلك ان ابا عبيدة قطعه عن
المسير اليه قدوم اهل حلب اليه وذلك انه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين
اجتمع مشايخ اهل حلب ورؤساؤهم بعضهم الى بعض فاتفقوا ان يصالحوا
على مال وقالوا ان ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكون آمنين وان غلب
البطريق رجعنا ولم يعلم بصلحنا فاتفقوا على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا
من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا حتى وصلوا الى ابي عبيدة

الآخ

ع وردان

رضي الله

رضي الله

وهو على قنسرين وقد عزم على الرحيل وكان قدومهم عليه ليلا والنيران
توقد بين يديه وسألوه الصلح فقال ابو عبيدة كيف نصالحكم وقد بلغني
ان بطريقكم قد صمم على قتالنا وما لكم عندنا صلح قالوا ايها الامير ان
بطريقنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم قال ابو عبيدة ومتى خرج
قالوا خرج سحيرا وخرجنا نحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه فلما
سمع ابو عبيدة بخروج البطريق خاف على طليعته وقال لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم هلكنا والله كعب ومن معه فاطرق الى الارض ساعة
وقال شيوخ اهل حلب للترجمان كلمنا الامير في الصلح قال فكلمه قال ابو عبيدة
بضجرة لا صلح لكم عندنا فخاف الشيوخ على انفسهم فقالوا انه قد اجتمع الينا
من القرى والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض
وان ابيتم ذكر نفر الناس عنكم وشاع الخبر بانكم لا تصالحون فلا يبقى
حولكم احد ثم خرج من بينهم رجل حسن الوجه وكان حكيما من حكماء الروم
فصيحا بلسان العرب فقال اسمع ايها الامير ما القيه اليك من العلم الذي
انزله الله تعالى في الصحف على لسان انبيائه فقال ابو عبيدة قل فقال ان
الله انزل على نبينا ان الرب الرحيم خلقت الرحمة واسكنتها في
قلوب المؤمنين وانى لا ارحم من لا يرحم فمن احسن الي احسنت
اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفى عفوت عنه ومن طلبني وجدني
ومن اغاث ملهوفا امنته يوم القيامة ومن شكر المحسن على احسانه
فقد شكرني وانا قد اتيناكم ملهوفين خائفين فاقل عثرتنا وامن روعتنا
واحسن الينا قال فبكى ابو عبيدة من قوله وقراءته ان الله يحب المحسنين
ثم قال والله بهذا ارسل الينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى جميع الخلق ثم
اقبل على المسلمين وفيهم الرؤساء من الانصار والمهاجرين وقال ان اهل
بصوفة وصنيع وهم مستعطفون وقد رايت ان تطيب قلوبهم ونصالحهم
فانه متى كانت المدينة في ايدينا والسوقة معنا فانهم يعينوننا بالميرة
والعلوفة ويعلمونا بما يعزم عليه عدونا ويكونوا عونا لنا فقال رجل
من المسلمين ما هذا الامكر وخديعة منهم الا ترى ان بطريقهم قد خرج
لقتالنا وكيف يطلب هو الصلح فقال ابو عبيدة احسن ظنك بالله وثق
به فان الله لا يخذلنا ولا يسلط علينا عدونا فصالحهم ابو عبيدة على
نصف ما اعطى اهل قنسرين بشرط ان يعينوهم بالميرة ويبيعوهم

ويشترون في معسكرهم ولا يكتمون شيئا من امور اعدائهم وان رجع بطريقهم
منهزما الى القلعة يمنعونه من الصعود قالوا ايها الامير اما منع البطريق
عن القلعة فلا نجد الى ذلك سبيلا ولا نقول لكم ما لا نفعله وقال ابو عبيدة فلا
يمنعوه فوقع الصلح على ذلك فاخذ عهدهم وكتب اسماءهم وقال الواقدي
ورجع القوم من ليلتهم الى المدينة فلما اصبح ولم يصلوا فلما اشرفوا على حلب
فنظر اليهم بعض اعلاج البطريق وهم راجعون فقال لهم من اين اقبلتم
فظنوا انه من اهل حلب فاخبروه بصلحهم مع ابي عبيدة فمضى الغلام
فاخبر بوقتنا بذلك وهو منازل لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احاط بهم
وهو يظن انه قد ملكهم فلما سمع البطريق ذلك خاف على القلعة ان يملكوها
في غيبته فانفسخ ما كان يؤمله ان يفوز بالظفر من اصحاب ابي عبيدة كعب
ومن معه وكان قد قتل من المسلمين مائتان ونيف وكعب قد اضر في نفسه
الحرب وايقنوا انهم هلكى لا محالة ومع ذلك كان يتوقع راية ابي عبيدة ان
تطلع عليهم فاقسم كعب بالله ان كان احدنا صلى صلاة ولا وصل الى زاد
يأكله ولا ما يشرب به من الحرب الذي بيننا في ذلك وليلته الى الصباح من اليوم
الثاني قال فبينما انا في ذلك اذ رايت جيش العدو قد اضطرب وقد علته بخة
عظيمة فقلت ما هذا الا لامر قد لحقهم من بلده او من الملك فالتجئت الى كلمة الشدا
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال كعب فوجيش رسول الله عليه السلام ما قلت
الكلمة حتى رايت جيش العدو قد انكشف على عقبه فقلت الحمد لله حمد
الشاكرين وانا اظن ان صائحا صاح بهم من السماء فردهم اجمعين املائكة
نزلت من السماء كيوم بدر فلم ار لهم اثرا قال الواقدي وابطأ خبر كعب على
ابي عبيدة فلما صلى الصبح اقبل على المسلمين وخاطب خالدا وقال يا ابا سليمان
ما رقدت البارحة غما على كعب ومن معه فاظن ان بعوقنا قد سار اليهم
وقاتلهم وقتلوهم عن اخرهم فقال خالد وانا ايضا كذلك فما الذي عزمت ان تصنع
قال على الرحيل ثم امر الناس بالرحيل فساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد
بن الوليد فوصلوا المسلمين وهم نيام قد اقاموا لهم حرسا يحرسهم فلما اشرف
عليهم خالد صاحوا النفير النفير يا انصار الله فوثبوا من مضاجعهم
كانهم اسود ضارية واستووا على متن خيولهم واستقبلوا اذا هي راية
المسلمين يحملها خالد بن الوليد فقدموا وسلم بعضهم على بعض ثم اقبل
ابو عبيدة

رضي الله عنه

ابو عبيدة ينصرف

هو الاصح

اليوم ع

يد

رضي الله عنه

فلما نظر الى كعب وهو سالم حمد الله تعالى ونظر الى موضع المعركة والقتال
واذا القتلى مطروحين وما كان المسلمون وارّوهم فاشترجع وبكى ثم قال
امران نحفرلهم حفايرثم نجمعهم ونصلي عليهم صلاة واحدة وامر بدفنهم
في اسلابهم ودمائهم فلما وارّوهم قال ابو عبيدة لخالد ان كان عدو الله
قد رجع الى بلده وعلم بكلم القوم فسيلقون منهم تعبا شديدا فالحق بهم فقد
وجب علينا ان نذب عنهم فانهم تحت ذمتنا قال وارتحل ابو عبيدة من
ساعته يريد حلب ذكر نزول ابي عبيدة رضي الله عنه و
المسلمين على حلب قال فلما ورد ابو عبيدة على حلب واذا البطريق
وجدوه قد احدقوا حول حلب وهو يريد قتلهم لاجل ما سمع من الصلح
فقال ان المسيح لا يرضى فعلكم فوحق المسيح لاقتلنكم لمن اخركم او تخرجوا مني
الى قتال العرب وتنقضون العهد والصلح واخرجوا الي من بداء بالامر
حتى ابداء به قال فسلم يطلعوه قال لعبيدة ادخلوا عليهم واتوني بهم حتى
اقتلهم وقد اخبرني فلان البطريق عنهم وعرفني بهم قال فهجم العبيد
عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وابوابهم منازلهم فسمع اخوه يوحنا
الضجة وهو في القلعة فنزل الى اخيه ونظر اليه يقتل اهل المدينة وقد قتل
منهم ثلثمائة رجل فصاح به لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وينهى المسيح
عن قتل العدو فكيف من هو على ديننا فقال يوحنا لاخيه انهم صالحوا
العرب على البلد وصاروا عونا علينا فقال يوحنا وماذا عليهم من ذلك
وانما ارادوا الصلح لانهم ليسوا باهل حرب ولا قتال فقال يوحنا وحق المسيح لا
ابقيت منهم احدا وانك انت الذي حملتهم على الصلح وانت اول من ابطش به ثم عمد
اليه وقبض عليه وجرد سيفه ليعلو به فلما نظر يوحنا الى اخيه يوحنا وقد جرد
عليه سيفه علم انه هالك لا محالة رفع بصره الى السماء وقال اللهم اشهد اني مسلم
اليك مخالف لديني هؤلاء القوم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وان المسيح نبي الله ثم قال لاخيه اصنع الآن ما انت صانع فحمله الغيظ على ان رمى
برأس اخيه فانتدب لقتال اهل البلد وهم يستغيثون اليه فلا يغيثهم فكثر
منهم الضجيج وقد اخذوا البلد من جوانبه وقد يئس اهل حلب من نفوسهم واذا
بالفتح قد اتاهم والمعونة قد ادركتهم اذ اشرفت عليهم راية الاسلام ومن
حولها ابطال المؤمنين وهم ينادون بكلمة التوحيد يقدمهم خالد بن الوليد
والى جانبه ابو عبيدة ثم صاح خالد بجواده وحمل وزعق بالقوم في حملته

وقال

قدم

وقال انفرجوا يا معشر الاعلاج عن اهل صلخن ثم اباد فيهم الطعن وحمل اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا السيوف فيهم فلما نظر الروقنا ذلك يوقنا انهزم الى قلعته مع جملة
بطارقته فمن لجأ الى القلعة سلم ومن طلب الهروب الى البر قتل وكان جملة من
قتل يوقنا من اهل الصلح ثلثمائة رجل قال محصن وقتلنا نحن من اصحابه ثلاثة الاف
رجل ودخل يوقنا قلعته واستعد للحصار ونصب المنجنيقات والعرادات ونشر
السلاح واما اهل حلب فانهم اخرجوا الى ابي عبيدة اربعين اميرا من البطارقة فقال
ابو عبيدة للترجمان قل لهم لاي شيء اسرتموهم قالوا انهم من اصحاب يوقنا هربوا
الينا فلم نران نخفيهم عنكم لانهم ليسوا معنا في الصلح قال فاعرض عليهم الاسلام فاسلم منهم
سبعة واما الباقون فضرب رقابهم ثم امر ابو عبيدة بالزحف الى القلعة فتر حلت
الفرسان واختلط العبيد والسادات وكان يوما عظيما وقد جرحت الجان خلقا
كثيرا فقتلت البعض واوهنت البعض وكان من جملة من قتل بالجان عامر بن الاسلع
الدبعي ومروان بن عبيد الربعي وحسان بن حنظلة الربعي وسليمان بن فارع العامري
وعطاف بن سالم الكلابي وسراقة بن مسلم عوف العدوي وعاصم فادح العدوي ومرة
بن سفيان العدوي وزيد بن سيف العدوي وسوار بن مالك العدوي وكان جملة من قتل ذلك اليوم
اربعة من ربيعة ورجل من آل عامر ورجل من بني كلاب وسبعة من بني عدي رضي الله عنهم اجمعين
قال سراقة بن مالك والله لقد كنا نرى بعد ذلك بسيفين خلقا كثيرا عرجا هذا من رجله
وهذا اشل من يده فعرفهم يوم الوقعة بحلب فعندها نصب ابو عبيدة رايته
خارج المدينة وجعل ينادي بالمسلمين اجتمعوا الي رحمكم الله حتى اذا اجتمعوا حوله
قال ايها الناس انكم قاتلتم اليوم على عسرة فادفنوا الشهداء وشدوا جراح من اصابه
جرح فدفنوا الشهداء وقد فرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال
لهم يوقنا ان العرب لا بد ان تاتي القلعة بعد هذا اليوم ابدا وحق المسيح لاكيدنهم
ولاهبطن الى عسكرهم ذكر نزول اصحاب يوقنا بالليل وكبسهم
للمسلمين قال الواقدي فلما كان الليل انتخب يوقنا من خيار قومه الفين وامرهم
بالنزول فنزلوا من القلعة ومد المقدم عليهم عينه الى عسكر المسلمين والنيران تشتعل
من جوانبه فجعل يدور حولهم حتى نظر الى نيرانهم وقد خمدت وكان القوم من
بادية اليمن مثل مراد وبني كعب وعك قال عبد الله بن صفوان العكي وكنا في تلك
الليلة عادين من عددنا اثنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا بطماطم
الروم وقد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم ووصفوا فينا السيوف وكان النجيب
منا من استوى على ظهر جواده وطلب النجاة وهو لا يدري من اين دهي ولا كيف

يتخلص وقد وقعت الجفلة في عسكر المسلمين والقوم ينادون النفير النفير دهينا
ورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة ابي عبيدة وينادون ايها الامير كبسنا يوقنا
باصحابه فعند ذلك ركب ابو عبيدة في الرجال وجعل يدور حول العسكر فظن صاحب الروم ان
العرب لحقته فصاح باصحابه من كان اخذ شيئا فليترکه وليطلب نجاة نفسه قال واخذوا
من المسلمين نحوا من الخمسين رجلا سوى ما قتل في المعركة وهم ستون رجلا من اخلاط اليمن
واقبل الروم يحمل بعضهم بعضا يطلبون القلعة فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك حمل في جملة اصحابه
فانقطع من الروم زهاء على مائة رجل ووضع السيف فيهم وقتلهم فلما وصل اصحاب يوقنا
الى القلعة فتح لهم وادخلهم فلما اضاء الفجر وطلعت الشمس دعى يوقنا بخمسين رجلا وهم
موثوقون بالكتائف فقدمهم الى موضع ينظر اليهم المسلمون ويسمعون اصواتهم
وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوهم عن اخرهم فلما نظر ابو عبيدة الى
ذلك امر منادية ان ينادي ان يحرس كل رجل بنفسه ولا يتكل بعضهم على بعض واخذ القوم
حذرهم واعدوا لهم ثم اقبل يوقنا بدين مكرة في مكيدة اخرى يكيد بها المسلمين اذ علم انهم
يحاصرونه ومع ذلك فان جواسيسه تاتيه بالاخبار بالليل والنهار وكان اعظم جواسيسه
منتصرة العرب فبينما يوقنا ذات يوم يشاور اصحابه في مكيدة وقد اضر بهم
الحصار اذ اقبل اليه جاسوس واخبر ان غلافة العرب قد خرجوا الى وادي وطنان بقية
وقد صالحوا اهله وعلوفة العرب ومير تهم منه وقد رأيت لهم جمالا وبغالا واوطا
منهم يقصدون الغرس في طلب العلوفة وهم قوم قليل فلما سمع يوقنا ذلك اختار الف
فارس من اصحابه وجهزهم وراء المسلمين **ذكر تعبئة يوقنا اصحابه**
الالف وراء غلافة المسلمين بالليل وما جرى لهم في اخر الامر مع خالد
بن الوليد رضي الله عنه قال فلما اقبل الليل فتح لهم باب البستر وسار الجاسوس امامهم
حتى استقاموا على الطريق وجعلوا يسيرون تحت ستر الليل فبينما هم كذلك اذا هم
براع معه سرح من البقر يريد بها بلدهم فاسرعوا اليه وقالوا هل احسست باحد من
العرب قال نعم قد مضوا والسمر قد اسدفت وهم نحو مائة رجل على خيول مسرعة
ومعهم جمال وبغال يا خذون الميرة والعلف من هذا الوادي فقالوا كيف سلمت فقد
منهم قال ازاهل هذا الوادي صلحهم فلسنا نخاف منهم فقالوا على اي طريق ذهبوا قال
ههنا وامى بيده نحو المشرق فمضوا حتى قربوا من الخيل المسلمين وكان عليها مناوش
مناوش الضحاك الطائي اميرا فلما راهم مناوش حرض اصحابه وحمل عليهم فاقتتلوا
قتالا شديدا وغلب المسلمون فقتل منهم خلق كثير وقتل مناوش بن الضحاك وكان
جملة من قتل من المائة ثلاثون رجلا وملكت الروم ما كان معهم من الدواب والمتاع

ورجع المسلمون منهزمين فعند ذلك هاج امر البطريق بان يسرعوا حتى لا يطلع
عليهم خيول العرب ويختفوا في موضع حتى اذا جن الليل يطلبون القلعة فاقاموا بقية
نهارهم في موضع يرتقبون الليل وجاء الخبر الى ابي عبيدة فدعى بخالد بن الوليد رضي الله عنه
وقال يا ابا سليمان انت لها ولمثلها فاسرع خالد وحده فقال ابو عبيدة رضي الله عنه الى اين
وحدك خذ معك من المسلمين قال امضي وحدي ولو كان العدو الفا كنت لهم بعون الله
قال ابو عبيدة انا لك ولكن خذ رجالا قال فاخذ معه رجالا من وجوه من هناك من
وسار واحتى اتوا موضع المعركة فراوا القتلى مطروحين وراوا اهل الدواب يبكون هو على انفسهم
ودوابهم ما شاء الله فقال خالد انهم لا يعلمون بمسلمهم فتقدموا اليهم فقال خالد من الذي فعل بهذا فقالوا
كان بطريق اصحاب يوقنا في الف رجل فرأى قومه قتلوا هذا الا له فجيء نا في عسكرنا
يرفعون له الاخبار فقال خالد اين طريق سلكوا قالوا هذا الطريق التقال واشاروا نحو
الجبل فقال خالد اه القوم عرفوا انا نطلبهم فعرجوا عن الطريق حتى يجهل علينا الليل فيرجعون
الى قلعتهم فاسرع خالد بتقدم امامهم وقفا فقد معه رجالا من الشاهدين ندلونهم ويقفون
اثرهم فلما وصل الى الطريق قال لهم هل تعلمون طريقا الى قلعتهم غير هذا قالوا لا فترل خالد
ومن معه من الرواحل بمكمن وهم يرتقبون الطريق فلما مضى من الليل زمنه سمعوا حس اقدام
الجمال والطريق امامهم والجمال من ورائه وهو يزجرهم بعصاه حتى اذا صاح خالد من مكمنه
صيحة سداد كاد الاسد وخرجوا عليه كان كالرطل عمر بطريقهم وظن ان يوقنا وضربه
ضربة اماه بها نصفين ووضعوا فيهم السيوف وعطفوا يطلبونهم وهم في الطريق
فلم يفلت منهم احد وجازوا الاثر وراءهم ورجعوا الى الجمال وقد قتل خالد من معه
من الاسرى اربعة وثلاثين اسيرا وروى الواقدي بسناده ان خالدا لما رجع ابو عبيدة عليهم الغنائم
قالوا وقالوا لم يعطك الله ذا قال فقال خالد الصواب ما رايتم فمن شهد القلعة
ليوضح لنا كم عدد من قتل ابو عبيدة بقرابه فاخبروه فقال خالد ما اظن ان نطلب اثر هؤلاء
سطرون الى وقت مرفقال خالد انا كنا نظن اننا نلحق اثر هؤلاء القوم واراهم على ان يرتقبون
قتلتنا ويطرون غرتنا والحمد لله الذي نصرنا بالاهبة واليقظة وعلى عليهم
الرئيس في كل طريق ولا يمكنهم ان يخرجوا من القلعة وضيق عليهم ما استطعت فلما كان
من الغد وصل ابو عبيدة بعد الاثر فسر بما كان وخبره ابو عبيدة بعدد من قتل وقبض
من قبض وغنيمة ما غنموا فامر بهم ان يسوقوهم نحو القلعة وامرهم باخذ الطريق والسلك على يوقنا
حتى لو طار طائر الى السماء لاقتصده واقام القوم على حصار القلعة وضيق ابو عبيدة لطول
مقامه عامر الناس بالرحيل عنهم وعزم ان يشتاهم من الغد فترحموا عليه فنهض بها

او وثبة فصل اليها فاتى فبعث في المدينة اميالا وهو راجل فلما يصل اليها الى وصول العلعة قال وبوقنا لا ترحل عن العلعة والتبع ايها فانكر ابو عبيدة وذلك عياله الاحكار وقال ما انا سلمان اطن ان جواسيس عدو الله توصل الوهربا وتخرقه منا فجل في عسكرنا فعسى تتبع ما سوى قال فرحل خالد وامر الناس يعملون ويقبضون على كل من ينكرونه فبينما خالد في طوافه اذ نظر الى رجل جالس في العرس بين يدي عياله يتلطخ فلا فطنه واستراب به فاخذ على عاتقه وقال اراك تتلطخ كانك من الروم قال لا بل انا من اليمن قال فما ايجاد بك ان تنتهي الى عسكرنا فاخبره انه من غسان وقال انا في غسان مقيض عليه خالد وقال يا عدو الله انت جاسوس من معشر العرب قال بل انا مسلم قال ان يكن ما تقول انا عبد وقال انه رآنا من لدن ما رآنا قط الا يومنا هذا وقد ذكر انه من غسان ولا شك انه في غاية الطيب قال ابو عبيدة اختبره بالقرآن والصلاة قال اجل والله هو متقن فقال خالد ثم فصل ركبتي واجهد وهما بالراحة فلم يزل يمالها خالد ات والله عن ظهرها ثم استخبر عن شانه فاخبره انه عين عليهم فقال خالد ات وحدك قال لا والكن ملاته انا اعدهم والاثنان على الطعلعة لتخبرا موقفنا تحدكم وخلفت انا لا نظنها تكون فيها ثم عرض ابو عبيدة عليه الاسلام فاسلم ثم رجع ابو عبيدة الى حلب ونازل حصار العلعة اربعة اشهر وقيل ستة فما مضى يوم الا ويلتقون هم وايا سردا وابطالا كما ذكر في امر الموصل رضي الله عنه وذكر كتاب ابي عبيدة الى امير الموصل عمر الكتاب رضي الله عنه وزوره وجوابه وقدوم ركب اليمن وفيهم ابو الهول وداميس الاشوه وما جرى بعد ذلك قال الواقدي وكتب ابو عبيدة رضي الله عنه الى امير الموصل رضي الله عنه وعرفه بما جرى عليهم حاصروا القلعة وذكر انه اراد الرحيل الى البلد الذي هي انطاكيه وحلب واراد بنظر الجواب وبعثه مع عبد الله بن قرط وجعدن خيران البشكري فلما قرا عمر الكتاب رفع يديه وقال اللهم اكفنا شر كل ذي شر فما استتم كلامه حتى قدم عليه ركب حضرموت وسبا وما قرب بيسالونه ان يبعثهم الى الشام فقال لهم عمر رضي الله عنه انتم قالوا نحن نزهاء على اربع مائة فارس وهذه مطية مردفي ومعنا ثمانون راكبا لهم فامر عمر ابنه عبد الله ان ياتي من مال الصدقات بسبعين راحلة ليتعقبوا عليها ويحملون زادهم فاتى بسبعين راحلة وسلمها اليهم وقال اسرعوا الى اخوانكم بالكتاب الذي معكم وذكر له انا قد ذكرنا لك انصرافك الى البلاد والى من حلب وانطاكيه وترك العلعة ومن فيها فما هذا برائي اتترك رجلا واخذت وبايك وملكت مدائنه وتوطن منها فيبلغ الخبر الى جميع النواحي انك لم تقدر على مضعف وكر وتغلو وكره وطمع فيك من لم يطمع فلا تبرح حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ودفع الكتاب الى عبد الله وصاحبه وامر الوافدين بالخروج معهما وساروا جادين في السير ومع ذلك هم يسالون

عبد الله وصاحبه عن بلاد الشام وعن امر بوقنا ونحو ذلك واخبرهم بما جرى لهم عبد الله وكان ممن يتبع كلامه مولى من موالي العرب من بني طريف من ملوك كندة يقال له داميس وكنيته ابو الهول وكان اسود يضاهي طويلا كانه النخلة السحوق اذا ركب العالي من الدواب يخط برجليه في الارض وكان فارسا شجاعا ممن اشاع ذكره وعلا قدره في بلاد كندة وادوية حضرموت وجبال مهرة وارض الشحر وكان مع ذلك لا يلحقه الخيل العتاق قال فلما سمع داميس بذكر بوقنا وما فعل بالمسلمين كاد ان يتشقق من الغيظ والحنق وقال لعبد الله ابشر يا اخا العرب فوالله لاجهدن حتى يخذ الله على يدي قال فلما سمع عبد الله كلامه نظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد هتك نفسك اما لا لا تبلغها يا ويلك الم تسمع ان فرسان المسلمين وابطال الموحدين باجمعهم له محاصرون ولاصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر له احد فلما سمع ذلك داميس غضب وقال لولا ما يلزمني من اخوة الاسلام لابدان بك قبله فاحذر ان تتزدري بالرجال فان احببت ان تقف في فسل عني من حضر من اهلي وما تقدم من فعلي الذي من ذكره تطيش العقول فكم من عسكر قابلتها وجماعة فرقتها ومحافل قطعتها وغارة شنتها واموال ركبتها ورجال قتلتها واموال افنيتها وفلاة قطعتها وكل ذلك لا يؤخذ مني ثار ولا يقفى لي اثار ثم تركه وسار مغضبا منفردا امام الناس فسار القوم حتى قدموا على ابي عبيدة وهو محاصر ليوقنا وقد احاط المسلمون بالقلعة من كل جانب وسلموا عليه وانزل كل قوم على عشيرتهم وان يوقنا مع ذلك لم يدع شيئا من الحرب ولا يفتا يلقاهم نهارا ولا يخرج من قلعته الا قليلا وكان اكثر خروجه في وقت غفلات المسلمين واقبل داميس على اهله الذين نزل عندهم من بني طريف من كندة فقال انتم والله هم المحاصرون لامحالة قالوا وكيف ذلك قال الان عدوكم في راس قلعته وانتم في فضاء من الارض مطمئنون لا عدو يقرعكم ولا عسكر يازايكم لحق عليكم فما هذا الخوف وما هذا القلق قالوا يا ابا الهول ان صاحب هذه القلعة علج مشوم يرتقب غرتنا ويغير على اطرافنا فيقتل رجالنا وياتينا من ها هنا فبينما داميس يخاطب قومه واذا بالضجة قد وقعت في طرف المسلمين فقام داميس وطلب تلك الناحية حتى بلغ اليها فاذا هو بوقنا في خمسمائة رجل من ابطال جنوده وقد وجد غرة من القوم فلما نظر داميس اليهم وقع في اوساطهم وجعل يقول انا ابو الهول واسمي داميس الكندي في جمعكم مدا عس ليث هزبر بطل مبارز قال وجعل يضرب في اعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بني طريف من شجعانهم فلما نظر بوقنا ما نزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله

مائتان وداميس يكر في رجالهم كرا وتبعهم الى رأس القلعة وكمنة من ورائهم
فناداهم ابو عبيدة عزيمة مني عليكم ان يتبعهم احد في ظلمة الليل فرجعوا الى رجالهم
وقد أبلت كمنة بلاء حسنا فلما اصبحوا وصلوا مع ابي عبيدة صلاة الصبح قال خالد
اصلح الله الامير لقد رأيت البارحة كمنة وقد أبلت بلاء حسنا قال ابو عبيدة
صدقت والله يا ابا سليمان لقد سمعتهم يقولون احسن داميس اجاد ابو الهول
ثم قام رجل من رؤساء كمنة يقال له سراقة بن مرداس الكندري فاخبر عن شجاعة
ابي الهول وعن وقايعه في الحروب بحيث تخرج عن العقل ثم قال ابو عبيدة ادعوا لداميس
حتى انظر اليه واسمع كلامه فاتوا به فقال ابو عبيدة انت داميس قال نعم اصلح الله
الامير قال فبلغني عنك عجايب وانه والله اهل لها واعلم انك وقومك تقاتلون
في بلاد سهلة لا تعرفون الجبال والقلاع ولقد افتحمت البارحة اثارا اعداء الله
افتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يوقنا فقال داميس
اصلح الله الامير لقد عرفت على معرفة واحدت اموالها مرات وان جبالها
شاهقة مرتفعة ذات وعر وحجر وهذا الجبل يمنع من تلك الجبال
فقال ابو عبيدة اني اراك جبانا فهل حدثتك نفسك من امر هذه القلعة بشئ قال
الذي ارى الآن ان تزحف بعسكر القلعة وتنزل بازائها ليظهر لهم
منك الهيبة قال فامر ابو عبيدة الناس فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة واقاموا
يقاتلونهم ليلا ونهارا اسبعة واربعين يوما ثم اقبل داميس على ابي عبيدة
وقال قد فكرت في شئ وارجو من الله الظفر والظهور على اعداء الله فقال
ابو عبيدة وما الذي دبرت قال تضيف الي من صناديد قومك ثلاثين رجلا
وتامرهم بالطاعة لي وتترك الاعتراض علي فيما افعله فضم اليه من فرسان
المسلمين وفتاكهم وقال اني امرت داميسا عليكم فلا تخالفوه قولا وفعلا
ولقد حدثتني نفسي ان الله يفتح هذه القلعة على يدي هذا العبد ثم قال
يا داميس ما الذي تجب بعد هذا قال ترحل انت بجيشك من وقتك هذا فيكون
منا على مسيرة فرسخ وتنزل بالمحل الذي بكذا وتامر اهلي بكذا بقلة الحركة
ما استطاعوا ويكون لكل رجلان تثق بشدتهما ونصحهما للمسلمين فيتحسسان
عن اخبارنا من غير ان يعلم بهما احد ويكونا بغير سلاح الا المخاجر فاذا عاينا منا
الظهور عليهم والظفر يلتحقان بنا سراعا فتلتحق بنا انشاء الله ويكونان متفرقين
فارح كذا اسلمهما والله المستعان على جميع الاحوال قال الواقدي فعند ذلك امر

ابو عبيدة المسلمين بالرحيل فارتحلوا ولهم ضجة عظيمة ففرحت الروم بذلك وساروا حتى
غابوا عن حلب فتقدم الروم الى يوقنا وقالوا افتح لنا القلعة فلعلنا نقتل منهم او نأسر فنهاهم
يوقنا عن ذلك ولم يزل القوم بقية يومهم الى ان كانت صلاة العتمة وكان داميس واصحابه
قد كمنوا في بعض الاودية في مغارة في اثناء رحيل الناس وليس معهم الا السيوف والجعبة
ولما كان الليل قال داميس من ينهض منكم الى القلعة ويأتينا بالخبر منها او يقدر على اسر رجل
فيأتينا به لنأخذ منه خبرا فلم يجبه من القوم احد فقال انا اعلم ان كلا منكم ظنين بنفسه
كارة للموت وانا لكم الفداء فقام ومضى وغاب ساعة ثم جاء وقد اسد عليه فاستنطقوه
فاذا هو يترطن ولا يعرف العربية فلما رأى داميس ذلك قال لهم على رسلكم ثم غاب غير بعيد
حتى اتاهم بعلج اخر فجعل يتكلم بكلام صاحبه فلم يدروا ما يقول فقال داميس على رسلكم ثم غاب غير
بعيد واذا هو قد اتى باربعة اخرين فسألوهم فلم يفهموا ما يقولون ثم تركهم ومضى واتى بثلاثة
اخرى فلم يكن فيهم من يفهم بلغة العربية فقال داميس لعن الله هذه الوجوه ما اوحش
لغتهم ثم تركهم وخرج فغاب عنهم الى ان مضى من الليل النصف ولم يأت فقلق اصحابه عليه قلقا
شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض انا نظن ان داميسا قطن به فقتل او اسر وهموا ان
يرجعوا الى العسكر اذ دخل عليهم داميس وهو يقود رجلا من الروم فتوا ثبوا اليه وسألوه عن
ابطائه فقال لما فارقتكم سرت حتى قربت من السور ورأيت القوم يمرون وهم يطمطمون بلغتهم
وانا لا عرض لهم كلما ذلك اطلب من يتكلم بالعربية فلم ار احدا حتى يئست وهممت بالرجوع خائبا
اذ سمعت صوت هدة شديدة قد وقعت من اعلى السور فاسرعت اليها انظر ما هي فاذا انا
بهذا الرجل وقد القى نفسه من اعلى القورية الى اسفل السور فاخذته وجئت به فانظروا
ما هو فاتوا اليه وكلموه فلم يخاطبهم الا بلغته واذا هو قد انقد رجله واتسخت جبهته فقال
داميس اعلموا ان له شانا فعلى رسلكم حتى آتي من يفهم بلغته واسرع ذاهبا فلم يكن الا قليل
واذا به قد اتى ومعه رجل عمامته في عنقه وهو يقوده فاذا هو يتكلم بالعربية فقالوا له من المدينة
انت ام من القلعة قال من القلعة قال له داميس انت من الروم قال لا ولكن من العرب المتنصرة
فقال يا هذا هل لك ان تطلعنا على عورة من عورات هذه القلعة ونحن نطلقك فقال ما اعرف
لها عورة ولو عرفت ما وسعني في ديني ان اخبره فاغتاظ داميس وقال قد قلت لهذه الاسرى هل
فيهم احد من اهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم بالرومية فقال يا داميس ليس فيهم
احد من اهل الربض بل هم من اهل القلعة فقال داميس سل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور
قال فسأله ثم قال لداميس انه يقول ان يوقنا غضب على اهل الربض لاجل صلحهم فلما انصرف
العرب نزل يوقنا فاخذنا وجميع رؤسائنا الى القلعة وطلب مني اني ما لا نقدر عليه
فلما نظرت الى ما نزل بنا القيت نفسي من القلعة اطلب الفرج فلم اشعر الا وانت قبضت علي

وأنا من اهل الربض ثم ان دامس خرج بالروم والمشتركة فضرب رقابهم ولم يدع غير الرضى
ثم اطلقهم عمد دامس الى مزودة واستخرج منه جلد ماعز والقاه على ظهره واستخرج منه
كعكا يابسا وقال لاصحابه استعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا امركم فاني متوكل على فتح هذه
القلعة الليلة لنرى الله تعالى فقالوا يسر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قاموا مسرعين
وتقدمهم دامس وبعث رجلين من اصحابه يعلمان اباعبيدة بشانهم ويقولان له ابعث
لنا الخيل عند طلوع الشمس قال فانطلق الرجلان ومضى دامس ومن معه يخفون امرهم تحت
ظلام الليل ودامس على المقدمة يتشمم لهم الاخبار وهو يمشي على اربع والجلد على ظهره
وكلما احس بحس قرض الكعك كانه كلب يقرض العظم والمسلمون من ورائه يمشون
تارة ويحثون تارة ويستترون تارة فلم يزالوا كذلك حتى قاربوا القلعة فسمعوا
اصوات الحراس والحرس شديد فجعل دامس يدور باصحابه الى ان اتى بعض الابرجة فاذا الحراس
قد ناموا وليس في السور اقرب من ذلك البرج وكانوا ثمانية وعشرين رجلا فقال
دامس هل فيكم من يقدر على الصعود الى هذه القلعة قالوا يا ابا الهول كيف لنا ان نرقى
اليها فقال على رسلكم ثم اختار منهم سبعة رجال كالاسود الضواري فاخذ احدهم على
منكبه وهو جالس ثم اخذ الاخر الاخر الى ان تكاملت السبعة بعضهم على منكب بعض
وامر كلا منهم ان يمسك الجدار بيديه ويجعل قوته عليه ثم قام الاعلى منهم وطرح حبلا
على الجدار القلعة ثم قام الثاني كذلك ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس ثم السادس ثم قام
دامس اخرهم واذا اعلاهم قد وصل الى شرافات السور وتعلق بها ثم نهض واستوى
على السور من داخله ونظر الى حارس ذلك البرج نائما وهو يتململ من الخمر فاخذ
بيديه ورجليه ورمى به من اعلى البرج الى اسفله فلما وصل الى الارض قطعت المسلمون
بالسيوف واصاب له صاحبين زاقدين وهما يتملان من الخمر فذبحهما بخنجره
والقاهما الى اصحابه ثم القى عمامته لصاحبه الذي كان ظهورا كبا على منكبيه فتعلق بها
وجذبه اليه فاذا هو على السور معه وجعلا يفعلان كذلك الى ان بلغ الامر دامس
فادلوا له عمامتهم وتعاونوا عليه حتى صار على السور معهم فقال اقعدوا والا تتحركوا
احد منكم حتى اعرف لكم خبر القوم ثم اقبل متشرفا على وسط القلعة فاذا هو بساداتهم
ورؤسائهم في مجلس وبين ايديهم بواطي الذهب والفضة ويوقنا جالس في وسطهم
على بساط من الديباج الاحمر منسوج بالذهب وعليه ثوب من اللؤلؤ الرطب منتصبت
بعصابة من الجوهر والقوم ياكلون ويشربون والمسك ينثر عليهم فاقبل دامس
على اصحابه وقال ان القوم كثير فان نحن هجمنا عليهم لم نامن الغلبة لكثرتهم ولكن اذا
كان وقت السحر حملنا عليهم بسيوفنا فان ظفرنا بهم فيها والا كنا قريبا من الصباح

ولا شك يا ملك خيل ابي عبيدة ثم قال على رسلكم فلعلي اقتل البوابين قال وكان للقلعة بابان
بينهما دهليز يغلق البابان من داخله والرجال بالعدة والسلاح كل ليلة يبيت ثلاثة
بالنوبة فلما اقبل دامس الى الباب وجده مغلوقا من داخله فعظم عليه ذلك ثم قصد الى
ركن الباب فاقتلع منه حجرا عظيما ودخل من موضعه واذا هو بالقوم رقود فعالجهم
بالذبح ثم فتح البابين جميعا احديهما الى داخل القلعة والاخر الى خارجها ثم ترك البابين
مردودين ورجع الى اصحابه وقد صار سحرا وقال اني قد فتحت لكم الابواب
وقتلت من هناك من الرجال فدونكم والباب فخذوه فان القوم حصيد اسيا فنا ان شاء الله تعالى
فجعلوا يخفون اشخاصهم حتى وصلوا الى باب القلعة واخذ كل واحد مكانه فدرت بهم
الروم وشهدتهم الابطال وصرخ بهم بوقنا من كل جانب قال وعلا التكبير من
المسلمين وقاتلوا قتالا عظيما قال ابن اوس القرشي ما رايت اشد قتالا ولا اشد بأسا الا
من دامس في ذلك الوقت ولقد عددت في يده بعد انفصالنا من الوقعة ثلاثة وسبعين
جرحا وقد جرحت رجالنا واشرفنا على الهلاك ونحن يومئذ ثمانية وعشرون رجلا
فقتل منا ثمانية وهم اوس عامر الجرمي وابو ماجد سراقة الحميري والبارع بن مسيب
التميمي ومرارة بن مراد الغفوري والربيع بن خالد العبدري وهلال بن يعرب الخثعمي وامية
بن قادم الداري والاسود بن ملاعب الحضرمي وبقي عشرون رجلا وكان الروم في زيد من
اربعة الاف قال ونحن آيسون من الحياة اذ اشرف علينا خالد الوليد رضي الله عنه في الف
فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقع الصياح بقدوم خالد تصايحت الروم وانجلوا
وصعدوا فوق القلعة وصعد الينا خلق كثير من المسلمين فغويت قلوبنا واشتد بأسنا
على قتال عدونا وضربناهم ضربا وتيقنا فلما نظر الروم الى ذلك علموا ان لا طاقة لهم بنا
فالقوا سلاحهم وصاحوا الفوز الفوز يعني الامان فكف المسلمون عن القتال فبينما هم
كذلك اذ اشرف عليهم ابو عبيدة في فرسان المسلمين فاخبروه بان الروم طلبوا الامان
فامر باحضار رجالهم ونسائهم واعرض عليهم الاسلام فكان اول من اجاب الى الاسلام
يوقنا وجماعة من ساداتهم فرد عليهم اموالهم واهاليهم وقتل من ابى منهم من الاسلام
واستبقى منهم اكارة وفلاحين فمن عليهم واخذ عليهم العهود ان لا يعرضوا لاحد من
المسلمين الا بخير ثم اطلق شيوخهم وعجائزهم فانطلقوا يرمون الدروب واخرج
المسلمون من القلعة من الذهب والفضة واواني الذهب والفضة ما لا يحصى ولا يعد
فاخرج منه الخمس وفرق الباقي على المسلمين واخذ الناس في حديث دامس وحيلته
وعالجوا جراحه واقاموا في موضعهم ذلك حتى برأ من كان جرح معه ثم ان ابا عبيدة
دعى المسلمين وشاورهم في الامر فقال ان الله ولله الحمد قد فتح هذه القلعة وما بقي منع

شاء الله تعالى

عنا

سنا

رضي الله

تقصده الانطاكية فهي دار عزهم وملكهم وفيها بقية ملوكهم مع الملك هرقل فما ترون
من الرأي فقام اليه يوقنا وقال بلسان عربي ايها الامير ان الله ايدكم ونصركم وما ذاك
الا ان دينكم هو الدين القويم ونبيكم هو المشهور في الانجيل الذي بشر به عيسى
بن مريم عليهما السلام لا شك فيه فقال ابو عبيدة قد بلغني انكم ما تفهم بالعربية شيئا فمن
اين لك هذا فقال لا اله الا الله محمد رسول الله اني كنت البارحة مفكرا في امركم وكيف
نصرتم علينا ولم يكن احد اضعف منكم عندنا اذ رأيت شخصا آتيا من القمر فسألت
عنه فقيل هذا محمد فكاني اقول ان كان نبيا صادقا يسأل ربه ان يعلمني العربية
فكانه يشير علي فاستيقظت وانا اتكلم بالعربية ثم قمت الى منزل اخي يوحنا
وفتحت خزانته فوجدت في بعض كتبه صفة محمد عليه السلام والآن قد رسخ دينكم
في قلبي وعلمت انه الحق وسأقاتل اعاديكم وافعل ما سلف فقال ابو عبيدة يا عبد الله
دلنا الى ابن نبيل فقال يوقنا اعلم ان حصن اعزاز حصن قوي مانع بالرجال والعدد وعليه ابن عم لي
اسمه واورس وهو وباس وقوة فاعلم انهم بركتوه ومضيتم الى انطاكية اغار على حلب وقنسرين
واوائلهم شر فقال ابو عبيدة كيف الحيلة فقال يوقنا اني دبرت حيلة وارجو الله ان تتم لكم
وبها ان ارأى ان ارتحل جنودي واضم الى ما عندكم من المسلمين وليكن علمهم زي الروم
ولباسهم وتقدموا بهم تتقدمكم امراس العرب سبعة الف فارس على عتاق الخيل واما انا فاقدم
مع الثلة على مهرة فرس كانها فارس منكم واولئك الاتراك اطلبهم فاذا اشرفت على اعزاز
رفعت الصوت فاذا نظرتموني واورس الابدان ينزل الي وسلفاني فان سألني اخبرته
اني سلمت زورا ثم خرجت وهربت وخرج الروم في طلبي فانه اذا سمع ذلك طمع بالي
العلعة وليكن حاصل العرب بمكان قريب اسفل منهم فاذا كان بعد الليل شننا في
وسط الحصن ونضع السيف في اعدائنا فاذا رأى طلائع الفجر يلحق حاصبكم معه
فلما سمع ابو عبيدة ذلك منه استشار خالدا ومعاذا في ذلك فقالا يا امير الامة انه رأى
سدادا ان لم نغدر هذا الرجل ونرجع الى ورائنا فقال ابو عبيدة ان ابن نبيل صادق فقال يوقنا
اما والله ما رجعت فرجعي الى ورائكم الا وقد ذهب ما كنتم اعظم الصور والصلبان
وما بقي ما في سورية بحمد الله الا الا الله وحده ومحمد رسول الله رأيته في النوم وعاينت
معجزاته فلا تكسم تظنون بي خلاف ذلك فلا تتركوني لما ذكرت فقال ابو عبيدة ان انت نصحت
المسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا فانبع الصدق تنجو به فلا يزيدك ما تركت من ملك
كان الذي تركت فان والدي انما تظله باق وما فرغ من وعظه وتذكيره ضم اليه مائة رجل
من المسلمين والبسهم دروع الروم وسلاحهم وكل فرس منهم وطرح وعهد وقراعة

ورسبس ونبيز والحطارمة وحمز وباهلة وتنوخ ومرادة وكل هؤلاء فرسان وجعل
على كل فرس ثقيفيا فلبسوا وساروا ويوقنا على المقدمة على زيه فلما ابعد بفرسخ بعث
ابو عبيدة وراءه مالك بن الاشتر النخعي وضم الى الف فارس من قومه وقال له
سر في اثر هذا البعد وانظر ما يؤول امره واذا قربت من اعزاز فامهل حتى يدخل وقت السحر
ثم تظاهر لاهوائك بسارمالك الاشتر على مقدمة الالف وساروا ليتهم يوم الجمع وقد
جن عليهم الليل ونزلوا في قرية مرتفعة فوجدوها خالية من السكان فاستراحوا هناك
فتوكلوا على الله عز وجل. ذكر وقعة اعزاز وفتحها قال الواقدي ولما ارتحل يوقنا
على اعزاز وصى لمن معه ان لا يتكلم احد منهم فان لغتهم لا تخفى على الروم وقال لهم اذا
رأيتموني قد بطشت بصاحب هذه البارة فثوروا واصيحوا باسم الله ثم سار وليس عنده
خبر من موارد القتال وقال الواقدي باسناده الى الاكوع الهمذاني قال كنت مع مالك
الاشتر في خيله حين سرنا في اثر يوقنا فرأينا مالكا قد مسك رجلا من العرب
المتنصرة وتوسط به مكمنا فاستخبره فقال خذوا على انفسكم قبل قدوم عدوكم
وذلك ان البارحة ورد علينا جاسوس من عندكم وقد سمع ما دبرتم به من الحيلة
وكتب رقعة وربطها في ذنب حمام كان عنده في ظاهر عسكركم وارسله الى
صاحب اعزاز قبل صلاة ظهركم فلما قرأ بعثني الى صاحب الرقعة لاستخبره عن
ذلك فان كان قد مضيت اليه بالرسالة وقد قدم في خمسمائة فارس فكانكم
به قد اقبلتم هبوا للقائه قال الواقدي واما ما كان من امر يوقنا فانه سار
حتى ورد حصن اعزاز فوجد صاحبه قد اخذ على نفسه وحصن قلعته
وكان اللعين يركب في ثلاثة الاف فارس من الروم والف من العرب المتنصرة
سوى من جاء اليه من سواد اهل بلده فلما قدم يوقنا لم يوهمه بشيء من امره بل
استقبله وترجل له واقبل عليه كانه يقبل ركابه وكان في يده سكين قطع
بها حزام السرج وانقلب يوقنا على ام رأسه وانطبقت الاربعة الاف فارس
والرجالة على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمهلوهم حتى اخذوهم
قبضا بالكف وشدوهم بالوثاق وبصق دادريش في وجه يوقنا وقال
لقد غضب عليكم المسيح والصليب اذ فارقتم دينه ورجعتم مع اعدائه
فوحق المسيح لا بد ان بكل وابعثن الى الملك الرحيم فيصلبكم على باب انطاكية
بعد ان اضرب رقاب هؤلاء العرب ثم صعد بهم الى القلعة قال الراوي
وصر خيرة الله للمسلمين ان الجاسوس كتب في مطالعته لصاحب اعزاز
بخبر مالك الاشتر في الف فارس واما ما كان من خبر مالك فانه لما سمع قول

المتنصر اقام والالف معه ينتظرون صاحب الراوندان فلما مضى من الليل ربعه سمعوا
قعقعة اللجم ودوس حوافر الخيل فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا الكمين فحينئذ اطبق عليهم
وصار كل اثنين لواحد من الروم فاخذوهم اخذا بالكف واوثقوهم واخذوا اتباعهم
ولباسهم فلبسوها ورفعوا رايا تهم وصلبانهم كما كانت ثم التفت مالك الى المتنصر
واعرض عليه الاسلام فاسلم فقال نريد منك الآن ان تذهب الى صاحب اعزاز وتبشره
بقدوم صاحب الراوندان لنصرته فاجاب الى ذلك وتقدم معه رجلا ممن يثق به
حتى يسمع ما يقول فسار اجميعا الى اعزاز فوجدا الحرس شديد اليقظة والصوت
عال في وسط الحصن فقال الجاسوس الذي اسلم لرفيقه والله هذه اصوات حرب
وقتال ثم انصتا فاذا الامر كذلك قال الواقدي وكان في ذلك ابن لصاحب اعزاز اسمه
لاوين وكان ابوه دادريس يبعثه في كل وقت الى يوقنا بالهدايا والتحف
وكان يقيم عند يوقنا في القلعة شهرا او شهرين وانه حضر عنده في بعض
الكرات في عيد الصليب في البيعة التي هي الجامع اليوم وكان يدخل على زوجته
فراى ابنة يوقنا في جواريها وخدمها فوقعت في قلبه واحبها حبا شديدا
وكتم امره حتى عاد الى اعزاز وشكى حاله لامه فقالت انا اخاطب اباك في ذلك
وآمره ان يبعث الى يوقنا فيتزوج بابنته فاشتغلت قلوبهم بتسيير العرب
الى قنسرين وحلب فلما قدم يوقنا وكان من امره ما ذكرنا من قبض دادريس
عليه وعلى اصحابه المائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاهم في دار ولده
ووصاه عليهم وقال الغلام وحق ديني ان هذا الطريق يوقنا اعلم من
ابي بالاديان ولولا انه راى الحق مع هؤلاء العرب لما تبعهم وقلبي متعلق
بابنته واني ارى من الراي السديد ان اخذ هؤلاء من الوثاق وارجع الى
دينهم فهو الحق وانا اريد لك بدا عنده واتزوج بابنته ثم اقبل على يوقنا
وحدثه بما دبر ولكن بشرط ان تزوجني بابنتك ومهرها عتقك وعتق
اصحابه فقال يا بني ان اردت الاسلام فلا تفعل لاجل غرض من اغراض
الدنيا وانا اتاك الله تعالى ابلغ مما تريد فقال لاوين اشهد ان لا اله الا
الله محمد رسول الله ثم حل يوقنا واصحابه من الشد وناولهم سلاحهم
وقال لهم تنوروا على اسم الله وها انا امضي الى ابي فانه قد نام وهو ثمل من الخمر
فاقتله لكي رضاء الله تعالى ثم اسرع الى دار ابيه فوجد البواب بلا رأس ووجد
اخوته وامه عنده فقال من فعل هذا بابي فقلن نحن فقال ولم ذلك فقلن

ارجو

ارجو وجه الله تعالى وقد سمعنا كل ما تحدث به يوقنا واصحابه فخفنا على انفسنا
ان لا يتركك ما تريد وتكاثر الجمع عليك وبلغ الخبر لابيك فيقتلك فتطمئنا به قبلك ففرح
لاوين بذلك ورجع الى يوقنا واصحابه واعلمهم بما جرى فرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
وصلوا على البشير ووضعوا السيوف في الروم قال وقع الصياح وتبادرت الروم
تقاتل على الحريم وفي ذلك الساعة قدم الرجلان اللذان بعثهما مالك الاشتر النخعي
فلما علم امر التكبير عاد الى مالك الاشتر وحدثاه بما سمعا في اعزاز فقال لاصحابه ان
كفوا الخيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فركضوا الى ان وردوا باب اعزاز
واحس بهم الغلام لاوين بن دادريس فامر غلمانه ان يفتحوا باب السر ففعلوا ذلك بعد
ان قال لهم هذا صاحب الراوندان قد اقبل لنصرتنا فلما حصل مالك في اعزاز بمن
معه اعلنوا بالتهليل والتكبير ولما نظر اهل اعزاز الى ما حل بهم وانهم هلكى رموا السلاح
وصاحوا الفوز الفوز فرفع مالك السيف عنهم واخذ جميع ما في الحصن وشكروا ليوقنا
ومن كان معه فقال اشكروا الله وهذا الغلام وقيل ما قتل دادريس الا ابنه الاكبر
لوقا وذلك ان مالكا الاشتر لما راى دادريس مقتولا فقال من قتل هذا اللعين قال
لاوين قتله اخي لوقا وهو اكبر مني سنا فامر مالك باحضاره وقال لم قتلته وهو ابوك قال
محبة في دينكم وذلك ان في بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين كنا نقرا عليه
الانجيل واتيته في بعض الايام وسالته عن امر العرب وغلبتهم على البلاد فقال
بلغنا عن نبي القوم انه اخبر بذلك وفي كتبنا ان الله يبعث نبيا من الحجاز وقد بشر به
المسيح ولا ندري اهو هذا ام لا فعلمت انه كتم علي الامر مخافة ان اذيعه فلما
فارايت يوقنا واصحابه اسارى قلت هذا قد قتل اخاه وعادى العرب
ثم رجع الى دينهم وما ذاك الا انه قد علم الحق مع العرب فقلت اقتل ابي واخلص
يوقنا واصحابه فلما نام ابي وهو ثمل من الخمر فقتلته وسرت الى يوقنا واصحابه
وخلصتهم وذلك محبة لدينكم ولنبيكم وان اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم ان مالكا ولى على اعزاز سعد بن عمرو الغنوي وعرض
السبي فكان الف رجل من شباب الروم ومائة واربعون من الشيوخ والرهبان والف
امراة من البنات وغيرهن ومائة وثمانون عجوزا ونظر مالك الى شيخ من الرهبان
مليح الشيبة واضح الهيبة فقال هذا القس الذي حدثني به لوقا اخو لاوين فقال
له اذا كنت من علماء اهل دينك فكيف تكتم الحق قال خفت من الروم ان يقتلوني لان الحق
ثقيل قال فاعرض عليه الاسلام فاسلم قال فلما نظر اهل اعزاز الى القس قد اسلم اسلموا عن
اخرهم الا القليل ثم عول مالك على المسير الى حلب فقال يوقنا اما والله مالي وجه اقابل به

المسلمين لاني دبرت حيلة فلم تتم على اعداء الله واني معول على انطاكية والمسير اليها لعل الله
ينصرني وبالاعداء يظفرني **ذكر مسير يوقنا الى انطاكية** قال فاخذ يوقنا ايثبت
من بني عمه واهل بيته مايتين ممن اسلموا باسلامه ورسخ الايمان في قلوبهم ولهم العيال
واطفال بحلب فسار بهم يوقنا من اول الليل فلما مضى ربع الليل اختار اربعة من بني عمه
وقال للباقين خذوا على كوم ارتاح كانكم قد هزمتم من العرب وامضى انا وهؤلاء على طريق
حارم ونجتمع الى انطاكية ففعلوا كذلك ولم يزالوا سايرا حتى وصل دير سمعان المشرف
على البحر الاسود فوجد هناك خيلا ورجالا يحفظون الطرقات فلما نظروا الى يوقنا و
معه الاربعة بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال يوقنا انا صاحب حلب وقد
هربت من العرب فوكل به صاحب الطريق حرسة من اصحابه وقالوا قفوهم بين يدي
الملك قال فاخذتهم الخيل واتت بهم الملك فوجدوه في كنيسة وهو يصلي فلما فرغ اوقفوا
يوقنا بين يديه وقالوا ان بطرس صاحب الحرس عند دير سمعان قد وجه بهؤلاء اليك
وهذا يزعم انه صاحب حلب فلما سمع هرقل بذلك التفت اليه وقال انت يوقنا وهو يبكي
قال نعم قال فما الذي يبكيك وقد بلغني انك رجعت الى دين العرب قال ايها الملك لقد بلغك
في ذلك الحق ولكن لم اسلم الا لكيد اكيد القوم والتخلص من شرهم ومن كونهم تحت نظرهم
واني قلت لهم اسلم لكم اعذارا واقتل اضحيها واخذت منهم مايتي شيد من ساداتهم
وسرت بهم وامرت اميرهم ان ينفذ الى الفا منهم حتى اذا حصلت في اعزاز انصب
عليهم واجعلهم في الحصن وانفذ الكلب اليك فعجل علينا دادريس ولم يدر ما اضمرنا
ووثق بحاسوسه ولم يشق بنا يقبض علينا ولما نصب العرب على حصن اعزاز
وضعوا السيوف في اهلها وذلك ان يوقا قتل اباه وحل العرب وحلنا في الجملة
فلما اشتغلوا في القتال والنهب هربت انا وهؤلاء الاربعة ولولا محبتي بديني
ما كنت بالذي اقتل اخي يوحنا واصبر على قتال العرب وحصارهم مقدار سنة قال
فاعانته البطارقة والملوك وقالوا صدق يوقنا ما فينا اخلص من قلبه ولا اصدق
من يقينه وقال ايها الملك سيظهر لك فعلي وقولي قال فاهتز الملك لقوله وخلع
ما كان يلبسه عليه من زي المملكة وسورته ومنطقته وتوجه وقال ان كانت
حلب اخذت منك فاني اوليك على انطاكية فانت دمستقها يعني واليها وشيخها
قال فبينما كذلك اذا الموكل بحسر الحديد قد وجه اليه يقول ايها الملك انه قدم علينا مايتان
بطريقا من فرسان حلب يزعمون انهم من بيت واحد من الروسية وهم من بني عم
يوقنا قد هربوا من العرب فلما سمع الملك بذلك قال ليوقنا اركب اليهم فان كانوا من
بني عمك فاهلا بهم وضمهم اليك وليكونوا في ركابك فاتى اليهم مع الهرقلية والسريرية
وقال لهم كيف خلصتم من العرب قالوا انا خرجنا مع اميرهم وغرنا على منبج ونزاعه فلما

رجعنا نريد حلب اخذنا طريقا على حصن اعزاز فوجدناها قد ملكت فلما كان بالليل هربنا
قال وحجاب الملك يسمعون ذلك فسار وا الى الملك فحدثه الحجاب بما سمعوا فخلع عليهم واكرمهم
بالكرامة واعطى يوقنا دارا بازاء قصره ثم قال يوقنا ايها الملك ما خلا جسد عن جسد فاذا
اقبلت الدنيا على احد كثرت حساده واخاف من الحساد ان يتكلموا في غرض فيرمى بما لا افعله
من القبيح فان كان قلبك الملك ينفذ عني فيولي غيري على هذا الامر فقال هرقل ايها الصديق
ما وليتك هذا الامر الا وقلبي يشق بك فمن تكلم بشيء سلمته اليك تفعل به ما شيئت فقبل
يوقنا بين يديه واراد الخروج الى خدمته التي ولي عليها واذا بالخيل البريد قد اقبلت الى الملك
من مرعش يذكرون انهم رسل من ابنته زينونة وانها خايفة من العرب وتريد القدوم
عليك ونسالك جيشا يسيرة اليها فلما سمع الملك بذلك قال ليس لها الا مستق يوقنا فضم
اليه الفي فارس من المدججة والقناصرة وسار يوقنا بالالفين وقد رفع الصليب على راسه
الى ان وصلوا مرعش واخذ بنت الملك وهي الصغرى وكان الملك قد ولاها على تلك الارض
وزوجها لنوسطورس وكانوا يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد مات على
البرموك قال الواقدي رحمه الله فلما اخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها انطاكية فاخذ طريقه
على الجادة العظمى لعل ان يلتقي احدا من جواسيس المسلمين او من المعاهدين فيبعث
معه الخبر الى ابي عبيدة وانه قد تمكن من انطاكية فلما كان في بعض الليالي وقد اشرف
على مرج الديباج وذلك في نصف الليل واذا بخيول الروم قد نصبت آذانها واذا بالخيل التي
على المقدمة قد عاودت في سرعة البرق فقال يوقنا وراكم فقالوا انا اشرافنا على وسط
المرج فاذا بعسكر نازل فيها فتجسسنا عنهم واذا هم عرب نيام وخيولهم يا كل علافها
ولسنا نشك الا انهم من المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك قال لاصحابه خذوا على انفسكم وجا هدوا
اعدائكم وقاتلوا عن حرمة الملك ولا تسلموها لاعدائه فاعتمدوا على الاسر وايا كم
والقتل واعلموا ان العرب مع اميرها لا بد لهم من قصر الملك والمضاق فان اسرنا احد
كان لنا بمن نفاديه قال ثم قصدوا من كان في المرج فلما احس بهم الحرس ايقظوا اصحا بهم
فاستيقظوا وركبوا واستقبلوا يوقنا واصحابه وقالوا من انتم قال لهم يوقنا بل من
انتم قالوا نحن اصحاب الملك الرحيم هرقل ورجال ملك العرب جبلة بن الايهم ومقدمنا ولده
الهايم فلما سمع ذلك يوقنا ترجل اعظاما له وترجلت الفان وقال الهايم ليوقنا من
اين طريقك قال من مرعش جئت بابنة الملك قال يوقنا فمن اين جئت انت قال من
البقيعة البيرة حملت ميرة فلما رجعت ازيد الملك عبرت بمرج دابق فالتقيت
بكتيبة من الفرسان وهم زهاء على مايتين وهم بزينا فلما شارفناهم بادروا الينا بغير
جليد واذا مقدمهم لا يصطلي بنار فلقد ابادمنا رجالا وجدلا ابطالا ونحن في الغطاس

فما كان فينا الاكالنار في الحطب فما زلنا نكر عليه ويكر علينا الى ان اسرنا المائتين
وقال الواقدي وكان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرب ضرار واسر فلما قال الليث
انطلق بقارنا يلتمس الوصول الى ابي عبيدة وهو بارض عظيم فاعارضه فقال يا ابا الحارث
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من امري كذا وكذا فاقبل الاسد يتصيص بذنبه هي حام
الى جانبه قال فسرت وهو الى جانبي حتى اتيت موضع صحابتي ثم توكى ومضى ووصل سفينة الى ابي عبيدة
فحدث بامر ضرار فبكى ابو عبيدة وحمد الله على اسر ضرار وبلغ الخبر لاخته هوله فقالت
انا لله وانا اليه راجعون يا ابن امي ليت شعري في السلاسل او تفرق ام بالحديد قيدوك ثم جعلت
تقول

الا ايها الركب الذي بلغ العراق مخبرا ... فما فعل الاقوام ويحك اشغلهم عنا
فلو كنت ادري انه آخر النوى ... لكنا وقفنا للوداع ودعنا
الا يا غراب البين هل انت مخبري ... وهل يقدم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو بقربهم ... وكنا بهم نزهو وكنا كما كنا
الا فاتك الله النوى ما اضرها ... وكرنا لياليا ونحن جماعة
وبتنا له مما اراد النوى حما ... فرقنا ريب الزمان وشتتنا

لين رجعوا يوما الى وارعزهم ... لقينا خناقا للمطايا وقبلنا
ولم انس اذ قالوا خراز امطرا ... تركناه في ارض العدو ودعنا
فما هذه الايام الا امثلة ... وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
سلام على الاحباب في كل ساعة ... وان بعدوا عنا وان ضنوا انا

قال الواقدي واجتمع الشعراء ممن لها اسير بهذه القصة وفي جملتها مرثية بنت عمليق الجبرتية
وكانت افصح اهل زمانها وكان اسير ولدها صابرين سادس ممن اسر فجعلت تندب وتقول

اي ولدي قد زاد شوقي للهفتي ... وقد حرقت مني الخدود المدامع
وقد اطرمش نار الصبابة شعلة ... وقد جفت مني الحشا والاضالع
واسأل عند الركب ان يخبروني ... بحالك كيما يسكن اللوامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ... والا نطقوا ان قال انك راجع
فيا ولدي قد غيبت كدرت عيشتي ... فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري متسرم وعقلي مولة ... وقد شفني مستوفج وهواي بلاقع
فان كل حي صائر لمحجة ... وان تكن الاخرى فانا جامع

قال الواقدي رحمه الله ولما ورد الكتاب والخمس على امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقراه على المسلمين وفرحوا بذلك وكتب الى ابي عبيدة يامره بالمسير الى انطاكية فلما ورد
الجواب مع رباح بن عامر سار ابو عبيدة من يومه يطلب انطاكية واما يوقنا والهايم
بن جبلة ومن تبعهم فانهم ساروا الى ازنطاكية وسبق المبشر الى هرقل بقدوم ابنته
والى يوقنا اسير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الملك بالبيع زينت وقعت
الصدقات على فقراء الروم وخرج موكب الملك الى لقائهم مع ابن اخيه فورين فترجلت
البطارقة والاكابر بين يدي ابنة الملك وخرج كل من بانطاكية وكان يوما مشهودا
وقدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مشدودون بالقدكنا والروم تسبقهم
وقد داربهم رجال الهايم بن جبلة وزفت بنت الملك الى قصر ابيها ودخلوا على
الملك وسكعوا بين يديه فخضع على الهايم ويوقنا وكل اصحابهم وامر باصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمثلوا بين يديه وهم في الحال وصاحت الحجاب والخدم قبلوا الارض
للملك فلم يلتفتوا الى ذلك فقال لهم الى حد الكبير شروركم لا تعظمون الملك بالسجود
بين يديه فقال صوار بن الازور وقد نهكنا نبينا عليه السلام عن السجود للمخلوق قال
الواقدي ولما وقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي هرقل خاطبهم من
غير ترجمان واراد بذلك ان يسمع بطارقته وحجابه بما كان قد حدثهم رجلين

بعث رسول الله اليه وقد مضت قصته ثم قال ممن تخاطبني منكم عما اسأله فاشاروا
الى قيس بن عامر الانصاري وكان شيخا معمرا شهد جميع احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم سأل عنه هرقل عن كيفية الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى له في اثناء ذلك
وعن احواله وشرايعه وصفاته فاجاب عن ذلك كله قيس وكان هناك بطريق
الروم يسمع هذا الكلام وكان رأس دينهم فقال ايها الملك ان الذي ذكرت لم
يبعث بعد فقال ضرار كذبت هذه اللحية الخنزيرية يا كلب الروم وانه هو
النبي المشهور المبعوث ولكن حجاب الكفر منعكم من معرفته فقال هرقل
اسأت الادب اذ احقرت بعمدة ديننا فمن انت قال قيس بن عامر وهذا
ضرار بن الازور قال الملك فهذا الذي بلغني انه يقاتل مرة راجلا ومرة فارسا قال
نعم قال الواقدي لما سمع البطريق كلام ضرار غضب وغضب البطارقة والحجاب
لغضبه فلما نظر هرقل الى غضبهم خاف على نفسه منهم فقال قطعوه بأسيافكم
قال فاخذته السيوف من كل جانب ونالته ضربات الكلام فضربوا اربع
عشرة ضربة الا انها غير قاتلة لما اراد الله عز وجل من نجاته فلما رأى البطريق
ذلك قال اقطعوا لسانه فلما سمع يوقنا ذلك قال لولده وكان في جملة والله لا تركت
هذا اللعين يتكلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم وقبل الارض وقال
ايها الملك ليس بهذا صواب وان من الرأي ان ترك هذا الغلام فان عاش الى صبيحة غد
اخرجناه الى باب المدينة وضربنا عنقه فيشفي بذلك صدور الروم اذ على قلوبهم منه
مالا يوصف من قتله لآبائهم وابنائهم ويبلغ الخبر للعرب فيوهنهم ذلك لو انها قصد بذلك
يوقنا خلاف ضرار وقال اذا بات ليلة انكسر الغيظ من الروم قال فاستصوب الملك
رأيه وقال ليوقنا وولده خذاه اليكما فاحفظاه الليلة عندكما قال فاخذاه وانيا به
الى داريهما فعالجا جراحه واسقياه الشراب ففتح ضرار عينيه ولم يكن له علم من
امر يوقنا وانما كان يظن انه ارتد فقال ان كنتما كافرين فقد سخر كما الله لي حتى
داويتماني وان كنتما مؤمنين فهنيئا لكما ولعل الله ببركتكما يجمع شملي بعجوزي في الحجاز
قد علاها الصياح والبكاء ولي اختية في عسكرنا وقد خفي عليها امري فان قدرتما
تبلغاها سلامي واعلاماها بحالي وكيف كان للكافرين مقالي فعسى تعلم امي بحالي
ثم صبر الى الليل وقال اكتبا عني لامي ولاختي ثم املى عليهما هذه الابيات

الا ايها الشخصان بالله بلغا ... سلامي الى اطلال مكة والحجر
بعز واقبال يدوم مع النصر ... ولا ضاع عند الله ما تصنعانه
بصنعكما بي بلت خيرا واراحة ... كذلك فعل الخير بين الورى يجري
وما بي وايم الله موتي وانما ... تركت عجوزا في الهامة والقفر

ما ليس في ح

وآثارهم م

ضعيفة حال ليس فيها جلادة ... على نائبات الحادثات التي تسري
مفوده سكنى القفار مقيمة ... على الشيح والقيصوم والعشب والزهر
وكنت لها ركنا لفقد رجالها ... فاكرمها جهدي وان مسني فقر
واطعمها من صيد كفي اربا ... مع الوحش واليربوع والضب والغفر
واحمي حماها ان تضام ولم ازل ... لها ناصرا في موطن اليسر والعسر
واني اردت الله لا شيء غيره ... فجاهدت حينا للملاعين بالسمر
لارض خير الخلق اعني محمدا ... لعلي انال الفوز في موقف الحشر
فمن خاف يوم الحشر ارض الهه ... وقاتل ابناء الصليب ذوي الكفر
كذلكم حتى جاهدت كل كافر ... وما برحت بالطعن في الكر والفر
تقول وقد حالى الفراق بحينه ... الا ايا اخي مالي على البين من صبر
الا ايا اخي هذا الفراق فمن لنا ... بحسن رجوع قادم منك بالبشر
اذا سافر الانسان عن الارض اهله ... فانا نرجو او هلاك الى الدهر
الا مبلغا عني اخيها تحية ... مقولا غريبت مات في قبضة الكفر
جريح طريح بالسيوف مقطع ... على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
الا يا حمامات الاراك تحملي ... تحيتها صبت لا يفيق من السكر
حمايم نجد بلغي قول شايق ... الى عسكر الاسلام والسادة الغر
وقولي ضرار في القيود مكبل ... بعيد من الاوطان في بلد وعر
حمايم نجد اسمعي قول مفرد ... غريب كئيب حان في ذلة الاسر
وان سألت عني اختية خبرى ... بان دموعي كالسحاب وكالقطر
حمايم نجد غردي عند موطني ... وقولي ضرار قد بحن الى الوكر
حمايم نجد ان اتيت خيامنا ... فقولي كذا الدهر عسر على يسر
لنه من عداد العمر عشر وسبعة ... وواحدة عند الحساب بلا نكر
وقولي لهم ان الاسير بحرقة ... يضرم نارا في الضلوع مع الصدر
وفي خده خال محتته مدامع ... على بعد اوطان وكسر بلا جبر
مضى سايرا يبغي الجهاد تورعا ... فوافاه ابناء اللئام على غدر
الا فاندبني يا بارك الله فيكما ... الا فاكتبا هذا الغريب على قبر
الا يا حمامات الحطيم وزمزم ... الا اخبري حالي ودلي على امري
عسى تسمح الايام منها بزورة ... لقبر غريب لا يزار من النكر

قال الواقدي رحمه الله لما كتب يوقنا عن ضرار هذه الابيات سلمه لرجل يثق به وبعثه الى
المسلمين فوصل الى ابي عبيدة فقرأه على الناس فبكوا بكاء شديدا وسمعت اختته بذلك

وبكت وقالت والله لاحزنن بشان وكان خالد رضي الله عنه من اشد الناس حزنا عليه
قال ثم ان ابا عبيدة سار بالمسلمين حتى نزلوا حشر الحديد وبلغ الخبر هرقل
وتمكن الخوف من قلبه وامر بطارقته بالتأهب لقتال العرب ونصب سرادقة
مما يلي حشر الحديد وضربه الملوك خيامها وفتح الملك خزاين السلاح وفرقها على
رجاله وابطاله وخلع على يوقنا وقال ايها الدمستق قد وليتك على جيشي هذا كله
فكن مدبرا ثم سلم اليه صليبا كانوا لا يظهرونه الا في يوم عظيم وقال قدم هذا الصليب
واعتمد عليه فهو ينصرك فاخذه يوقنا وسلمه الى وكيله

ذكر ما جرى للاسرى عند هرقل

قال الواقدي لما خلع هرقل على يوقنا ركب الى
الكنيسة المعظمة وركبت معه الملوك والحجاب فصلوا صلاة النصر فلما قد غوا جلس
الملك وامر بالماسورين من الصحابة ان يؤتى بهم ليقدبوهم قربانا فقبل يوقنا يده
وقال يا عظيم الروم ما اولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم ان جلدك يحتمل ذلك
وان العرب قد قصدتنا ولا بد من القتال ولا ندري على من الدائرة فان قتلت هو لاء
ووقع احد منا في ايديهم لا يبقون عليه والصواب تركهم الى ان نرى ما يؤول
اليه الامر منا فان اسر احد من اصحابكم وجدنا من نفاديه به فقال الارباب الدولة
ايها الملك لقد صدق الدمستق فكلم البطريق وقال ايها الملك مرنا باحضارهم
في هذه الكنيسة فانهم اذا نظروا الى ما فيها من الزينة والبهجة وما فيها من النساء
والبنات المزينة العطرة تميل انفسهم الى الدنيا وزينتها فيرجعون الى
ديننا فيكون ذلك وهنا للمسلمين قال فامر الملك بحضارهم فلما توسطوا الكنيسة
رفعت الاقسة اصواتهم بقراءة الانجيل واطلقوا البخور والعود والند واظهروا
الذرى والجمار فعندها رفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب
العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبينا ما اتخذ الله من
ولد وما كان معه من اله قال وكان في الصحابة رجل من اهل اليمن من فصحائهم
وعلمائهم اسمه رفاعة بن زهير حرث بينه وبين البطريق محاورات كثيرة
وكان والله اسير معه اسمه عامر وانه لما نظر الى ما في الكنيسة من الزينة و
الصور وصلبان والنساء الجميلة بادر الى تقبيل الصلبان واشرك بالله تعالى
فلما نظر اليه ابوه رفاعة بكى وقال يا ويلك الكفر بعد ايمانك لقد فضحت شيبة
ابيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى قال فامر به البطريق فحل من الوثاق
وامر به الى دار المعبودية ودارت به الاقسة والشمامسة ووقعت عليه الحلق
من البطارقة والملوك ووهبه الملك مركوبا وجارية ومنزلا وضمه الى اصحاب

والصلاة على البشير النذير

ه

جبلة بن الايهم فقال لهم البطريق يا معاشر العرب ما منعكم ان تعودوا الى دينكم كما فعل
صاحبكم فقالوا ما يمنعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وانما نبدل الايمان بالكفر ولو
قطعنا بالصوارم صبرا فقال لقد طردكم المسيح عن بابه وابعدكم عن اصحابه قال ثم امر بهم
الملك الى السجن ثم خرج من الكنيسة الى عسكره ينشر على الخيام والسرادقات فطاف
عسكره باجمعهم واراد الدخول الى انطاكية واذا بفوارس تركض اليه فقال الحجاب
ما وراكم قالوا قد ملك العرب حشر الحديد قال فايقن الملك بزوال ملكه قال وكيف ملكوها
وفي برجيه ثلمايه مقاتل قالوا ايها الملك المقدم هو الذي سلم قالوا قدي وكان من حسن صنيع
للمسلمين ان حاجب الملك كان كل يوم يسير في موكبه الى الجسر ويوصي من في البرجين
بالحفظ والحرس وانه مضى في بعض الايام على حسب عادته ليشرف عليهم فوجدهم يشربو
وليس عندهم هم الحفظ فاخذهم وضرب كل واحد منهم خمسين مقدعة وهم ان
يقتل المقدم ثم امسك عنهم عفة وخيفة من عتب الملك ثم تركهم وعاد فال وعمل الحقد
في قلوبهم فلما قدم ابو عبيدة والمسلمون اخذوا منهم امانا وفتحوا لهم الباب فدخل جيش
المسلمين فلما سمع الملك بذلك امر اصحابه ان يناهبوا الحرب وبقية ذلك من الحرب
وفتح انطاكية نذكرها في سنة سبع عشرة ثم نذكر ههنا ما جرى في ارض العراق
في هذه السنة اعني سنة ست عشرة

ذكر ما جرى في العراق في هذه السنة

قال ابن كثير رضي الله عنه استهلت هذه السنة يعني سنة ست عشرة
وسعد بن ابي وقاص منازل مدينة نهر سير وهي احدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة
من الفرات وكان قد ومد اليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة واستهلت هذه السنة
وهو نازل عندها وقد بعث السرايا والخيول في كل وجه فلم يجدوا احدا من الجند
قد جمعوا من الفلاحين مائة الف فحبسوا حتى كتب الى عمر ما يفعل بهم فكتب اليه عمر
ان من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فخلوا عنه ومن هرب فادركتموه
فشانكم به فاطلقهم سعد بعد ما دعاهم الى الاسلام فابوا الا الجزية ولم يبق من غربي دجلة
الى ارض العرب رجل من الفلاحين الا تحيز الجزية والخراج وامتنعت نهر سير من سعد
اشد الامتناع وقد بعث اليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم الى الله او الجزية او
المقاتلة فابوا الا المقاتلة والعصيان ونصبوا المجانيق والدبابات وامر سعد
بعمل المجانيق فعملت عشرون منجنيقا ونصبت على نهر سير واشتد الحصار وكان اهلها
يخرجون فيقاتلون قتالا شديدا ويحلفون ان لا يفروا ابدا فاكذبهم الله وهزمهم
زهرة بن حوية بعد ما اصابته سهم وقتل بعد مضايه به كبير الفرس وفروا بين يديه
ولجاؤا الى بلدهم فكانوا يحاصرون فيه اشد الحصار وقد احصر اهل البلد حتى اكلوا

رضي الله عنه

رضي الله عنه

ه

ه بوحوه بفتح الحاء وكسر الواو وتشديد الياء

الكلاب والسنانير واشرف رجل منهم على المسلمين فقال يقول لكم الملك هل لكم الى
المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم اما شبعتم
لا اشبع الله بطونكم قال فبدر الناس رجل يقال ابو مفرز الاسود بن قطبة فانطقه
الله بكلام لم يدر ما قال لهم قال فرجع الرجل وراءهم يقطعون بهر سير الى المدائن
فقال الناس لابي مفرز ما قلت لهم فقال والذي بعث محمدا بالحق ما ادري ما قلت الا ان
على سكينة وانا ارجو ان اكون قد انطقت بالذي هو خير وجعل الناس يتنابزون به
يسألونه عن ذلك فكان فيمن سأله سعد ابي وقاص وجاءه سعد الى منزله فقال يا ابا مفزر
ما قلت فوالله انهم هزاب فحلف له انه لا يدري ما قال فنادى سعد في الناس ونهدهم
الى البلد والمخانيق فضرب في البلد فنادى رجل من البلد بالامان فامناه فقال والله ما
بالبلد احد فتسور الناس السور فما وجدنا بها احدا الا قد هزموا الى المدائن وذلك
في شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وانا سا من الانسار فيها الاي شيء
هزبوا قالوا بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فاجابه ذلك الرجل بانه لا يكون بيننا
وبينه صلح ابدا حتى نأكل اقديدين بانوج كوثى فقال الملك باويلاه ان الملائكة لتتكلم
على السنتهم ترد علينا وتجيبنا عن العرب ثم امر الناس بالرحيل من هنا الى المدائن
فجازوا في السفن منها اليها وبينهما دجلة وهي قريبة منها جدا قال ولما دخل المسلمون
بهر سير في الليلة الخامسة لهم القصر الابيض من المدائن وهو قصر الملك الذي كان ارسل
الله صلى الله عليه وسلم انه سيفتحه الله على امته وذلك قرب الصباح فكان اول من
رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب فقال الله اكبر ابيض كسرى هذا ما وعدنا الله
ورسوله ونظر الناس اليه فتابعوا التكبير الى الصبح ذكر فتح المدائن التي
هي مستقر ملك كسرى قال ابن كثير رحمه الله عليه لما افتتح سعد بهر سير و
استقر بها وذلك في صفر لم يجد فيها احدا ولا شيئا مما يغنم بل قد تحولوا بكما لهم الى
المدائن وركبوا السفن وضموا السفن اليهم ولم يجد سعد رضي الله عنه شيئا
من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية وقد ادت دجلة زيادة عظيمة
واسودت مياهها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها واخبر سعد بان كسرى يزدجرد
عازم على اخذ الاموال والامتعة من المدائن الى حلوان وانك ان لم تدركه قبل ثلاثة ايام
فات عليك وتغارط الامر فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة فحمد الله واثنى
عليه فقال ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه وهم يخلصون
اليكم اذا شاؤا في السفن وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه وقد رأيت
ان تبادروا جهاد العدو بشبابكم قبل ان تحصدكم الدنيا الا اني قد عزمت على

قطع هذا البحر عليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولكم على الرشد فافعل فعند ذلك ندب سعد
الناس الى العبور من بيد فيجمي لنا الفراض يعني ثغرة المخاضة من الناحية الاخرى
فيجوز الناس اليهم آمنين فانتدب عاصم بن عمرو وذو الباس من الناس قريب من
ستمائة فامر سعد عليهم عاصم بن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم من ينتدب
معي ليكون قبل الناس يدخل اولا في هذا البحر فيجمي الفراض من الجانب الاخر فانتدب له ستون
من الشجعان المذكورين والاعاجم وقوف صفوف من الجانب الاخر فتقدم رجل من المسلمين
وقد اجم الناس عن الخوض في دجلة فقال انجاني فوز من هذه النطفة ثم تلا قوله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ثم اقحم فرسه فيها واقتحم الناس وقد افترق
الستون فرقتين اصحاب الخيل الذكور والخيل الاناث فلما راهم الفرس يطلعون على وجه الماء
قالوا ديوان ديوان يعنون مجانين ثم قالوا والله ما تقاتلون انسا وانما تقاتلون
جنا ثم ارسلوا فرسانهم في الماء يلتقون اول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء فامر عاصم عشرة
اصحابه ان يشرعوا لهم بالرماح ويتوخوا الاعين ففعلوا ذلك بالفرس فتلعر اعيون ضيولهم
فرجعوا امام المسلمين لا يملكون كمتا ضيولهم في مرهوا من الماء واتبعهم عاصم واصحابه حتى
حتى طرحوهم على الساحل فوقفوا على حافة دجلة ونزل بقية اصحاب عاصم في النهاية في وجه
من خلفهم حتى وصلوا الى اصحابهم على الساحل فقاتلوا امام اصحابهم حتى نفرا الفرس عن وراءهم
وكان تلاثين الكتيبة الاولى كتيبة الاهوال وامرها عاصم بن عمرو والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء
وامرها النعمان بن عمرو هذا كله وسعد واقف والمسلمون ينظرون الى ما يصنع بهم لا
الفرسان بالفرس وسعد واقف على شفير دجلة ثم نزل سعد بشفير الكتف ودنا حتى
نظر الى الساحل قد تحصن فرحل عنه من فرسان المسلمين وعدا من سعد المسلمين ان يقولوا
عند دخول الماء نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه احد فما رؤيها كثيرا
يسيرون على وجه الارض حتى ملأوا ما بين الساحل والجزيرة من وجه الماء من الفرسان والرجالة
وجعل الناس يسيرون على وجه الماء كما يسيرون على وجه الارض لما حصل لهم من الطمانينة
والامن والوثوق بامر الله ووعده ونصره وتاييده ولان ابرهم سعد اي وقاص رضي الله
احد العشرة المشهود لهم بالجنة وقد تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توفي عنه راض ودعى
له فقال اللهم اجب دعوته وسدد رميته والقطع به ان سعدا دعى بكشف هذا
اليوم ما سلامة والنصر ويدري على هذا الهيئة فدل هذا على ان سعدا دعى بكشف هذا
رجل واحد عن ان رجلا سأل له عن قدرة الله التي زلزل عن فرس له شموس فظل القعقاع بن عمرو

رضي الله عنه

لعم

اي نهض

عسكره

بلجامها واخر سيد الرحل حتى عدل على فرسه وكان في الشجعان مثال محرز النساء ان يلزن كالتعاج
بن عمرو ولم يقدم للمسلمين شيء استعظم غير قدح فرصنت لرجل يقال له مالك بن عمرو
كانت جلالته تزنه ماخذه المرج يدعى صاحبه الى عمر رجل وقال اللهم لا تجعلني ممن يسعى
شاعي فروه المرج الى اهله الذي ينتظرونه ماخذه الناس ثم ردوه على صاحبه بغنيمته
وكان الفرس واداعيني في الماء فنيض له مثل الشيء المرتفع فيقف عليه فيتسع وحتى
ان بعض الخيل ليسير وما يبلغ الماء الى جرامها وكان لهرمان عظيما وانزالها يلا
ومفتح لرسول الله عليه السلام لم ترمثلها في تلك البلاد ولا في بقعة من البقاع سوى قصبة
العذارى بالخضراء الشديدة بلغ هذه اجل واعظم وكان هذا الجيش كان اضعاف ذلك
قالوا وكان الذي يسابق سعدا سلمان الفارسي رضي الله عنهما فجعل سعد يقول حسبنا
ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ولهزمن الله عدوه ان لم يكن من
الجيش بغي او ذنوب تغلب الحسنات قال له سلمان ان الاسلام جديد ذللت لهم البحور
كما ذللت لهم البر اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا افواجا فخرجوا
منه كما قال سلمان لم يفرق منهم احد ولم يفقدوا شيئا ولما استقل المسلمون على وجه الارض
فرجع الخيول تنفض اعرافها صاهلة فقاوروا الاعاجم حتى دخلوا المدائن
ملكوها اقبالها اقبالها فاخذ كسرى اهله وما قدروا عليه من الاموال والامتعة والحواصل
وتركوا ما عجزوا عنه من الانعام والشياه والمتاع والاثاثية والالطاف والاوعية مما لا يدرى
قيمته وكان في خزانة كسرى بالمدائن الف الف ثلاث مائة الف الف حاملوا ما قدروا
عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف وذلك انهم بقاربه فكان اول من دخل المدائن
كتيبة الاهوال ثم الكتيبة الخرساء فاخذوا في سكك المدينة لا يلتفتون احدا ولا يجتمعون عند
القصر الابيض فعند ذلك وهو محض فلما جاء سعد ناكسر وفي اهل القصر الابيض
علوة امام على لسان سلمان الفارسي فلما كان اليوم الثالث نزلوا من وكنة سعد واتخذ
الايوان مصلى ومن دخل تلا قوله سبحانه كم تركوا من جنات وعيون الاية ثم تكلم
الى صدر صلاة ثمان ركعات صلاة الفتح وروى سيف في روايته انه صلاها بتسليمة
واحدة وانه جمع بالايوان في صفر وهذا اصح وكانت اول جمعة جمعت بالعراق وذلك
لاثنتي عشرة ليلة من الاقامة بها وبعث الى ابغالات فانزلهم دور المدائن واستوطنوها
حتى فتح جلولاء وتكريت وانحدروا الى الكوفة بعد ذلك كما سيذكر ان شاء الله تعالى
ثم ارسل السرايا الى اثر كسرى يزدجرد فلحقوا منهم طائفة فقتلوهم وشردوهم
واستلبوا منهم اموالا عظيمة واكثر ما اشتروا جواري ملابس كسرى وتاجه وحليته

اما فرس سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فانه وصل الماء الى بيت الشكارة

من الذهب الاحمر

رحمه الله

وشرع بعد في تحصيل ما هنالك من الاموال والجواصل والتحف مما لا يقوم ولا يحد ولا يوصف
كثرة وعظمة وكان هناك تماثيل من جص فنظر سعد الى احدها واذا هو يشير باصبعه
الى مكان فقال سعد ان هذا لم يوضع هكذا سدى فاخذوا ما يسامت اصبعه فوجدوا
تحتها كنزا عظيما من كنوز الاكاسرة الاوايل فاخذوا منه امرا عظيمة وجواصل
باهرة وتحفا فاخرة واشتغل المسلمون على ما هنالك اجمع مما لم يراحد في الدنيا
اعجب منه فكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التي تحير الابصار
ومنطقته كذلك وسيفه وسواراه وقباؤه وبساطه ايوانه وكان مقنبقا
ذاعا في مقلها من كل جانب والبساط مثله سواء وهو منسوج بالذهب واللآلي
والجواهر الثمينة وفيه مصور جميع ممالك كسرى بلاده بانهارها وقلاعها و
اقاليمها وكنوزها وصفة الزروع والاشجار التي في بلاده فكان اذا جلس على كرسي
مملكته ودخل تحت تاجه وتاجه معلق بسلاسل الذهب لانه كان لا تستطيع ان
يقله على رأسه لثقله بل كان يخرج بجر يجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج
والسلاسل الذهب تحمله عنه وهو يسير حال لبسه فاذا رفع الحجاب عنه خرت له
الامراء سجودا وعليه المنطقة والسواران والسيف والقبا المرصع بالجواهر
فينظر في البلدان واحدة بعد واحدة فسأل عنها ومن فيها من النواب وهل
حدث فيها شيء من الحوادث فيخبره بذلك ولاة الامور بين يديه ثم ينتقل الى الاخرى
وهكذا حتى يسأل عن احوال بلاده في كل وقت لا يهمل امر المملكة وقد وضعوا
هذا البساط بين يديه تذكارا له بشان الممالك وهو اصطلاح جيد منهم في امر
السياسة فلما جاء قدر الله زالت تلك الابدي عن تلك الممالك والاراضي وتسلمها
المسلمون من ايديهم فهذا بعون الله وتوفيقه وقال وكان فيما ردت السرايا اموالا
عظيمة وفيها اكثر اثاث كسرى وامتعته والاشياء النفيسة التي استصحبوها
منهم ولم يقدر الترس على حمل البساط لثقله عليهم ولاحمال الاموال لكثرتها فانه
كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملآن الى اعلاه من اواني
الذهب والفضة ويجدون من الكافور شيئا كثيرا فيحسبونه ملحا وربما استعملته
بعضهم في العجين فوجدوه مرا حتى تبينوا امره ووجدوا الستر الذي كان ينصب
على الايوان الذي فرقه سعد فتح عنه الف الف مثقال من الذهب ووجد في
خزائن كسرى اربعة آلاف الف دينار عينا وغير ذلك مما لا يوصف فتحصل
التي غنم على امر عظيم من الاموال وشرع سعد فخمسه وامر سلمان الفارسي رضي الله عنه
يقسم اربعة الاخماس من الغنائم فحصل لكل واحد من الفرسان اثنى عشر الفا

بصار

بيت

بيان الآف الوف الو

اي من الدينار

وكانوا اكلهم فرسانا واستوهب سعد اربعة اخماس البساط ولبس كسرى من الملبس
ليبعثه الى عمر رضى الله عنه والمسلمون بالمدينة لينظروا اليه ويتعجبوا منه فطيبوا
له ذلك واذنوا فيه فبعثه سعد الى عمر مع الخمس مع بشير بن الخصاصية
رضى الله عنه فقسم عمر ذلك في المسلمين فاصاب عليا قطعة من البساط في قدر شبر فباعها
بعشرين الفا وعن الحسن ان عمر بن الخطاب اتى بقرونة كسرى فوضعت بين يديه
وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم قال فالقى اليه سوار كسرى بن هرمز فجعلهما
في يديه فبلغا منكبيه فلما راهما في يدى سراقة قال الحمد لله سوارى كسرى بن
هرمز في يدى سراقة بن مالك بن جعشم اعرابي من بني مدلج رواه البيهقي ثم
رضى الله عنه حكى عن ان في انه قال وانا البسهما سراقة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كانى بك وقد لبست سوارى كسرى قال الشافعي
وقد قال عمر رضى الله عنه لسراقة حين البسه سوارى كسرى قل الله اكبر فقال
الله اكبر ثم قال قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما سراقة
يزيد جزءا مالك اعرابي من بني مدلج **وقعة جلولا** ولما سار كسرى وهو يزدجرد بن
شهريار من المدائن هاربا الى حلوان شرع في اثناء الطريق في جمع رجال واعوان
وجنود من البلدان التي هناك فاجتمع اليه خلق كثير وامر على الجميع مهران
وسار كسرى الى حلوان واقام الجيش الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولا
وحفروا خندقا عظيما حولها واقاموا بها في العدد والعدد والآلات الحصارية
فكتب سعد الى عمر رضى الله عنه يعلمه بذلك فكتب اليه عمر ان يقيم هو بالمدائن
ويبعث ابن اخيه هاشم بن عتبة اميرا على الجيش الذي يبعثه الى كسرى ويكون
على المقدمة القعقاع بن عمرو على ان ساقة عمرو بن مرة الجهني ففعل سعد ذلك
وبعث مع ابن اخيه جيشا كثيفا يقارب اثني عشر الفا من سادات المسلمين ووجوه
المهاجرين والانصار ورؤوس العرب وذكر في صفر من هذه السنة بعد فراغه
من امر المدائن فسار واحتى انتهوا الى المجوس وهم بجلولا قد خندقوا عليهم فحاصرهم
هاشم بن عتبة وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالا
لم يسمع بمثله وجعل كسرى يبعث اليهم الامداد وكذلك سعد يبعث
المدد الى ابن اخيه مرة بعد اخرى وحمي القتال واصطرمت نار الحرب
وقد تعاهدت الفرس وحلفوا بالنار ان لا يفروا ابدا حتى يفنوا العرب
فلما كان الموقف الاخير وهو يوم الفيصل والفرقان توافقوا من اول
النهار فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد مثله حتى فني القتال من الطرفين
وتقصفت الرماح من هول الايوم وهوله وصاروا الى السيوف والطبرزين

وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون ايماء وذهبت فرقة المجوس وجاءت اخرى مكانها
فحمل القعقاع بن عمرو وحمل الناس فصدم القعقاع الحملة حتى انتهى الى باب حصن
الخندق واقبل الليل بظلامه وحالت بقية الابطال بمن معهم في الناس وجعلوا ياخذون
في التحاجز من اجل اقبال الليل وفي الابطال يومئذ طليحة الاسدي وعمرو بن معدي كرب
وقيس بن مكشوح وحجر بن عدي ولم يعلموا بما صنعه القعقاع من ظلمة الليل ولم يشعروا
بذلك لو لا منادية ينادي ايها المسلمون هذا اميركم على باب خندقهم فحمل المسلمون
نحو القعقاع فاذا هو على باب الخندق قد ملكه عليهم فلما راى الفرس ذلك هربت كل
مهرب واخذهم المسلمون من كل وجه وقعدوا لهم كل مرصد فقتل منهم في ذلك
الموقف مائة الف حتى كلوا وجه الارض بالقتلى وغنموا من الاموال والسلاح والذهب
والفضة قريبا من ما غنموا من المدائن قبلها وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن
عمرو في اثر من انهزم منهم وراء كسرى فساق خلفهم حتى ادرك مهران منهزما
فقتله القعقاع واقلت الفرزان فاستمر منهزما واسر سبايا كثيرة بعثها
الى هاشم بن عتبة وغنموا دوابا كثيرة جدا ثم بعث هاشم بن عتبة بالغنايم والاموال
الى عمه سعد بن ابي وقاص فنفل سعد ذوي النجدة ثم امر سلمان يقسم ذلك بين الغانمين
قال الشعبي كان المال المتحصل من وقعة جلولا ثلاثين الف الف وكان خمسة ستة
الآف الف وقيل كان الذي اصاب كل فارس يوم جلولا نظير ما حصل له يوم المدائن
يعني اثني عشر الفا لكل فارس وقيل اصاب لكل فارس تسعة الآف وتسعة دوابين
ثم بعث سعد بالاخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن ابي سفيان
وقضاعي بن عمرو وابي مفزر الاسود الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وروى سيف عن شيوخه ان فتح جلولا كان في ذي القعدة من سنة ست عشرة وكان
بينه وبين فتح المدائن سنة اشهر **ذكر فتح حلوان** ولما انقضت الوقعة اقام
هاشم بن عتبة جلولا بامر امير المؤمنين عمر بن الخطاب في كتابه الى سعد وامر عمر ايضا لسعد ان يقدم القعقاع بن عمرو الى حلوان ليكون ردا للمسلمين هناك ومرابطا
حيث هرب فسار فادرك امير الوقعة وهو مهران الرازي فقتله وهرب منه الفرزان
فلما وصل الى كسرى واخبر بما كان من امر جلولا وما جرى على الفرس بعده وكيف قتل منهم
مائة الف وادرك مهران وقيل هرب عند ذلك كسرى من حلوان الى الري واستناب على
حلوان اميرا يقال له خسرسنوم فتقدم اليه القعقاع بن عمرو وبرز اليه خسرسنوم
في مكان خارج من حلوان فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم
خسرسنوم وسار القعقاع الى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا واقاموا

وضربوا الجزية على من حولها من الكور والاقاليم بعد ما دعوا الى الدخول في الاسلام فابوا الا الجزية فلم يزل القعقاع بها حتى سعد من المداين الى الكوفة فسار اليه كما سنذكره

فتح تكريت والموصل

لما افتتح سعد رضي الله عنه المداين بلغه ان اهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الانطاق فكتب الى عمر يامر جلولا واجتماع الفرس بها وبامر اهل الموصل فتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر في اهل جلولا وكتب عمر في قضية اهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتكريت على الانطاق ان يعين جيشا لحربهم ويؤمر عليهم عبد الله بن المعتم وان يجعل على مقدمته ربعي بن الافكل العنزي وعلى الميمنة الحارث حسان الذهلي وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلي وعلى الساقة هانئ بن قبيصة وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فتفصل عبد الله بن المعتم في الف من المداين فسار في اربع حتى نزل بتكريت على الانطاق وقد اجتمع اليه جماعة من الروم ومن السماجرة ومن نصارى العرب من اياد وتغلب والنمر وقد احدقوا بتكريت فحاصرهم عبد الله بن المعتم اربعين يوما وزاحفوه في هذه المدة اربعة وعشرين مرة ما من مدة الا ويناصر عليهم ويقل جموعهم فضعف جاشهم وعزمت الروم على الذهاب في السفن باموالهم وارسل عبد الله بن المعتم من هنالك من الاعراب فدعاهم الى الدخول معه في النصرة على اهل البلد فجاءت القصاد اليه عنهم بالاجابة في ذلك فارسل اليهم ان كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقروا بما جاء من عند الله فرجعت القصاد اليه بانهم قد اسلموا فبعث اليهم ان كنتم صادقين فاذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فامسكوا علينا ابواب السفن وامنعوهم ان يركبوا فيها واقتلوا منهم من قدرتم على قتله ثم شد عبد الله واصحابه وكبروا تكبيرة رجل واحد وحملوا على البلد فكبرت الاعراب من الناحية الاخرى مجارا اهل البلد واخذوا في الخروج من الابواب التي تلي جهة فتلقتهم اياد والنمر وتغلب فقتلوهم قتلا ذريعا وجاء عبد الله بن المعتم باصحابه من الابواب الاخرى فقتل جميع اهل البلد عن بكرة ابيهم ولم يسلم الا من اسلم من الاعراب من اياد وتغلب والنمر وقد كان عمر رضي الله عنه عهد في كتابه اذا ظفروا على اهل تكريت ان يبعثوا ربعي بن الافكل الى الحصنين وهي الموصل سريعا فسار اليها كما امر عمر ومعه سرية كثيرة وجماعة من الابطال فسار اليها حتى فتحها قبل وصول الاخبار اليها فما كان الا ان وافقها حتى اجابوا الى المصالحة فضرب عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون ثم اقتسمت الاموال التي تحصلت من تكريت فبلغ سهم الفارس ثلاثة الاف وسهم الراجل

الف درهم وبعثوا بالاخماس مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث بن حسان وولى امرة حرب الموصل ربعي بن الافكل وولى الخراج بها عرفجة بن هرثمة

فتح ماسبذان

من ارض العراق لما رجع هاشم بن عتبة من جلولا الى المداين بلغ سعدا ان ادين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فكتب اليه ان ابعث جيشا وامر عليهم ضرار بن الخطاب فخرج ضرار في جيش من المداين وعلى مقدمته بن الهزيل الاسدي فتقدم ابن الهزيل بين يدي الجيش فالتقى مع ادين واصحابه قبل وصول ضرار اليه فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس واسر ادين بن الهرمزان وفر عنه اصحابه وامر ابن الهزيل فضرب عنق ادين بين يديه وساق وراء الفر حتى انتهى الى ماسبذان وهي مدينة كثيرة فاخذها عنوة وهرب اهلها في رؤس الشعاب والجبال فدعاهم فاستجابوا له وضرب على من لم يسلم الجزية واقام ثانيا عليها حتى تحول سعد من المداين الى الكوفة كما سياتي ان شاء الله تعالى

فتح قرقيسيا وهيت

قال ابن جرير وغيره لما رجع هاشم من جلولا الى المداين وكان اهل الجزيرة قد امدوا اهل حمص على قتال ابي عبيدة وخالد رضي الله عنهما لما كان هرقل بقنسرين واجتمع اهل الجزيرة في مدينة هيت كتب سعد الى عمر رضي الله عنه في ذلك فكتب اليه ان يبعث اليهم جيشا وان يؤمر عليهم عمرو بن مالك عتبة بن فرقد فلما عبد مناف فسار فيمن معه من المسلمين الى هيت فوجدهم قد خندقوا عليهم فحاصرهم حينا فلم يظفر بهم فسار في طائفة من اصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن مرثد وسار عمرو بن مالك الى قرقيسيا واخذها عنوة وانابوا الى بذل الجزية وكتب الى ابنه على هيت ان لم يصالحوا ان يحفر من ورائهم خندقا ويجعل له ابوابا من ناحيته فلما بلغهم ذلك انابوا الى المصالحة

بقية الحوادث في هذه السنة

قال الشيخ ابو عبد الله الذهبي وفي هذه السنة افتتح سوج والرها على يدي عياض بن غنم وقال وفيها بعث ابو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من البرموك الى قنسرين فصالح اهل حلب ومنبج وانطاكية على الجزية وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة وقال ابن الكلبي وفيها سار ابو عبيدة وعلى مقدمته خالد الوليد محاصرا ايلياء فسالوا الصلح على ان يقدم عمر فيها لحجهم على ذلك فكتب ابو عبيدة الى عمر رضي الله عنه فقدم فصالحهم واقام اياما ثم رجع الى المدينة قلت قد تقدم كل هذا في مواضعه على ما ذكره الواقدي رحمه الله وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت ابي عبيد الذي قتل يوم الجسر كما ذكرنا وهي اخت المختار بن ابي عبيد امير العراق وكانت امراة صالحة قال ابن كثير رحمه الله وكان اخوها فاجرا وكان ايضا

رضي الله عنه

رضي الله عنه

وقال الواقدي وفيها حج عمر بالناس واستخلف على المدينة زيد بن ثابت قال وكان نائبه على
عتاب وعلى الشام ابو عبيدة وعلى العراق سعد وعلى الطايف عثمان بن ابي العاص
وعلى اليمن يعلى بن امية وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي وعلى عمان حذيفة بن
محصن وعلى البصرة المغيرة بن شعبة وعلى الموصل ربعي بن الافكل وعلى الجزيرة عياض
بن غنم الاشعري رضي الله عنهم وقال وفي ربيع الاول من هذه السنة اعني سنة عشر
كتب عمر بن الخطاب التاريخ وهو اول من كتبه انه قال ابن كثير وسببه انه رفع رضي الله عنه
الى عمر صك مكتوب لرجل على اخر دين محل عليه في شعبان فقال اي شعبان
امن هذه السنة ام من التي قبلها ام التي بعدها ثم جمع الناس فقال ضعوا للناس
شيئا يعرفون به حلول ديونهم فقال الواقدي اراد بعضهم ان يورخوا كما
يورخ الفرس بملوكهم كلما هلك ملك ارخوا من تاريخ ولاية الذي بعده فكرهوا
ذلك ومنهم من قال ارخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر فكرهوا ذلك ايضا
لطوله وقال قايلون ارخوا من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخرون من
مبعثه واشار علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان يورخ من هجرته من مكة الى المدينة
لظهوره لكل احد فانه اظهر من المولد والمبعث فاستحسن ذلك عمر رضي الله عنه
والصحابة فامر عمر ان يورخ من الهجرة وارخوا من اول تلك السنة من
محرمها وعند مالك ان اول السنة من ربيع الاول لقدومه عليه الله الى
المدينة فيه والجمهور على ان اول السنة من المحرم لانه اضبط ليلا يختلف
الشهور لان المحرم اول السنة الهلالية العربية وقد ذكرنا طرفا منها
في اول الهجرة النبوية وقال الواقدي وابن جرير وفي المحرم منها توفيت
مارية ام ابرهيم بن رسول الله عليه السلام وصلى عليها عمر بن الخطاب وكان يجمع
الناس لشهود جنازتها ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وذكر في تاريخ اليعقوبي
وفي هذه السنة اعني سنة ست عشرة قدم جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب فتلقاه
جماعة من المسلمين ودخل في زي حسن وبين يديه جنايب مقادة
ولبس اصحابه الديباج وركبوا الخيول المقودة اذنابها الملبسة قلايد
الذهب والفضة ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية وهي جدته ودخل
المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس الا خرجت تنظر اليه ثم خرج عمر الى الحج
في هذه السنة فحج جبلة معه ثم ذكر حكاية الفزاري معه وهروبه بالليل
كما ذكرنا ثم قال ثم سار الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه
فتنصروا عن اخرهم وفرح هرقل به واكرمه واقطعهم حيث شاء ثم قد

جبلة على فعل ذلك وقال تنصرت الاشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تليغني فيها الحاج ونحوه وبعت بها العين الصحيحة بالعور فيا ليت امي لم تلدني وليتني
رجعت الى القول الذي قاله عمر ويا ليتني ارعى المحاض بقفرة وكنت اسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة اجالس قوما ذاهب السمع والبصر وذكر الاصفهاني
قال قدم رسول عمر رضي الله عنه الى هرقل يدعوه الى الاسلام او الجزية فقال الجزية
ولما اراد الرسول الرجوع قال له هرقل ألقيت هذا ابن عمك الذي عندنا يعني جبلة قال لا
قال فالقه قال فتوجهت اليه فاذا على بابه من القهارمة والحجاب والجموع مثل ما على
ابواب الملوك فتلطفت في الدخول اليه حتى دخلت فوجدته في بهو عظيم وفيه من التصاوير
ما لا يوصف وبين يديه من آنية الذهب والفضة ما لا يوصف وهو على سرير من القوارير
قوايمه اربعة اسود من الذهب فسلمت عليه فلما عرفني رفعني معه على السرير وجعل يسألني
عن عمر وعن المسلمين فقلت خيرا ثم تفكر ساعة حتى عرفت الحزن في وجهه فقلت
ما يمنعك من الرجوع الى قومك والاسلام فقال ابعد الذي قد كان فقلت قد ارتد الاشعث
بن قيس عن الاسلام ومنع الزكاة ثم رجع الى الاسلام وتحدثنا بمثل هذا ثم انحدرت عن
السرير فقال لم تأبى كرامتنا فقلت ان رسول الله نهانا عن هذا فقال نعم ولكن فتى توبك
من الدنس والاثم علي فعلت ما فعلت ثم قدم اليه الطعام في آنية الذهب على موايد
الفضة فاكلنا فلما فرغ قدمت له طسوت وابارق من الذهب فغسل يده
وغسلنا ثم امر باحضار الشراب فشرب وعرض علي فاستعفيت فاعفاني ثم وضعت
عشرون كرسيا من الذهب المرصعة بالجواهر عن يمينه وبياره ثم جاءت
جواري وعليهن تيجان الذهب المرصعة بالجواهر فجلسن على تلك الكراسي ثم جاءت
جارية كانها فلقة قمر وعلى راسها طاير ابيض كانه لولو مادب وفي يدها
اليمنى جام فيه مسك وعنبر مخلوطين مسحوقين وفي يدها اليسرى جام فيه ماورد
فالقت الطاير في الجام الذي فيه ماء الورد حتى انبل جميعه ثم اخرجته والقته
في جام المسك والعنبر فتمعك فيه حتى لم يدع فيه شيئا ثم نفرته فطار فقعد على راس
جبلة ثم رفرف ونفض ريشه فما بقي عليه شيء الا سقط على جبلة ثم قال للجواري
غنين فغنى من كلمهن حتى غنت احديهن

بمن الدار اقفرت بعمان ... بين اعلا البرموك والجمان
دار مغنى لآل جفنة في ... الدهر محلا لحادثات الزمان
قد اراني هناك دهرا مكينا ... عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم امر لي بخمسمائة دينار وارسل معي الي

حسان بن ثابت خمسمائة دينار فاوصلها اليه عمر رضي الله عنه فمدحه حسان
بابيات منها ان ابن حفنة من بقية معشر ... لم يعزهم اباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذهور ربها ... كلا ولا متنصرا بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده ... الا لبعض عطية المذموم

فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السابعة عشر

قال ابن كثير رحمه الله في المحرم منها انتقل سعد بن ابي وقاص من المدائن الى الكوفة وذلك ان الصحابة استوخموا المدائن وتغيرت الوانهم وضعفت ابدانهم لكثرة ذبابها وغبارها فكتب سعد الى عمر رضي الله عنهما في ذلك فكتب عمر ان العرب لا يصلح الا حيث يوافق ابلها فبعث سعد حذيفة وسلمان بن ربيعة ادان للمسلمين منزلا مناسبا يصلح لاقامتهم فمر على ارض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء فاعجبتها ووجد هناك ثلاث ديرات دير حرقه ودير ام عمرو ودير سلسلة فنزلا هناك وصليا ودعيا ثم كتب الى سعد بالخبر فامر سعد باختطاط الكوفة وسار اليها في اول هذه السنة في محرمها فكان اول بناء وضع فيها المسجد وامر سعد رجلا رامياً شديد الرمي فرمى من المسجد الى الاربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم وعمر قصرا تلقاء محراب المسجد للامارة وبيت المال فكان اول ما بنوا المنازل بالقصب فاحترقت في اثناء السنة فبنوها باللبن عن امر عمر بشرط ان لا يشرفوا ولا يجاوزوا الحد وبعث سعد الى الامراء والقبائل فقدموا عليه فانزلهم الكوفة وامر سعد ابا هياج الموكل بانزال الناس فيها وان يعمروا ويدعوا للطريق النهج وسع اربعين ذراعا وما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعا وللازقة سبع اذرع وبنى لسعد قصر قريب من السوق فكان غوغاء الناس تمنع سعدا من الدخول فكان يغلق بابه ويقول سكن الصويت فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة فامره اذا انتهى الى الكوفة ان يقدح زناده ويجمع حطبا ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره فلما انتهى الى الكوفة فعل ما امره به عمر وامر سعدا ان لا يغلق عليه بابه عن الناس ولا يجعل على بابه احدا يمنع الناس عنه فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئا من اعمال من مالى فامتنع من قبوله ورجع المدينة واستمر سعد بالكوفة ثلاث سنين بعد

ونصفا حتى عزله عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من غير عجز ولا خيانة.

وفي تاريخ الفويري وفيها كانت واقعة المغيرة بن شعبة كان عمر رضي الله عنه قد ولاه البصرة وكان في قبالة العلية التي فيها المغيرة علية فيها اربعة وهم ابو بكرة مولى النبي عليه السلام واخوه لامه زياد بن امية ونافع بن كلدة وشبل ابن معبد فرفعه الريح الكوة عن العلية فنظروا الى المغيرة وهو على ام جميل بنت الارقم بن عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة فكتبوا الى عمر رضي الله عنه بذلك فعزل المغيرة واستقدمه مع الشهود وولي البصرة ابا موسى الاشعري رضي الله عنه فلما قدم الى عمر رضي الله عنه شهد ابو بكرة ونافع وشبل على المغيرة بالزنا واما زياد بن امية فلم يفصح شهادة الزنا وكان عمر رضي الله عنه قد قال قبل ذلك اني لارجو ان لا يفضح الله به رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زياد بن امية رايته جالسا بين رجلي امراة واراين رجلين مرتفعتين كاذني حمار ونفسا يعلوا واستا ينبو عن ذكر وما اعرف ما وراء ذلك فقال عمر رضي الله عنه هل رايت الميل في المكحلة قال لا فقال هل تعرف المراة قال لا ولكن اشبهها فامر عمر رضي الله عنه بالثلاثة الذين شهدوا بالزنا ان يحدوا حد القذف فجلدوا وكان زياد اخا ابي بكرة لامه فلم يكلمه ابو بكرة ابدا بعدها وذكر الاصفهاني في كتابه عن المغيرة انه لما حضر مع الشهود من البصرة راى في طريقه جارية فاعجبته فخطبها الى ابيها فقال له وانت على هذه الحال فقال وما عليك ان اعفى فهو الذي تريد وان افتضل فتربتني فزوجها منه فلما قدم بها على عمر رضي الله عنه واخبر القصة قال انك لفارغ القلب طويل الشبق. ثم الجزء المبارك الثالث المبارك على يد كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى ابو القاسم محمد بن احمد بن موسى بن محمد الحنفي الحلبي الاصل القيشاني المولد والقاهري المسكن يعرف بالله وحسن توفيقه نهار الاحد سلخ جمادي الاخرة سنة تسع وثمانمائة بالقاهرة المحروسة بجامع الازهر غفر الله له ولوالديه ولذريته ولمن طالع فيه ولمن سمع منه ولجميع المسلمين والمسلمات برحمتك يا ارحم الراحمين. ويتلوه ان شاء الله تعالى في الجزء الرابع اوله في ذكر فتح انطاكية تذكر نزول ابي عبيدة رضي الله عنه مع المسلمين على جسر الحديد.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وسلام على الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين.

وقف الاسلام
وحائك فقير الى رحمة
الحاج مصطفى غالب الرحيم
الحاج حسن راغب

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı | Esat Ef.
Yeni Kayıt No |
Esk. Kayıt No. | 2346

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيُبْلَى ۞ وَيَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ۞ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

الخَطُّ يَبْقَى زَمَانًا بَعْدَ كَاتِبِهِ ۞ وَكَاتِبُ الخَطِّ تَحْتَ التُّرَابِ مَدْفُونُ

أَصْبَحْتُ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ مُرْتَهَنًا ۞ لَا أَمْلِكُ مِنْ دُنْيَايَ غَيْرَ الكَفَنْ
يَا مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ عِبَادَهُ ۞ مِنْ بَعْضِ عِبَادِكَ المُسِيئِينَ أَنَا

وعدد اوراق هذا الجزء مائتان وستة واربعين اوراقا